في
فقه الإصلاح والتجديد
عند الإمام حسن البنا

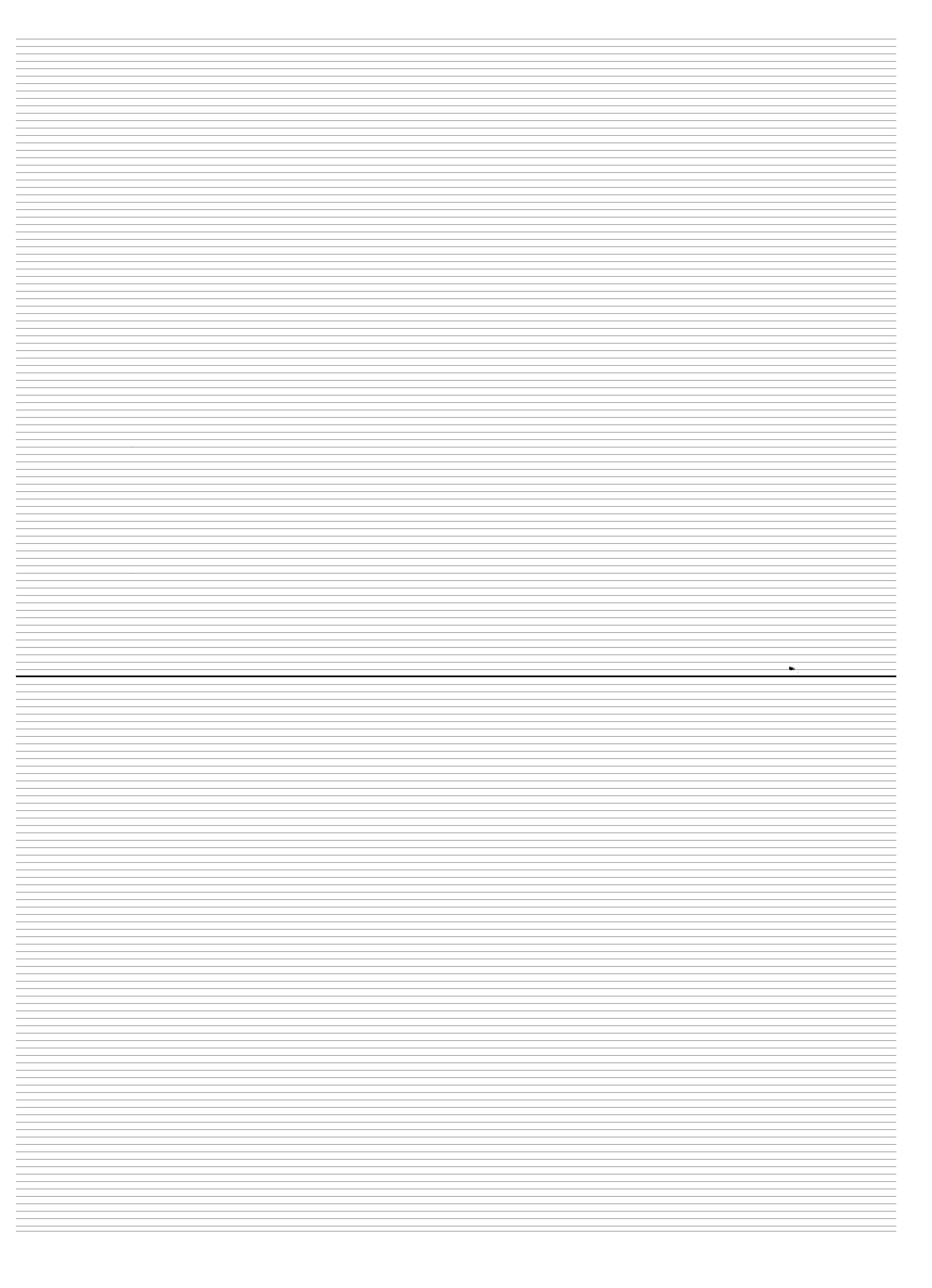
ركن التضحية

أو
بذل المال والنفس وكل شيء
في سبيل الله

تحليل وشرح أعده

الدكتور علي عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر



إهـــداء...

إلى المؤمنين الذين يعملون الصالحات،

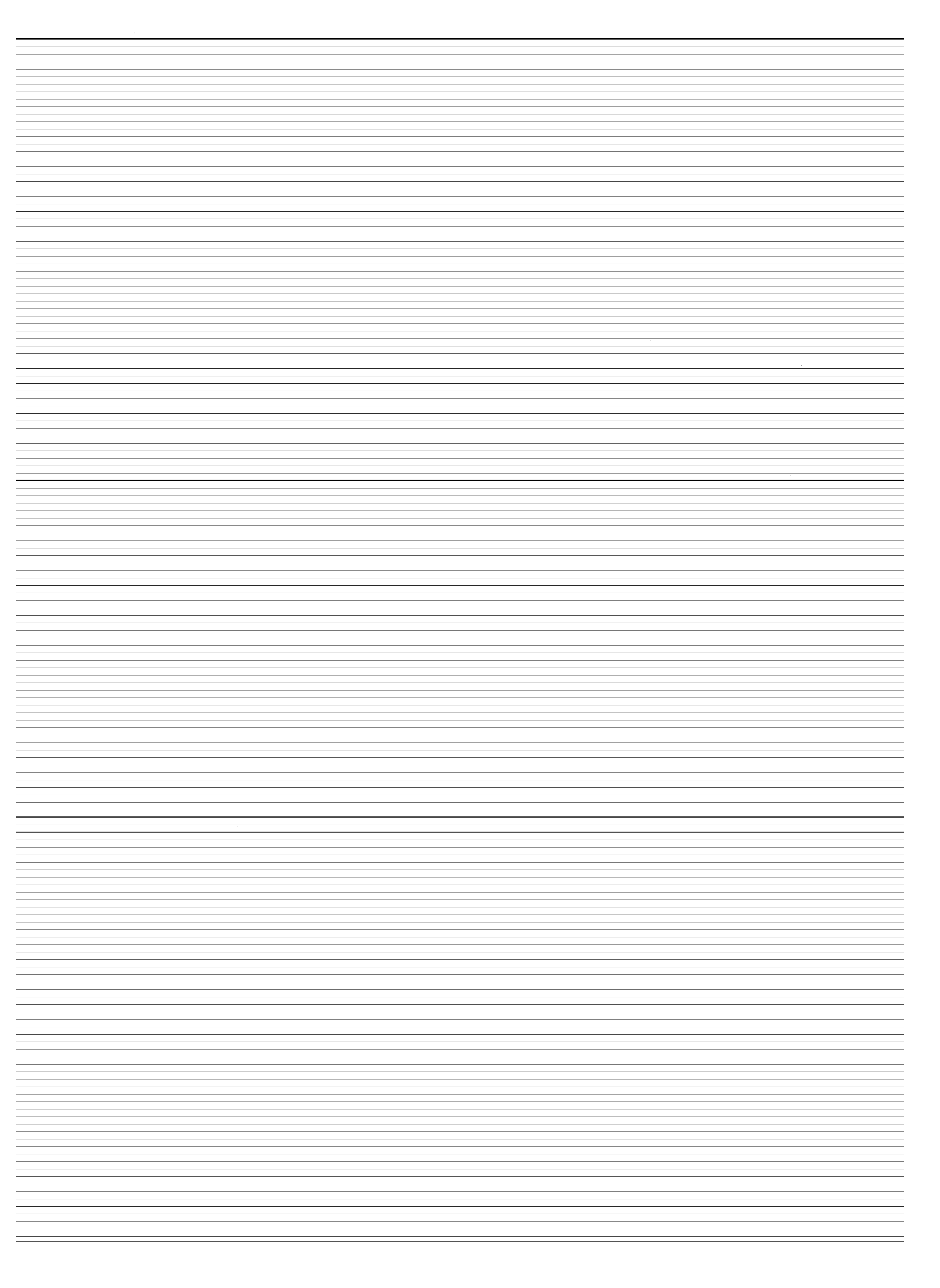
وإلى الذين هداهم الله إلى الحق وإلى الطريق المستقيم،

وإلى كل من ينادون ـ مخلصين ـ بأن الإسلام هو الحل لكل مشكلات الإنسان.

إليهم أقدم شرحاً وتحليلاً لفكر الإمام حسن البنا فى الإصلاح والتجديد، وحركة الإحياء الإسلامى، من خلال:

ركن «التضحية» فى رسالته الجامعة: «رسالة التعاليم» التى تضمنت أركان الإصلاح الإسلامى.

على عبد الحليم محمود



بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين، وعلى محمد خاتمهم، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذه هي الحلقة الخامسة «ركن التضحية» من سلسلة: «في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا» تأتى بعد الحلقات الأربع التي صدرت من قبل، وهى:

الفهـــم: أو فهم أصول الإسلام،

والإخلاص: في مجالات العمل الإسلامى،

والعمـــل: أو منهج الإصلاح الإسلامى للفرد والمجتمع،

والجهـــاد: أو الركن الذي لا تحيا الدعوة إلا به[1].

وهذا الكتاب عن: ركن التضحية، أو بذل النفس والمال...

وكل شيء في سبيل الغاية.

سائلاً الله تبارك وتعالى أن ينفع بها كل مخلص لدينه ووطنه وأمته الإسلامية.

والحديث عن ركن التضحية يستهدف أن يقبل المسلمون على التضحية في سبيل دينهم وأوطانهم وأمتهم الإسلامية بكل ما يملكون وما يستطيعون، إذ بغير هذه التضحية لا يستطيع المسلمون أن يدافعوا عن أنفسهم ولا عن دينهم، ولا أن يدفعوا عدوانا ضاريا تشنه عليهم دول وأنظمة ومنظمات عالمية.

ولقد أصبح واضحاً اليوم أن العالم الإسلامي يعاني من عدو شرس يملك من أسباب القوة والسيطرة السياسية والاقتصادية ما يمكنه من توجيه الضربات الموجعة لكل ركن من أركان العالم الإسلامى، تضر به فى دينه ونظامه الاجتماعى وقيمه وأخلاقه، وفي سياسته واقتصاده، وفي أرضه وسمائه ومياهه، وفي فكره وثقافته.

ولقد جعل العدو إسرائيل مقدمة مهاجميه ورأس حربته التي يوجهها إلى مصالح العالم الإسلامى الآنية والمستقبلية، ومع إسرائيل تقوم الصليبية الجديدة بتوجيه ضربات موجعة فى

---

(١) سنوالي نشر الحلقات الخمسة الأخيرة من هذه السلسلة وهي: الطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة، إذا أذن الله ووفق وأعان.

عديد من بلدان العالم الإسلامي، ثم يأتي ما يعرف بالنظام العالمي الجديد، ليقنن ضربه لأي مكان في العالم الإسلامي، ويضفي على تلك الضربات أو على هذه الأحقاد شرعية عالمية!!!

ومن المعروف المسلَّم به لدى كل ذى بصر– في هذا العصر الذي نعيش فيه ـ أن الصهيونية أو اليهودية، والصليبية القديمة أو الجديدة، والنظام العالمي الجديد أو الولايات المتحدة الأمريكية، من المعروف أن هذه التيارات المعادية مهما اختلفت فيما بينها فإنها تتفق على عدائها للإسلام والمسلمين، كما أنها تنسق فيما بينها إذا كان العدو هو الإسلام.

ولقد صرح بذلك عدد من قادة هؤلاء الأعداء، وأكدته أعمالهم الظاهرة، في العقد الحالى الثاني من القرن الخامس عشر الهجري الموازي للعقد الأخير من القرن العشرين الميلادي، وهو العقد الذى انهار فيه ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، العدو التقليدي للغرب، فوجد الغرب فى الإسلام عدواً بديلاً أخذ يحشد له.

هؤلاء الذين يكيدون للإسلام يشنون عليه حملة من داخله بأيدي بعض أبنائه أحيانا!!! فضلا عن حملاتهم التي يشنونها على الإسلام من الخارج، تلك التي لها قصة متعددة الفصول، عديدة الشخوص والأبطال، متنامية الأحداث، محبوكة بمهارة واقتدار، يقدم منها في كل وطن إسلامي أنموذجاً أو أكثر.

ولابد للمسلمين من التصدي لهذه الحملات في داخل بلادهم أولاً ثم فى خارجها إن استطاعوا، دفاعاً عن أنفسهم وعن دينهم وأوطانهم وعن أمتهم الإسلامية، ذلك واجب لا مهرب منه ولا فكاك.

هذا التصدي للأعداء لابد فيه من الأخذ بأسبابه وحسن الإعداد له، ومن الأسباب التي يجب الأخذ بها في هذا التصدى ما نشير إلى بعضه فيما يلي:

- العلم بهذا الدين الذي ندافع عنه وفهم أصوله،
- والعلم بهذا العدو وما يملك، والإعداد له والاستعداد،
- والإخلاص في كل ما يتصل بهذا التصدي من قول أو صمت ومن فعل أو ترك، والتوجه بذلك إلى الله وحده،
- وترجمة هذا العلم إلى عمل وسلوك، ميدانه الفرد فالأسرة فالمجتمع فالأمة فالدولة،
- وكل ذلك يحتاج إلى جهاد على كل مستوى من مستوياته، وبكل آلية من آلياته.

ومن المسلم به - كما سنوضح فى هذا الكتاب - أنه لا جهاد بغير تضحية، وعلى قدر الجهاد تكون التضحية.

وهذه التضحية احتساب عند الله أولا، وبها يُفتدى الدين والنفس والمال والوطن الإسلامي بعد ذلك.

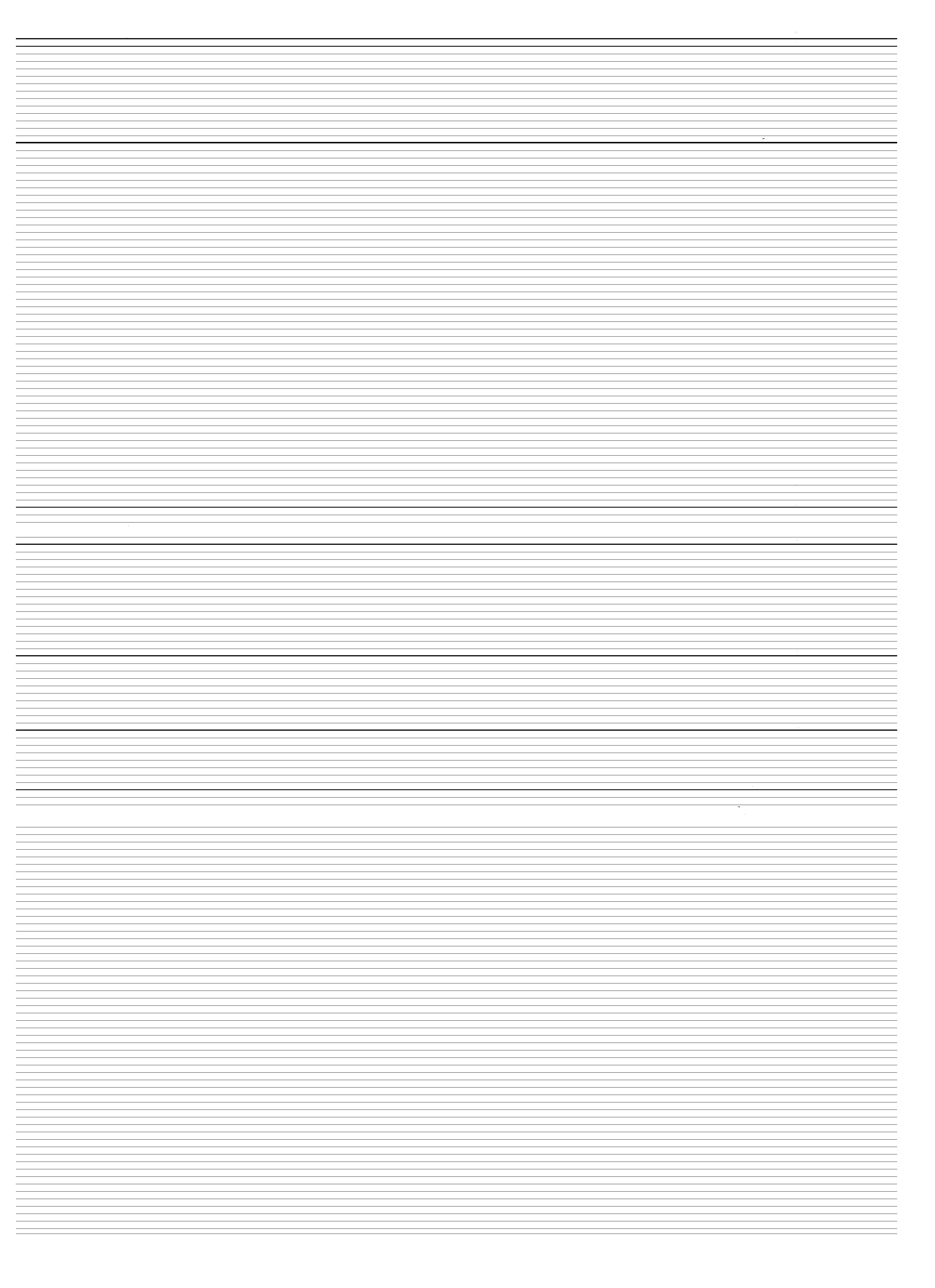
ولكيلا تضيع التضحية عبثاً، أو تتجه إلى غير طريقها الصحيح، فضلا عن أن يمتنع عنها بعض الغافلين أو يسيىء فهمها ومعرفة أهدافها ووسائلها بعض المسلمين، من أجل ألا يحدث شيء من ذلك، كان تأليف هذا الكتاب.

وقد جاء الحديث عن التضحية في هذا الكتاب في بابين:

الأول منهما: فى مفهوم التضحية فى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وتاريخ الإسلام وتراث المسلمين، مع بيان أنواعها ونماذجها فى عصر النبى ﷺ وتاريخ صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

والثانى منهما: فى شرح النص الوجيز الجامع الذى كتبه الإمام البنا عن التضحية بوصفها الركن الخامس من أركان البيعة أو أركان الإصلاح والتجديد، وبيان حكمها الشرعي وأنواعها، وصلتها بالجهاد فى سبيل الله وتوضيح جزاء من قام بها وجزاء من قعد عنها.

والله تعالى أسأل أن ينفع به المسلمين، وأن يعفو عنى ويغفر لى ولوالدى وللمسلمين، إنه سبحانه على ما يشاء قدير.



الباب الأول

في

مفهوم التضحية

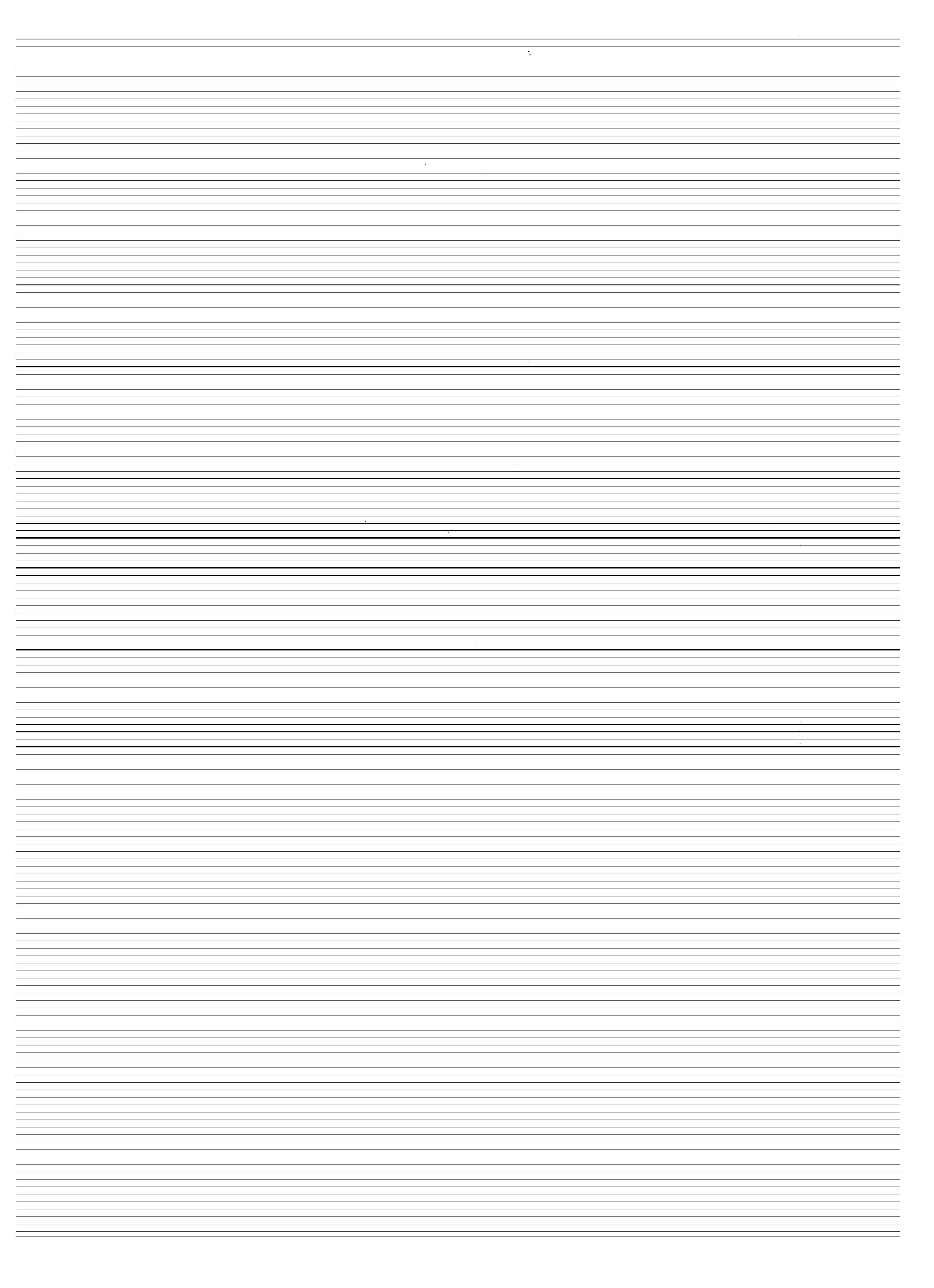
وفيه فصلان:

الفصل الأول:

في معنى التضحية في القرآن الكريم والسنة النبوية وعصر النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

والفصل الثاني:

في أنواع التضحية، ونماذجها في عصر النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.



الفصــل الأول

في معنى التضحية في القرآن الكريم والسنة النبوية وعصر النبى ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم

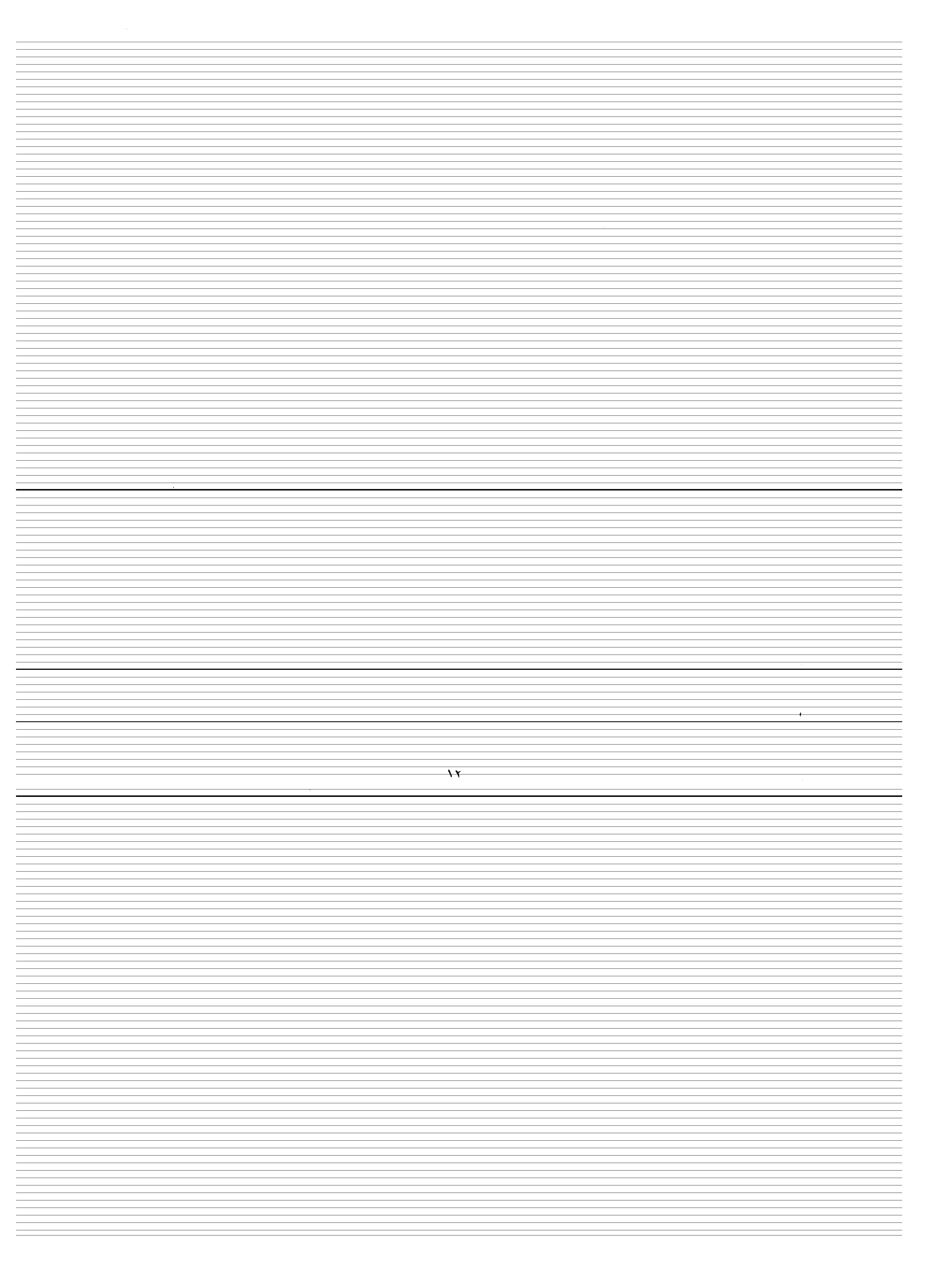
ويتناول:

١ - في القرآن الكريم.

٢ - في السنة النبوية المطهرة.

٣ - في حياة النبى ﷺ.

٤ - في تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم.



١ – مفهوم التضحية فى القرآن الكريم

كلمة التضحية فى اللغة مصدر للفعل ضحَّى.

وضحى بالشاة أو نحوها مما يحلّ أكله: أى ذبحها فى الضحى يوم عيد الأضحى، وقد سميت بذلك فى الشرع لقول النبى ﷺ: «من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تمّ نسكه، وأصاب سنة المسلمين» رواه البخارى بسنده عن أنس.

وضحَّى الحاجّ: ذبح ضحيته –وهى شاة– فى أى وقت من أيام التشريق. وهذا المعنى قريب من معنى التضحية بالنفس والمال والجهد والوقت فى سبيل الله تعالى.

وضحى بوقته أو جهده أو ماله أو نفسه فى سبيل الله، تبرع به حِسْبَة لوجه الله تعالى، وتلك من المعانى التى جَدَّت على مفهوم الكلمة الأصلى.

وهذه التضحية، بأى معنى من معانيها عندما تكون لوجه الله تعالى وتقربا إليه، فإن لها عنده سبحانه أحسن الجزاء.

ولنتتبع بعد ذلك مفهوم الكلمة فى القرآن الكريم.

أما فى القرآن الكريم، فلم يرد لفظ التضحية بهذه الصياغة ولكن ورد معناه فى عديد من الآيات القرآنية الكريمة، حيث وردت معانى البذل والعطاء، سواء أكان ذلك البذل والعطاء خاصاً بالنفس أو المال أو الولد أو نحو ذلك.

وسنوضح ذلك فيما يلى:

أولا: بذل النفس فى سبيل الله تعالى.

وثانيا: بذل المال وغيره فى سبيل الله تعالى.

وثالثا: التضحية بالعلاقات الاجتماعية فى سبيل الله تعالى.

ورابعا: التضحية بالصداقات والجوار.

أولا: بذل النفس فى سبيل الله تعالى

ويكون ذلك فى الجهاد فى سبيل الله تعالى لتكون كلمة الله هى العليا فى الغالب.

وقد يكون بذل النفس فى سبيل الله بسبب الإقرار بذنب يقتضى القصاص ممن أقر بقتله، تطهيراً له من هذا الذنب وزجراً لغيره من الناس، وذلك واضح فى ذنبين كبيرين هما:

- قتل النفس التى حرم الله قتلها.
- والزنا بالنسبة لمن أُحْصن من الرجال أو النساء.

وقد جاء فى ذلك من آيات القرآن الكريم الدالة على أن التضحية بالنفس جهاد فى سبيل الله تعالى ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

(أ) قال الله تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾**

[البقرة: ٢١٦].

والمعنى أن الله تعالى فرض عليكم القتال أيها المسلمون لحماية دينكم، والدفاع عن أنفسكم، وأن نفوسكم بحكم الفطرة تكره القتال كرهاً شديداً، لما فيه من تضحيات أهمها وأكبرها التضحية بالنفس، ولكن ربما كرهتم ما فيه خيركم، وأحببتم ما فيه شر لكم!!!

والله تعالى يعلم ما غاب عنكم من مصالحكم، وأنتم لاتعلمون، فاستجيبوا لما فُرض عليكم.

فالجهاد فريضة على كل مسلم ومسلمة، كما تدل على ذلك هذه الآية الكريمة، حتى إن مكحولاً الشامى كان يحلف عند البيت أن الغزو واجب.

ومن المعروف أن النبى ﷺ لم يكن مأذونا له فى القتال طوال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن الله له فى القتال بشرط أن يقاتل من قاتله من المشركين، ولا يتجاوز ذلك، ثم أذن الله تعالى له فى قتال المشركين عامة، ثم فرض الله تعالى القتال فرضاً بقوله تعالى: **﴿كُتب عليكم القتال...﴾** وكتب معناها: فُرِض.

ويرى بعض العلماء أن القتال فرض عين، وإن كان الجمهور على أنه فرض كفاية.

وهذه التضحية بالنفس فى سبيل الله لاتضيع سدى عند الله وإنما جزاؤها الجنة، ولاتنتهى فى الدنيا [illegible]

ومن هذه الفوائد ما نشير إلى بعضه فيما يلي:

- على مستوى الفرد ينال ثواب الله في الآخرة مع تكريمه وغفران ذنوبه، إلا ما كان من دين أو حقوق للعباد.

- وأنه يفارق الدنيا على حب لله تعالى وإيثار لما عنده وابتغاء لمرضاته، وذلك من أعظم سعادات الإنسان.

وعلى مستوى الأمة المسلمة نجد للتضحية من الفوائد ما لا يحصى ولايقادر قدره، ومن ذلك ما نشير إلى بعضه فيما يلي:

- أن هذه التضحية بالنفس تكون سبباً في حصول الأمن للأمة كلها، بينما القعود عن هذه التضحية وإن كان في الظاهر يحفظ النفس من الموت مؤقتا -إذ كل نفس لابد ذائقة الموت- إلا أن فيه معصية لله تعالى وتضييعاً لمستقبل الأمة كلها.

- والتضحية بالنفس عندما يحرص عليها المقاتلون تكون سببا في تحقيق النصر والغنيمة للأمة كلها، وسبباً في الفوز بالجنة بعد غفران ما تقدم من الذنوب، ماعدا حقوق العباد كما ذكرنا آنفاً.

- وهذه التضحية بالنفس تحقق للمسلمين السرور العظيم عندما ينتصرون فيستولون على الأعداء بعد هزيمتهم، فيقللون بذلك عدد الذين يكيدون للإسلام ويحاربونه.

- ومن فوائد التضحية بالنفس في سبيل الله أن النصر يكون قريباً أو محققاً بإذن الله، فيأمن المسلمون الفتنة فيما لو انتصر عليهم الأعداء لحرص المسلمين على الحياة وقعودهم عن التضحية بالنفس.

وكلمة: «عسى» في الآية الكريمة تفيد الوجوب، كما قال بذلك بعض العلماء من الأسلاف رحمهم الله تعالى.

- فقد قال الخليل:[1] «عسى» من الله واجب في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢] وقد حصل. وقال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣] وقد حصل أيضاً.

---

(١) الخليل هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، من أئمة اللغة والأدب (ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي ١٧٠هـ)، وهو واضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي المشهور، وقد ولد وعاش في البصرة، وهو صاحب كتاب العين في اللغة، وذلك الكتاب لم يسبق إليه الخليل.

- وقال أبو عبيدة[1] : عسى من الله، واجب أو إيجاب.

فكراهية النفس للتضحية أمر طبيعي، لأن النفس مفطورة على حب الحياة، وهذا الحب للحياة الذى تسبب في القعود عن التضحية هو شر للمسلمين، بينما التضحية فيها خير للمسلمين.

ولا عجب في ذلك ،فالله تعالى يختم الآية الكريمة بقوله سبحانه وتعالى: «والله يعلم وأنتم لا تعلمون».

والآيات القرآنية التى تُرَغِّب فى التضحية بالنفس فى سبيل الله كثيرة، نذكر منها بعد تلك الآية التى ذكرنا ما يلى:

(ب) وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

(حـ) وقال جل شأنه: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

(د) وقال عز وجل: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) ﴾ [النساء: ٧٤].

(هـ) وقال جل وعلا: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) ﴾ [التوبة: ٤١].

---

(١) أبو عبيدة هو: معمر بن المثنى التيمى ولاءً (١١٠ - ٢٠٩ هـ) بصرى المولد والوفاة، من أئمة العلم والأدب واللغة، وكان من حفاظ الحديث الشريف، ومن أشهر كتبه. مجاز القرآن، «معانى القرآن، وإعراب القرآن، وطبقات الشعراء، ويقال: إنه كان أباضى المذهب، شعوبيا.

ثانيا: بذل المال والتضحية به فى سبيل الله تعالى

التضحية بالمال وبذله فى سبيل الله تعالى هى الإنفاق الذى أوجبه الإسلام فى بعض الأحوال، وندب إليه وحبب فيه فى أحوال أخرى. ولأن الحياة الإنسانية لاتستقيم ولاتستمر إلا أن يكون فيها إنفاق للمال، أو للوقت أو للجهد أو نحو ذلك، وإن كان أكثر ما يستعمل الإنفاق فى المال، فإن الإسلام أوجب هذا الإنفاق على كل من له زوجة وأولاد، وكل من له أو فى ولايته من يستحقون أن ينفق عليهم، هذا باب من أبواب الإنفاق الواجب.

– وباب آخر هو الإنفاق فى سبيل الله لسد حاجة المسلمين ودفع الأضرار والأعداء عنهم.

– وقد يكون الإنفاق مندوباً إليه أو محبباً فيه وهو التطوع تقرباً بهذا المال الذى ضحى به إلى الله تعالى، وذلك فى سائر وجوه البر والخير التى ندب إليها الإسلام.

وجميع أنواع الإنفاق الواجب منها والمستحب إنما هى تضحية بالمال، على ما للمال من أهمية فى حياة الإنسان.

والنصوص القرآنية الداعية إلى الإنفاق فى سبيل الله تعالى كثيرة نذكر منها ما يلى:

(أ) قال الله عز وجل: ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)** ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وهذه الآية الكريمة تؤكد لنا أن جهاد الكفار يكون بالتضحية بالنفس، كما يكون بالتضحة بالمال، والأمر الأول فى الآية الكريمة موجه إلى كل مؤمن ومؤمنة، له أو لها قدرة على التضحية بماله أو ببعض ماله فى الإعداد لقتال أعداء الإسلام.

والمعنى: ابذلوا فى سبيل الله– أى فى جهاد أعدائكم– الأنفس والأموال، فإنكم إن تقاعستم عن هذه التضحية غلبكم العدو واستباح أرضكم ودياركم وأبناءكم وأموالكم، فكأنما ألقيتم أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، إذ قعدتم عن هذه التضحية بالنفس أو بالمال، والمال عصب الحرب، فبه تكون العدة من سلاح وغيره مما يلزم فى القتال، وإن ما يلزم فى القتال لكثير وإنه جميعه لايتم بغير مال، ومن هنا وجبت التضحية بالمال وإنفاقه فى سبيل الله ودفع الأعداء.

– والأمر الثانى فى الآية الكريمة، موجه للمؤمنين والمؤمنات كذلك، تأمرهم بالإحسان «وأحسنوا» أى أحسنوا إلى أنفسكم وإلى دينكم بهذا الإنفاق وتلك التضحية بالمال.

- والإنفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح، فإذا قيد أو وصف بأنه فى سبيل الله، فالمراد به سبيل الدين والحق، فسبيل الله هو دينه ومنهجه وما أمر به، فكل ما أنفق فى ذلك فهو فى سبيل الله وهو تضحية بالمال مقبولة مأجورة بإذن الله.

- ومن المعاني التي اشار إليها العلماء في هذه الآية الكريمة: انفقوا في سبيل، ولاتقولوا إنا نخاف الفقر إن انفقنا فنهلك ولايبقي معنا شيء، فنُهوا عن ان يجعلوا انفسهم هالكين بالإنفاق، وهذا معني: «ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة».

(ب) وقال تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)** ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

«أنفقوا»: أمر بالإنفاق مطلق، يتناول الإنفاق الواجب والإنفاق المندوب.

والمعنى: حَصِّلوا منافع الآخرة حين تكونون فى الدنيا، فإنكم إذا خرجتم من الدنيا لايمكنكم تحصيل الأموال ولا إنفاقها «مما رزقناكم» هذا التعبير يوحى بأن جميع الأموال التى فى أيدى الناس هى رزق من الله تعالى مادام حلالاً طيباً وهو الذى يجب الإنفاق منه، لأن الله تعالى منع الإنفاق فى سبيله من المال الخبيث، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

«والكافرون هم الظالمون» وهؤلاء هم المحرومون يوم القيامة من الخلة والشفاعة، الخلة: الصداقة، والشفاعة: أن يشفع له أحد من الناس دون الله تعالى.

والكافرون هم الظالمون أى هم الذين يظهر ظلمهم فى ذلك اليوم إذ لم يستجبوا لدعوة الحق.

أما الفساق فليسوا كفارا، فيمكن أن تكون لهم شفاعة.

(حـ) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)** ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وهذه الآية تبين أن المال المنفق فى سبيل الله سواء أكان واجباً أو مندوباً، يجب أن يكون من طيب ما كسب الإنسان أى من الحلال الجيد.

(د) وقال عز وجل: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)** ﴾ [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

وهاتان الآيتان الكريمتان:

إحداهما:

تحبب فى الإنفاق والتضحية بالمال فى سبيل الله، وتبين عظيم الجزاء وكثير الثواب الذى يصل إلى سبعمائة مثل بل أكثر إذا شاء الله.

والأخرى:

تشترط فيمن أنفق مالاً وضحي به في سبيل الله ألاَّ يتبعه بمن ولا أذى، وإنما يكون الإنفاق ابتغاء مرضاة الله تعالى، ولايمن به على أحد ممن أعطاه، ولا يؤذيه بقول: كلمة أو إشارة، ولابعمل.

قال المفسرون: إن هذه الآية الثانية نزلت فى عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما.

فقد جهز عثمان رضى الله عنه جيش العُسرة فى غزوة تبوك، جهزه بألف بعير بأقتابها – ما يوضع على سنامها من رحل – وبألف دينار.

وتصـــدق عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله، فكان أربعة آلاف دينار فنزلت هذه الآية.

(هـ) وقال سـبحـــانه وتعـالى: ﴿ **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)** ﴾ [الحديد: ٧ – ١١].

وهذه الآيات الكريمة تطالب بأمرين، وتستنكر أمرين، وتحض على عمل جليل، له عند الله أعظم الأجر، ونوضح ذلك فيما يلي:

- تطالب بالإيمان بالله ورسوله على سبيل الوجوب في قوله سبحانه:

﴿آمنوا بالله ورسوله﴾.

- وتطالب بالإنفاق أى التضحية بالمال، وهو مال قد استخلف الله تعالى الناس فيه **﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾**.

والآية تعد بالأجر الكبير على الإيمان والإنفاق: **﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾**.

- وتستنكر أمرين وتوبخ على تركهما:

أحدهما:

ترك الإيمان، مع أن الرسول ﷺ يدعو للإيمان، والله تعالى قد أخذ الميثاق على الناس أن يؤمنوا يوم أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام، قائلا لهم: **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾** [**الأعراف**: ١٧٢].

وما لهم لايؤمنون والله تعالى قد أنزل على رسوله ﷺ الآيات البينات ليخرج الناس من الظلمات إلى النور رأفة بهم ورحمة: **﴿وما لكم لاتؤمنون بالله...﴾** إلى آخر الآيتين الكريمتين.

والآخر:

ترك الإنفاق للمال والتضحية به فى سبيل الله، أى البخل به، وإنما استحق هذا البخل الاستنكار والتوبيخ، لأن البخيل يبخل بمال سوف يموت عنه ويتركه لسواه، وذلك أن الله تعالى سوف يرث المال ويرث كل ما فى السموات والأرض **﴿وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات...﴾** الآية.

وتوضح الآية الكريمة حقيقة هامة وهى أن التضحية بالمال فى سبيل الله فى وقت يحتاج فيه المسلمون إلى التضحية أفضل من التضحية به فى وقت آخر، وإن كان فى كلٍ خير.

ولقد حدث ذلك الإنفاق فى وقت الحاجة إليه أيام كان المسلمون فى مكة، فنالوا تلك الأفضلية وهذه الدرجة.

والمسلمون فى كل وقت عليهم أن ينظروا إلى الظروف التى يتم فيها الإنفاق، فعلى وجه اليقين سيكون الإنفاق فى بعضها أفضل من الإنفاق فى بعض آخر، قال تعالى: **﴿لايستوى**

منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير﴾.

وأما ما تحض عليه الآية الكريمة، وتعد فيه بالأجر المضاعف فهو إقراض الله تعالى، والله سبحانه لايحتاج إلى قرض ولا إلى شيء وإنما الذى يحتاج هم عباده، فمن أقرض محتاجاً فكأنما أقرض الله تعالى.

فالآية الكريمة الأخيرة من هذه الآيات ترغب الناس فى أن ينفقوا أموالهم ويضحوا بها فى سبيل نصرة المسلمين وفى قتال أعدائهم وفى سد حاجة المحتاجين ومواساتهم، وتسمى ذلك كله قرضاً لله تعالى والقرض هو ما يدفع إلى الإنسان من مال بشرط ردّ بدله - والذى يَردّ البدل فى هذه الحالة هو الله الكريم، قال الله تعالى: **﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له، وله أجر كريم﴾.**

قال مقاتل: القرض الحسن هو ما أخرجه الإنسان طيبةً به نفسه.

وقال الكلبي: يتصدق به لوجه الله.

وقال بعض العلماء: لا يكون الإنفاق أو القرض حسناً حتى يستوفى شروطاً أو أوصافاً عشرة نشير إليها بإيجاز فيما يلي:

١ - أن يكون من الحلال،

٢ - وأن يكون من أكرم ما يملك،

٣ - وأن يتصدق به وهو يحبه،

٤ - وأن يُعْطَى لمن هو أحوج،

٥ - وأن يكتم ولايتحدث عنه صاحبه،

٦ - وأن لايتبعه بمن أو أذى،

٧ - وأن يقصد به وجه الله ولايرائى،

٨ - وأن يستحقر ما يعطي وإن كثر،

٩ - وأن يكون من أحب أمواله إليه،

١٠ - وأن يرى الفقير المُعْطَى غير ذليل ولاضعيف.

وكل وصف من هذه الأوصاف للقرض الحسن، أيدته آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية صحيحة[١].

وبعد: فهذا هو شأن التضحية بالمال وإنفاقه فى سبيل الله تعالى.

---

(١) لمعرفة هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة انظر: الرازى: التفسير الكبير: ٢٩/١٩٣ دار الكتب العلمية، بيروت.

ثالثا: التضحية بالعلاقات الاجتماعية الحميمة

والعلاقات الاجتماعية الحميمة هى علاقة الأبوة والبنوة والزوجية والأخوة والعشيرة وهم الأقربون الأدنون.

كل هذه العلاقات الوشيجة يمكن أن يضحى بها المسلم فى سبيل الله وفى سبيل دينه، ولو فعل فهو مأجور عند الله تعالى لاستجابته لما طلب منه، ولو لم يفعل فإن الله تعالى يتهدده بعذاب عليه أن ينتظره هو وأمثاله من الفاسقين الذين خرجوا عن أمر الله تعالى.

ومعنى ذلك أن المؤمن مطالب بأن يفضل حق الله تعالى، وحبّه سبحانه وتعالى على حق نفسه وذويه، وأن يحب الله أشد مما يجب نفسه وذويه، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)** ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤].

وهاتان الآيتان الكريمتان فيهما كثير من المضامين التى تتصل بالتضحية فى سبيل الله مثل:

التضحية بالقرابة مهما كانت وشيجة،

والتضحية بالمال والتجارة،

والتضحية بالمساكن الطيبة.

التضحية بكل ذلك إيثارا للإيمان بالله وما يوجبه على المؤمن، ونستطيع بعون الله أن نوضح ذلك فيما يلى:

كل هذه الآيات من سورة «براءة»، وهى السورة الكريمة التى جاءت بوجوب البراءة من المشركين والكافرين.

– والآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين وهى: **﴿يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾**.

قال المفسرون:

إن هذه الآية الكريمة جاءت جواباً عن شبهة قامت فى بعض النفوس، مؤدّى هذه الشبهة أن البراءة من الكفار فى بداية الإسلام كانت متعذرة، فقد يكون الرجل - فى ذلك الوقت - مؤمنا وأبوه، أو ابنه أو أخوه أو زوجته على الكفر، وحصول البراءة فى مثل هذه الحالة متعذر أو ممتنع، فجاءت هذه الآية لتزيل هذه الشبهة وتبين أن الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتبرى من المشركين، بل أوجبه إيجابا، قال بعضهم: كيف يمكن ذلك؟ وكيف تكون مقاطعة تامة بين الرجل وأبيه أو ابنه أو أخيه أو زوجته..؟

فأوضح الله تعالى أن هذه المقاطعة ممكنة، بل واجبة بسبب كفرهم، وإصرارهم على عدم الدخول فى الإيمان.

وقال العلماء: هذا النهى «لاتتخذوا آباءكم..» الآية، لايمنع أن يتبرأ الرجل من أبيه فى الدنيا، كما لايمنع من قضاء دين الكافر، ولا من استعماله فى أعماله.

والولاء هو القرب الشديد المؤدى إلى النصرة والرضا بما يعتقد من يواليه وذلك قد نهى الله عنه، ومن يتولهم من المسلمين فهو من الظالمين.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: أى يكون مشركا مثلهم لأنه رضى بشركهم، والرضا بالكفر كفر، كما هو مقرر معروف عند المسلمين.

والآية الثانية وهى: «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم...» إلى نهاية الآية الكريمة.

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة تقرير الجواب عن الشبهة الذى ذكرت فى الآية السابقة. وذلك أن جماعة من المسلمين قالوا: يارسول الله: كيف يمكن البراءة منهم بالكلية؟ فى حين هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا، وذهاب تجارتنا، وهلاك أموالنا وخراب ديارنا وإبقائنا ضائعين؟

فبين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليما.

وأوضحت الآية الكريمة أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم، أولى من طاعة الله وطاعة رسوله، ومن المجاهدة فى سبيل الله، فتربصوا بهذا الذى تحبون حتى يأتى الله بأمره، أى انتظروا عقوبة عاجلة أو آجلة، والمقصود من ذلك وعيد الله لهم على اختيار مصالح دنياهم دون مصالح دينهم.

– وقوله تعالى: ﴿والله لايهدى القوم الفاسقين﴾ أى لايهدى الخارجين عن طاعته إلى معصيته، وهذا يتضمن تهديدا ووعيدا.

وهذه الآية الكريمة تدل على أنه إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين وجميع مهمات الدنيا، وجب على المسلم أن يرجح الدين على الدنيا.

وقد أثارت هذه الآية الكريمة الأمور الداعية إلى مخالطة الكفار أو التى تخدع فى مخالطتهم، وهى أمور أربعة هى:

الأول: إنهم أقارب، وذكر من هؤلاء الأقارب أربعة أصناف هم:

الآباء،

والأبناء،

والإخوان،

والأزواج،

وسائر القرابة القريبة وقد عبّر عنهم بالعشيرة، لأن هذا اللفظ يدل عليهم جميعا.

والثانى: الميل إلى إمساك الأموال المكتسبة،

والثالث: الرغبة فى تحصيل الأموال بالتجارة ونحوها،

والرابع: الرغبة فى المساكن الطيبة والخوف من فقدها.

وبعد:

فإن هذه الآية الكريمة تُرغب فى إنفاق المال والتضحية به فى سبيل الله تعالى، وتحذر من أن تكون أعراض الحياة الدنيا من قرابات وتجارات وأموال ومساكن أحب إلى المؤمن من الله ورسوله والجهاد وفى سبيله بل تتوعد من كان هذا شأنه.

رابعا: التضحية بالصداقات والجوار والعلاقات الاجتماعية العادية

فالصداقة والجوار والعلاقات الاجتماعية غير اللصيقة أولى ألا تشغل المؤمن عن الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله وما يتطلبه هذا الجهاد من تضحيات، وذلك أن العلاقات الوشيجة كالأبوة والبنوة ونحوها مما ذكرنا، لاينبغي أن تؤثر ولا أن تفضَّل على الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، فهذه العلاقات غير الوشيجة يضحى بها من أجل الدين من باب أولى.

إن هذه الآية الكريمة توجه عاطفتي الحب والبغض، وتجعل الحب حبا لله ولرسوله ولما أمر به، والبغض بغضا لأعداء الله ورسوله ولو كانوا آباء أو أبناء أو أصدقاء أو جيرانا، فتحرم مصادقة الفاسقين والعصاة، ومن يكونون بأقوالهم وأعمالهم حيث نهاهم الله تعالى.

١ - وفي تأكيد هذا المعنى وتقريره نجد قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)** ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والموالاة: التأييد والمظاهرة والحب والنصح وطلب النصح ممن والاه.

- وهذه الآية الكريمة تنفي الإيمان عن أولئك الذين يتخذون أعداء الله أولياء، أيا كانت علاقة هؤلاء الأعداء لله ورسوله بمن والاهم من المسلمين، إذ يجب أن يتبرأ منهم، فضلا عن أن يواليهم.

- ومما توحي به هذه الآية الكريمة من معاني وتوجيهات ما نذكر بعضه فيما يلي:

إن المؤمنين الذين يضحون بعلاقاتهم -الصداقة والجيرة والقرابة غير اللصيقة - بهؤلاء الأعداء الذين يحادون الله ورسوله، هؤلاء المؤمنون إنما يؤكدون بهذه العداوة إيمانهم بالله ورسوله، وينالون بذلك تأييدا من الله في الدنيا، وأجراً عظيماً في الآخرة.

وإن هؤلاء المؤمنين الذين تبرأوا من أعداء الله ورسوله ولم يوالوهم، مضحين في هذا البراء بمصالحهم الدنيوية عند هؤلاء، هؤلاء المؤمنون بهذه الصفة هم حزب الله وأولياؤه وأحبابه، ومن كانوا حزب الله كتب الله لهم الفلاح ورضي عنهم ورضوا عنه

وهكذا تجب هذه الآية الكريمة في التضحية بذلك في سبيل الله تعالى، وسبيل دينه ومنهجه ونظامه.

٢ – وقال جل وعلا في معنى قريب من ذلك: ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧)** ﴾ [**الزخرف**: ٦٧].

وهذه الآية الكريمة توضح أن الصداقة لابد أن تكون لله تعالى وفي الله، وإلا أصبحت عدواة وندامة يوم القيامة، فالأصدقاء الذين جمعهم الباطل في الدنيا –مؤمنين كانوا أو كافرين– يصبحون أعداء يوم القيامة، فتنقطع بينهم كل محبة كانت بينهم في الدنيا لأنها لم تكن لله بل كانت للشيطان، تلك قاعدة عامة في الصداقات بين الناس في الدنيا وما تصير إليه.

ويستثنى من هذه القاعدة الذين اتقوا الله فكانت صداقتهم مع الناس لله وفيما يرضى الله تعالى.

فلابد إذن أن يضحي المؤمن بكل صداقة قد يجد فيها مصلحة دنيوية مادية أو معنوية من أجل الله ورسوله، ومن أجل أن يرضى الله تعالى عنه.

٣ – وفي هذا المعنى أو في قريب منه جاء قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)** ﴾ [**التوبة**: ١٨].

وهذه الآية الكريمة تدل على أن أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين يعمرون مساجد الله بحفظ بنائها أو الإقامة فيها والتردد عليها، والذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويعملون الصالحات، ولايخشون أحداً أو عظيما خشية تعظيم أو طاعة، أي أنهم لايبالون أحدا من الناس مهما كانت تربطه بهم علائق من أي نوع: قرابة أو صداقة أو مصالح متبادلة.

هؤلاء يجب أن يضحوا بهذه العلائق إيثاراً لما عند الله وحباً فيه وفيما يأمر به، هؤلاء بهذه التضحية يرجى أن يكونوا من عند الله من المهتدين.

٤ – وفي قريب من هذه المعاني للتضحية في سبيل الله تعالى، جاء قوله سبحانه وتعالى:

﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)** ﴾

[**العنكبوت**: ١٠].

قال ابن القيم في تأويل هذه الآية الكريمة:

«... والإنسان لابد أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم، كمَنْ عنده دينٌ وتُقى، حلَّ بين قوم فجّار ظلمة، لايتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم، أو سكوته عنهم.

فإن وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف ما كان يخافه ابتداء لو أنكر عليهم وخالفهم.

وإن سلم منهم فلابد أن يُهان ويعاقَب على يد غيرهم.

فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمعاوية رضي الله عنه: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا».

وبعد:

فهذه هي التضحية كما وردت معانيها في القرآن الكريم، وقد اشتملت على التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى أي الجهاد، وعلى التضحية بالمال وبذله في سبيل الله تعالى، في الوجوه التي أوجبها أو حبب فيها.

وعلى التضحية بالقرابات القريبة كالآباء والأبناء والإخوان والزوجات من أجل إرضاء الله تعالى بمعاداة أعدائه، وترك موالاتهم والتضحية بكل منفعة ترد منهم.

وعلى التضحية بالصداقات والقرابات البعيدة والجيران من أجل ما أمر الله تعالى.. والتضحية بكل منفعة قد يتسببون فيها.

كل هذه التضحيات إنما طولب بها المؤمنون إيثارا لما عند الله واستجابة لأمره وتقربا إليه وحبا فيه وفي رسوله ﷺ وكتابه ومنهجه.

هذا ما دلت عليه آيات القرآن من معاني للتضحية كما بدت لي، وأساله أن أكون في هذا من الموفقين.

٢- مفهوم التضحية فى السنة النبوية المطهرة

مفهوم التضحية ورد فى السنة النبوية بلفظه أحيانا، وبمعناه فى أحيان أكثر، وفى كل حديث نبوى ورد فيه لفظ التضحية أو معناها لم يخرج عن معنى البذل والعطاء فى سبيل الله سواء أكان هذا البذل والعطاء ماديا أو معنويا؛ فكله تقرب إلى الله تبارك وتعالى.

أولا: بين الأضحية والتضحية

ورد لفظ التضحية فى السنة النبوية فى باب الأضحية أو باب الأضاحى.

والأضحية تضحية بشاة أو نحوها تذبح فى سبيل الله لتزيد العلاقة بين المسلمين وثاقة وقوة، فهى عبادة اجتماعية، تعلم المسلمين وجوب الصدقة، وتقديم الهدية تطييباً للقلوب وتحببا إلى الناس، لأن الإسلام دين اجتماعى على درجة لا يعلى عليها فى تقرير القيم الاجتماعية النافعة فى الدنيا والآخرة.

والتقرب إلى الله تعالى -كما قال أسلافنا من العلماء- بالمال، نوعان:

- نوع بطريق تمليك المال للغير استجابة لأمر الله وهو الصدقات ما فرض منها وما ندب إليها.

- ونوع بطريق ذبح ما يحل أكله والإسهام به فى دفع حاجة المحتاجين وتأليف قلوب الأصدقاء بالهدايا.

وفى الأضحية أو التضحية بما يذبح هذان النوعان من التقرب إلى الله تعالى:

والأضحية سُنّة عن النبى ﷺ، وإن كان بعض الفقهاء يرون أنها واجبة على المياسير والمقيمين.

- وقد وردت فى الأضحية أو التضحية أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها ما يلى:

روى ابن ماجة بسنده عن محمد بن سيرين[1] قال: سألت ابن عمر رضى الله عنهما عن الضحايا، واجبة هى؟

قال: ضحى رسول الله ﷺ والمسلمون من بعده، وجرت به السنة.

وروى ابن ماجة بسنده عن مخنف بن سليم رضى الله عنه[2] قال: كنا وقوفا عند النبى ﷺ بعرفة، فقال: «يأيها الناس إنَ على كل أهل بيت فى كل عام ضحية وعتيرة، أتدرون ما العتيرة؟ هى التى نسميها الرجبية»[3].

---

(١) هو محمد بن سيرين التابعي الجليل، ولد سنة ٣٣ هـ وتوفى عام ١١٠هـ، إمام وقته فى علوم الدين بالبصرة ومن أشراف الكتاب، نشأ بزازا وتفقه وروى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا واستكتبه أنس بن مالك بفارس.

(٢) هو مخنف بن سليم بن الحارث الأزدى، توفى عام ٣٦هـ، وهو صحابي من الأمراء، سكن الكوفة. ولما كان يوم الجمل قدم لنصرة على رضي الله عنه حاملا راية الأزد ومعه جمهور من بجيلة وأنمار وخثعم والأزد يأتمرون بأمره وقاتل حتى قتل.

(٣) العتيرة: ذبيحة من شاة أو نحوها، كانت في الجاهلية يذبحها الناس تقربا إلى آلهتهم في شهر رجب.

وفي سُنية التضحية وردت أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها ما يلى:

روي الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا ضحى أحدكم فليأكل كل من أضحيته».

وروى البخارى بسنده عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفى بيته منه شيء، فلما كان العام المقبل، قالوا يا رسول الله: نفعل كما فعلنا العام الماضى؟ قال: كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهد، فأردت أن تعينوا فيها».

وروى الإمام أحمد بسنده عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: «قلت يا رسول الله: ما هذه الأضاحى؟ قال: سنة أبيكم إبراهيم، قالوا: ما لنا منها؟

قال: بكل شعرة حسنة، قالوا يا رسول الله، فالصوف؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة».

وروى أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «كتب علىّ النحر (أى نحر الأضحية) ولم تكتب عليكم وأمرت بركعتى الضحي ولم تؤمروا بهما».

وروي ابن ماجة بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ما عمل ابن آدم عملا أحب إلي الله عز وجل من هراقة دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض فيطيبوا بها نفسا».

وروي الطبرانى في الأوسط بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس ضحوا واحتسبوا بدمائها، فإن الدم وإن وقع في الأرض فإنه يقع في حرز الله عز وجل».

وروى الطبرانى في الكبير بسنده عن حسين بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضحي طيبة بها نفسه، محتسبا لأضحيته كانت له حجابا من النار».

وروى أبو القاسم الأصفهاني بسنده عن علي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا فاطمة قومى فاشهدى أضحيتك فإن لك بأول كل قطرة من دمها مغفرة كل ذنب، أما إنه يجاء بلحمها ودمها توضع في ميزانك سبعين ضعفا». قال أبو سعيد رضي الله عنه: يا رسول الله، هذا لآل محمد خاصة، فإنهم أهل لما خصوا به من الخير، أو للمسلمين عامة؟ قال: «لآل محمد خاصة وللمسلمين عامة».

ومن مجموع هذه الأحاديث النبوية الشريفة نستطيع أن نصل إلي الاحكام المتعلقة بالأضحية وهي:

- أن الأضحية مشروعة، ولاخلاف في مشروعيتها،
- وأنها محبوبة، بل من أحب الأعمال إلى الله تعالى يوم النحر،
- وأنها تأتي يوم القيامة علي الصفة التي ذبحت عليها، ويقع دمها بمكان من القبول عند الله قبل أن يقع علي الأرض،
- وأن علماء المسلمين قد اختلفوا في حكمها علي النحو التالي:

– جمهور الصحابة والتابعين وكثير من أئمة المذاهب يرون أنها سنة مؤكدة في حق الموسر من الناس ولا تجب عليه، وأصحاب هذا الرأي هم:

من الصحابة: أبو بكر الصديق، وعمر، وبلال رضي الله عنهم.

ومن التابعين: سعيد بن المسبب وعطاء[١] وعلقمة[٢].

ومن الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد.

ومن أجلاء العلماء: أبو يوسف[٣] صاحب أبي حنيفة، وأبو ثور الكلبي[٤] وابن المنذر وغيرهم.

– وقال أبو حنيفة والليث[٥] والأوزاعي[٦] إنها واجبة علي الموسر، إلا الحاج بمني.

– وقال محمد بن الحسن[٧] صاحب أبي حنيفة هى واجبة على المقيم بالأمصار.

---

(١) هو عطاء بن أبي رباح، ولد باليمن ونشأ بمكة، كان أسود أعور أشل أعرج ثم عمي فى آخر عمره، كان من سادات التابعين المقدمين فى الفقه والورع، ولد سنة ٢٧ هـ ومات سنة ١١٤ هـ.

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي ولد في حياة النبي ﷺ وروي الحديث عن الصحابة ورواه عنه كثيرون، غزا خراسان وأقام بخوارزم سنتين وبمرو مدة وتوفي بالكوفة سنة ٦٢ هـ، وهو فقيه العراق.

(٣) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب أبو يوسف صاحب أبي حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه، ولد سنة ١١٣ هـ، كان فقيها علامة من حفاظ الحديث، ولد بالكوفة وولي قضاء بغداد في أيام المهدي والهادي والرشيد ومات في خلافة الرشيد ببغداد وهو علي القضاء، ويقال له: قاضي قضاة الدنيا.

(٤) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان أبو ثور الفقيه صاحب الإمام الشافعي، كان أحد الأئمة فقها وعلما وورعا وفضلا، صنف الكتب وفرع علي السنن، مات ببغداد شيخاً سنة ٢٤٠هـ.

(٥) هو الليث بن سعد الفهمي أبو الحارث ولد سنة أربع وتسعين من الهجرة، وهو من أشهر التابعين بمصر، كان أحد الأئمة فقها وعلما وورعا ونجدة وسخاء، كان لا يدخل عليه أحد إلا أدخله في جملة عياله؛ ينفق عليه فإذا أراد الخروج زوده ما يبلغه إلى وطنه، مات بمصر سنة ١٧٥هـ.

(٦) هو عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي نسبة إلى أوزاع قرية بدمشق، ولد سنة ٨٠هـ، أحد الأئمة فقها وعلما وحفظا وورعا وزهادة، مات مرابطا فى سبيل الله ببيروت سنة ١٥٧هـ.

(٧) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى صاحب أبى حنيفة، ولد سنة ١٣١هـ وهو الذى نشر علم أبى حنيفة، تولى القضاء على عهد الرشيد، ومات فى الرى عندما صاحب الرشيد إلى خراسان سنة ١٨٩هـ.

- ولابن حزم الأندلسي[١] عبارة يقول فيها «الأضحية سنة حسنة، وليست فرضا، ومن تركها غير راغب عنها- أى غير رافض لها - فلا حرج عليه فى ذلك، ومن ضحى عن امرأته أو ولده أو أمته فحسن، ومن لا فلا حرج فى ذلك.

ومن أراد أن يضحى ففرض عليه إذا أهل هلال ذى الحجة أن لا يأخذ من شعره، ولا من أظفاره شيئا حتى يضحى ولا يحلق ولا يقص ولا بغير ذلك، ومن لم يرد أن يضحى يلزمه ذلك[٢].

- وفى الشروط والواجبات فى الأضحية يقول ابن حزم: « وفرض على كل مضح أن يأكل من أضحيته ولابد ولو لقمة فصاعدا، وفرض عليه أن يتصدق أيضا بما يشاء قل أو كثر ولابد، ومباح له أن يطعم منها الغنى والكافر، وأن يهدى منها إن شاء ذلك...»[٣].

وبعد:

فهذه هى التضحية فى السنة النبوية المطهرة وتلك أحكامها، فعلى أى شىء يدلنا هذا؟

ذلك ما نحاول الإجابة عنه فيما يلى، والله ولى التوفيق.

---

(١) هو على بن أحمد بن حزم الأندلسى الظاهرى أبو محمد، ولد فى قرطبة سنة ٣٨٤هـ عالم الأندلس فى عصره، وأحد أئمة الإسلام، فقيه عالم، وهو صاحب كتاب المحلى وكتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل، توفى سنة ٤٥٦هـ.

(٢) ابن حزم: المحلى: ٣٥٥/٧ طبعة المنيرية بالقاهرة ١٣٤٧هـ.

(٣) السابق: ٣٨٣/٧.

ثانيا: القيم الإسلامية فى التضحية

أ ـ توقيت التضحية وهدفه

شرعت التضحية فى وقت بعينه هو يوم عيد الأضحى من كل عام، ليتعلم المسلمون من ذلك ما يلى:

أن من السنة أن يضحى المسلم ببعض ماله فى سبيل الله، وسبيل الله مفهوم واسع يدخل فيه كل أنواع الخير، ومنه هنا إطعام الفقراء والتصدق عليهم على سبيل الفرض ما دام قد ضحى.

وذلك من أجل تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين من جانب وبين المسلمين وغيرهم من جانب آخر، لجواز أن يطعم من أضحيته الكافر ونحوه ـ كما قرر ذلك الفقهاء.

ب ـ أهداف التضحية وأبعادها

فى التضحية تعويد للمسلمين على التقرب إلى الله فى مناسبات بعينها، ليصبح ذلك شأنهم فى سائر الأوقات والمناسبات، وهذه التضحية مربوطة دائما بأن يصل النفع إلى الناس عموما ،فإن كانوا فقراء كان نفعهم بدفع الحاجة عنهم، وإن كانوا موسرين كان نفعهم بالهدية وما لها من قدرة على تطييب القلوب.

وهذه التضحية إحسان والأصل فى الإحسان أن يكون إلى الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم، ولا عجب فى أن يصل الإحسان إلى الكافر لأنه من أمة الدعوة، وقد يكون توجيه الدعوة إليه بالإحسان إليه هكذا أجدى من أن تصل إليه الدعوة من خلال كلمة أو حوار.

والدعوة إلى الله وإلى دين الحق تضحية وتحمل، والذى يضحى فى الدعوة بجهده ووقته وماله تقربا إلى الله تعالى ليس أقل ـ إن لم يكن أحسن ـ ممن يضحى بشاة فى سبيل الله تعالى.

وبغير تلك التضحية بالوقت والجهد والمال لا تثمر الدعوة إلى الله، فتجمع الناس على الحق وعلى الدين الصحيح، ولا تجدى الحركة والاختلاط بالناس وتقديم النفع لهم وحب

الخير للجميع، لا تجدى فى أن يلتزم الناس بشرع الله ونظامه ومنهجه بل لا يكون انتماء إلى هذا الدين الخاتم الذى أتمه الله وأكمله ورضيه للبشرية كلها دينا.

ولا نبالغ فى شىء إذا قلنا: إنه بغير التضحية فى سبيل الله لا يكون عمل إسلامى على أى مستوى من مستوياته وفى أى مجال من مجالاته، لا على مستوى الأفراد ولا الأسر ولا الجماعات ولا المجتمعات ولا الأمة المسلمة، ولا يكون فى مجال التربية ولا التنظيم ولا التمكين ولا المحافظة على التمكين.

ثالثا: التضحية والعمل من أجل الإسلام

إن جعل التضحية من سنن الإسلام يدل على أمور كثيرة يستطيع الدعاة إلى الله والعاملون في مجال الحركة الاسلامية وفى كل مجالات العمل من أجل الاسلام أن يأخذوا بها، وهذه الأمور الدالة المربية نذكر منها ما يلى:

- أن كل خطوة من خطوات العمل من أجل الإسلام تحتاج إلى تضحية أو تسن فيها التضحية إن لم تجب وجوبا،
- وأن التشابه بل الارتباط بين الأضحية والتضحية واضح لكل ذى بصر وبصيرة، وأن العلاقة بينهما وثيقة؛ إذ كل منهما تقرب إلى الله تعالى بما يحب،
- وأن كلا من الأضحية والتضحية يحقق تعاونا بين المسلمين وترابطا وتكافلا، وأن المسلمين لا يستطيعون العيش إلا فى ظل التعاون على البر والتقوى والترابط الفكرى والاجتماعى والسياسى والتكافل لدعم الأخوة فى الإسلام، ودفع الحاجة أيا كان نوعها عن المحتاجين،.
- وأن كلا من الأضحية والتضحية خير للمضحى والمضحي من أجله، والله تبارك وتعالى قد أطلق فعل الخير من كل قيد فقد قال تعـــالى: ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾

[**الحج**: ٧٧].

وبعـــد:

فهذا عن التضحية كما وردت بلفظها فى سنة النبى ﷺ .

رابعا: التضحية الواردة فى السنة بمعناها لا لفظها

أما ورود التضحية فى السنة النبوية بمعناها، فأغلب ما جاءت بمعنى بذل المال فى سبيل الله لدفع حاجة المحتاجين، ودفع العدو عن أرض المسلمين، وسوف نذكر فى هذين المعنيين للتضحية عددا من الأحاديث النبوية الشريفة، نرجو أن ننتفع بها ونسير على هديها فى حياتنا.

أما التضحية بمعنى البذل فى سبيل الله لدفع حاجة المحتاجين فقد وردت فيها الأحاديث النبوية التى نسميها كرما أو جودا، على اعتبار أن هذا خلق أصيل دعا إليه الإسلام وحبب فى الاتصاف به، ومن ذلك:

- ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا».

والمنفق فى الحديث يعنى من ينفق ماله ويبذله فى سبيل الله ليدفع به حاجة المسلمين عموما، وذلك تضحية وكرم وجود، والممسك هو الذى يكف يده عن الإنفاق فى سبيل الله، فيترتب على هذا الكف والإمساك تضييع لمصالح المسلمين وتخل عن سد حاجاتهم.

- وروى البيهقى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان نار جهنم فى جوف عبد، ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد».

- وروى البيهقى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش، وإياكم والظلم فإنه عند الله ظلمة يوم القيامة، وإياكم والشح والبخل فإنه دعا من قبلكم إلى أن يقطعوا أرحامهم فقطعوها ودعاهم إلى أن يستحلوا محارمهم فاستحلوها ودعاهم إلى أن يسفكوا دماءهم فسفكوها».

- وروى البيهقى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خلتان يحبهما الله وخلتان يبغضهما الله، فأما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل، فإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس».

- وروى البيهقى بسنده عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد والتقوى، وهلاك آخرها بالبخل والفجور».

- وروى البيهقى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، ولجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل».

- وروى البيهقى بسنده عن جابر رضى اله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: «إن هذا الدين أرتضيه لنفسى ولن يصلح له إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه»[1].

- وروى البيهقى أيضا بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تجافوا عن ذنب السخى فإن الله عز وجل آخذ بيده كلما عثر».

وفى رواية أخرى لغير البيهقى رُوى هذا الحديث، وفيه كلمة تجاوزوا «بدل كلمة تجافوا».

- وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: أتى علينا زمان وما نرى أحدنا أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد فى سبيل الله، أدخل الله عز وجل عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم».

- **والعينة**: بيع بالسلف محظور لما يترتب عليه من إلحاق الضرر بالطرف الآخر من طرفى البيع، وصورته أن يبيع رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم، ثم يشتريها ممن باعها إياه بثمن أقل ويعطيه الثمن فى الحال، وذلك فيه استغلال لحاجة الذى اشترى ثم باع.

- وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان رجلا موسرا وكان يخالط الناس، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، فقال الله عز وجل لملائكته: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه».

- وروى الدارقطنى فى كتابه «الأفراد» بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه

(١) هذه الأحاديث النبوية التى رواها البيهقى جاءت فى كتابه الجامع «شعب الإيمان» فى أماكن متفرقة من الكتاب.

قال: قال رسول الله ﷺ: «السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات في الدنيا، فمن أخذ منها قادة ذلك الغصن إلى النار».

وقد روى هذا الحديث عدد من علماء السنة منهم:

البيهقي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

وابن عدى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه،

وأبو نعيم في الحلية بسنده عن جابر رضي الله عنه،

وابن عساكر بسنده عن أنس رضي الله عنه،

والخطيب بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه،

والديلمي في مسند الفردوس بسنده عن معاوية رضي الله عنه.

وإنما ذكرت هؤلاء العلماء ليكون في هذا الحديث ثقة إذ رووه ووثقوه وإن كان بعض العلماء قد ضعفوه في السند الذى وصل إلى هؤلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

والحديث الضعيف يؤخذ به في فضائل الأعمال كما هو مقرر بين علماء الحديث والفقه.

خامسا: الجهاد في سبيل الله تضحية، وتدرج التشريع فيه

وأما البذل في سبيل الله لدفع العدو عن الإسلام والمسلمين فهو إنفاق المال والجهد والوقت والنفس في الجهاد في سبيل الله عز وجل، لتكون كلمة الله هي العليا.

والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا هو الأصل، ولكن الله تبارك وتعالى شرع الجهاد على تدرج يلائم حالة المسلمين يوم جاءهم محمد ﷺ بهذا الدين الخاتم.

وقد كان من شأن تدرج التشريع في الجهاد ما يلي:

أ ـ أذن الله للنبي ﷺ وللمؤمنين أن يقاتلوا من قاتلهم ـ بعد أن لم يكن ذلك مسموحا به من قبل ـ فنزل قول الله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)** ﴾. [البقرة: ١٩٠ وما بعدها حتى الآية ١٩٣].

ب ـ أذن الله تعالى لهم في القتال ابتداء أي دون أن يقاتلهم أحد، فنزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)** ﴾. [الحج: ٣٩، ٤٠].

جـ ـ فرض الله الجهاد على رسوله وعلى المسلمين فرضا لا يقعدون عنه فنزل قول الله تعالي: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١٦)** ﴾ [البقرة: ٢١٦].

د ـ ألزم الله تعالى نبيه ﷺ والمسلمين الجهاد إلزاما لا مخرج منه، فنزل قوله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)** ﴾ [التوبة: ١١١].

والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا لا يكون بغير تضحية بالنفس والمال، وبالجهد والوقت وكل ما يستطيع الإنسان أن يقدمه في سبيل الله تعالى.

والتضحية بالنفس ـ أي الموت في سبيل الله تعالى ـ قد تحدثنا عنها في الحلقة السابقة من هذه السلسلة وهي: الركن الرابع من أركان البيعة وهو الجهاد أو الركن الذي لا تحيا الدعوة إلا به[1].

---

(١) هي سلسلة في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا وقد صدر منها: الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

سادسا: التضحية بالمال كما جاءت فى السنة

والتضحية بالمال هي ما نتحدث فيه الآن من خلال ما جاء فيها من أحاديث نبوية شريفة وقد اخترنا منها عشرة أحاديث للاستشهاد وإن كانت هى أكثر من ذلك بكثير.

وفى التضحية بالمال وبذله فى سبيل الله تعالى نتحدث الآن من خلال سنة الرسول ﷺ ممهدين لذلك بآيتين من القرآن الكريم وردتا وفيهما حث على الجهاد فى سبيل الله.

إحداهما: قوله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)** ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

والأخرى: قوله تعالى: ﴿ **لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)** ﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وأما الأحاديث النبوية الواردة فى التضحية بالمال وبذله فى سبيل الله تعالى فكثيرة نذكر منها ما يلى:

- روى الدارمى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله: أى الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم من؟ قال مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره».

- وروي النسائى بسنده عن سبرة بن أبى فاكه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول (الحبل يربط فى يد الدابة). فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد، فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فهاجر.

فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة.

ومن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة،

وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة،

وإن وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة».

– وروى البيهقي بسنده عن عتبة بن عبد السلمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الممتحن في جنة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة. ورجل مؤمن فرق (خاف) على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بماله ونفسه فى سبيل الله، حتى إذا لقى العدو وقاتل حتى يقتل فتلك مخمصة تحط من ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء الخطايا وأدخل من أى أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض. ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقى العدو قاتل فى سبيل الله حتى يقتل، فإن ذلك فى النار، إن السيف لا يمحو النفاق».

– وروى أبو داود بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول اله ﷺ: «الغزو غزوان فأما من غزا ابتغاء وجه الله تعالى، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة (أى من المال) وياسر الشريك واجتنب الفساد في الأرض فإن نومه ونبهه أجر كله. وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصى الإمام وأفسد فى الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف».

– وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ بناقة مزمومة (أى مربوطة بزمامها ـ أى لجامها) صدقة يعنى فى سبيل الله، فقال له رسول الله ﷺ: «ولك يوم القيامة بها سبعمائة ناقة مزمومة».

– وروى الترمذى بسنده عن خزيم بن فاتك الأسدى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة فى سبيل الله، كتب له سبعمائة ضعف».

– وروى الدارمي بسنده عن صعصعة بن معاوية قال: لقيت أبا ذر رضى الله عنه وهو يسوق جملا له، أو يقوده، فى عنقه قربة، قلت يا أبا ذر، مالك مالك؟ قال لى عملى، فقلت مالك مالك؟ قال: لى عملى، قلت حدثنى حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أما من مسلم أنفق زوجين من مال فى سبيل الله إلا ابتدرته حجبة الجنة» قال أبو محمد: «زوجين أى درهمين، أو أمتين أو عبدين أو دابتين».

– وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ ـ

«ومن أنفق زوجاً- أو قال: زوجين من ماله- أراه قال: فى سبيل الله، دعته خزنة الجنة، يا مسلم هذا خير هلم إليه، قال أبو بكر رضى الله عنه: هذا رجل لا تردى عليه، فقال رسول الله ﷺ: ما نفعنى مال قط إلا مال أبى بكر، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعنى الله إلا بك، وهل نفعنى الله إلا بك؟!».

- وروى البيهقي بسنده ـ فى كتابه: شعب الإيمان- عن محمد بن عقبة القاضي عن أبيه عن جدة قال: أتينا تميما الدارى رضى الله عنه، وهو يعالج شعيرا لفرسه، فقلنا له: يا أبا رقية، أما لك من يكفيك؟ (أى يكفيك خدمة فرسك) قال: بلى، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ارتبط فرسا فى سبيل الله عز وجل عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة».

- وروى البيهقي بسنده عن صعصعة بن معاوية قال: دخلت على أبى ذر رضى الله عنه، قال: قلت مالك؟ قال: لى عملى، لى عملى، لى عملى، قلت حدثنى رحمك الله، قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم ينفق من ماله زوجين فى سبيل الله تعالى إلا استبقته حجبة الجنة، كلهم يدعوه إلى ما عنده قلت: كيف ذلك رحمك الله؟، قال: إن كانت رجلاً فرجلين، وإن كانت إبلا فبعيرين، وإن كانت بقرا فبقرتين».

وبعد:

فهذه هى التضحية فى السنة النبوية المطهرة، فى مجال بذل المال وإنفاقه فى سبيل الله تعالى، وبذل كل ما دون النفس من جهد وقت وإمكانات.

أما بذل النفس فقد تحدثنا عنه بالتفصيل فى كتابنا: الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفا - فأغنى ذلك عن إعادة الحديث فيه هنا، فليرجع إليه من أراد، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

٣ ـ التضحية فى تاريخ النبى ﷺ

نقصد بتاريخ النبى ﷺ حياته وسيرته الشخصية، فلقد ضحى رسول الله ﷺ وتحمل فى سبيل الله ما تحمل، مما لا يطيقه أحد سواه.

ولقد ضرب رسول الله ﷺ فى التضحية من أجلِ الدين أروع الأمثال ولقد كان من تضحيته ﷺ أن تحمل الشدائد واحتمل صنوف الأذى.

قال ابن إسحق[1]: «وكانت قريش إنما تسمى رسول الله ﷺ مُذَمّماً، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: «ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما، وأنا محمد».

(١) هو محمد بن إسحق بن يسار، المدنى من أقدم مؤرخى العرب، عاش بالمدينة المنورة وزار الاسكندرية وسكن بغداد، ومات بها، قال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن اسحق فى علمه أو يوازيه فى جمعه وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار وكان من حفاظ الحديث مشهورا بالصدق والإتقان، له: السيرة النبوية رواها عنه ابن هشام توفى سنة ١٥١هـ.

أولاً: أعداء رسول الله الذين آذوه

ومن صور إيذاء المشركين لرسول الله ﷺ ما ذكره ابن إسحق في السيرة النبوية قال:

«وفيمن نصب لعداوته منهم:

- أبو لهب وامرأته:

وأبو لهب عم الرسول ﷺ وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب، وإنما سماها الله حمالة الحطب لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر، فأنزل الله تعالى فيها: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)**﴾ [المسد: ١ - ٥].

هذا عن أم جميل زوج أبي لهب.

أما أبو لهب نفسه - واسمه عبد العزى - فيقول ابن إسحق في أذاه لرسول الله ﷺ:

«...ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: يا بني فلان: إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي، وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به.

قال: وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان، عليه حُلّة عدنيّة - هو عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب - فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان: إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيس إلى ما جاء به من البدعة والضلال، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه».

- ومنهم: أمية بن خلف بن وهب:

وكان إذا رأى رسول الله ﷺ همزه - أي شتمه علانية - ولمزه - أي عابه أمام الناس وآذاه وذكره بسوء. فأنزل الله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)**﴾

[الهمزة: ١ - ٩].

- ومنهم : النضر بن الحارث:

وكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا، فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن وحذر قريشا ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم الشديد، وعن اسفنديار، وملوك الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثا مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها، فأنزل الله فيه: ﴿ **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦)** ﴾ [الفرقان: ٥، ٦].

- ومنهم: عقبة بن أبي معيط

قال ابن إسحق: «كان أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط متصافيين، حسنا ما بينهما، وكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه فبلغ ذلك أبيا فأتى عقبة فقال: ألم يبلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه؟! ثم قال: وجهي من وجهك حرام أن أكلمك - واستغلظ من اليمين - إن أنت جلست إليه أو استمعت منه، أو لم تأته فتتفل في وجهه ففعل من ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩)** ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

هذه صور مما تحمله رسول الله ﷺ فكان فيها مضرب المثل في التضحية من أجل هذا الدين العظيم الذى جاء به إنقاذا للبشرية كلها.

ثانيا: نماذج من الأذى الذى تعرض له النبى ﷺ

وإذا كان ما قدمناه آنفا هو صورة من الأذى الذى تعرض له الرسول ﷺ على أيدى أشخاص بأعيانهم كأبى لهب وأمية وعقبة وأمثالهم فليس ذلك كل الأذى الذى تعرض له.

وفيما يلى نماذج من أنواع الأذى التى تعرض لها الرسول ﷺ فيما رواه عنه علماء الحديث الشريف، مما نشير إلى نماذج منه فيما يلى:

– روى الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوذيت فى الله، وما يؤذى أحد، وأخفت فى الله وما يخاف أحد، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة، ومالي ولبلال ـ رضى الله عنه ـ ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال».

وأخرجه ابن ماجة وابن حبان، والترمذى.

– وأخرج الطبرانى فى الكبير بسنده عن الحارث بن الحارث، قال: قلت لأبى: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابئ لهم، قال: فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله عز وجل والإيمان وهم يردون عليه ويؤذونه ـ وفى رواية: فمنهم من تفل فى وجهه ومنهم من حثا عليه التراب ومنهم من سبه– حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه، أقبلت امرأة قد بدا نحرها، تحمل قدحا ومنديلا فتناوله منها فشرب، وتوضأ ثم رفع رأسه فقال: يا بنيه ، خمرى نحرك ولا تخافى على أبيك ـ وفى رواية ولا تخشى على أبيك– غيلة ولا مذلة، فقلت: من هذه؟ قال: زينب بنت رسول الله ﷺ.

– وروى ابن أبى شيبة بسنده عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: ما رأيت قريشا أرادوا قتل النبى ﷺ إلا يوما، ائتمروا به وهم جلوس فى ظل الكعبة ورسول الله ﷺ يصلى عند المقام فقام إليه عقبة بن أبى معيط فجعل رداءه فى عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ساقطا، وتصايح الناس فظنوا أنه مقتول، فأقبل أبو بكر رضي الله يشتد، حتى أخذ بضبعى رسول الله ﷺ من ورائه وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] ثم انصرفوا عن النبى ﷺ فقام رسول الله ﷺ فصلى، فلما قضى صلاته مر بهم ـ وهم جلوس فى ظل الكعبة– فقال: يا معشر قريش: أما والذى نفس محمد بيده: ما أرسلت إليكم إلا بالذبح وأشار بيده إلى حلقه فقال له أبو جهل: ما كنت جهولا، فقال رسول الله ﷺ: «أنت منهم».

– وروى البزار بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ فى

المسجد وأبو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف ورجلان آخران، كانوا سبعة وهم فى الحجر، ورسول الله ﷺ يصلى، فلما سجد أطال السجود، فقال أبو جهل: أيكم يأتى جزور بنى فلان فيأتينا بفرثها فنكفؤه على محمد؟

فانطلق أشقاهم: عقبة بن أبى معيط فأتى به فألقاه على كتفى رسول الله ﷺ وهو ساجد، قال ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم، وليس عندى منعة تمنعنى فأنا أذهب إذ سمعت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأقبلت حتى ألقت ذلك عن عاتقة ثم استقبلت قريشا تسبهم فلم يرجعوا إليها شيئا، ورفع رسول الله ﷺ رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: اللهم عليك بقريش ثلاثا، عليك بعتبه وعقبة وأبى جهل وشيبة، ثم خرج من المسجد فلقيه أبو البخترى بسوط يتخصر به، فلما رأى النبى ﷺ أنكر وجهه فقال: مالك؟ فقال النبى ﷺ «خل عنى» قال: علم الله لا أخلى عنك أو تخبرنى ما شأنك؟ فلقد أصابك شىء، فلما علم النبى ﷺ أنه غير مخل عنه أخبره فقال: «إن أبا جهل أمر فطرح علىَّ فرث، فقال أبو البخترى: هلم إلى المسجد، فأتى النبى ﷺ وأبو البخترى فدخلا المسجد ثم أقبل أبو البخترى إلى أبى جهل فقال: يا أبا الحكم: أنت الذى أمرت بمحمد فطرح عليه الفرث؟ قال: نعم، قال: فرفع السوط فضرب به رأسه. قال: فثار الرجال بعضها إلى بعض، قال: وصاح أبو جهل: ويحكم، هى له، إنما أراد محمد أن يلقى بيننا العداوة، وينجو هو وأصحابه».

- وأخرج الطبرانى فى الكبير بسنده «عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق حليف بنى زهرة مرسلا أن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ بالصفا فآذاه وكان حمزة رضى الله عنه صاحب قنص وصيد، وكان يومئذ فى قنصه فلما رجع قالت له امرأته -- وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل برسول الله ﷺ -: يا أبا عمارة لو رأيت ما صنع - تعنى أبا جهل - بابن أخيك، فغضب حمزة رضى الله عنه، ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته وهو معلق قوسه فى عنقه حتى دخل المسجد، فوجد أبا جهل فى مجلس من مجالس قريش فلم يكلمه حتى علا رأسه بقوسه فشجه فقام رجال من قريش إلى حمزة يمسكونه عنه، فقال حمزة: دينى دين محمد ﷺ أشهد أنه رسول الله فو الله لا أنثنى عن ذلك فامنعونى من ذلك إن كنتم صادقين فلما أسلم حمزة رضى الله عنه عز به رسول الله ﷺ والمسلمون، وثبت لهم بعض أمرهم وهابت قريش وعلموا أن حمزة رضى الله عنه سيمنعه».

- وأخرج البخارى بسنده عن عروة رضى الله عنه عن عائشة زوج النبى ﷺ ورضى الله عنها، حدثته أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟

قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت - وأنا مهموم -

على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبرائيل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال ذلك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا».

أخرجه مسلم والنسائي.

— وأخرج أبو نعيم بسنده ـ في دلائل النبوة ـ عن عروة ابن الزبير رضي الله عنه قال:

ومات أبو طالب وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة فعمد إلى ثقيف يرجو أن يؤووه وينصروه، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم إخوة عبد ياليل بن عمرو وخبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو، فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء، وما انتهك قومه منه فقال أحدهم:

أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط.

وقال الآخر:

والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبدا لئن كنت رسولا لأنت أعظم شرفا وحقا من أن أكلمك.

وقال الآخر:

أعجز الله أن يرسل غيرك؟

فأفشوا ذلك في ثقيف ـ أي الذي قال لهم ﷺ – واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفين على طريقه، فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون.

فلما خلص من صفّيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم، فأتى ظل حبلة ـ أي شجرة عنب من الكروم– فجلس في أصلها مكروبا موجعا تسيل قدماه الدماء فإذا في الكروم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله، وبه الذي به فأرسلا إليه غلامهما عداسا بعنب– وعداس نصراني من أهل نينوى ـ فلما أتاه وضع العنب بين يديه، فقال رسول الله ﷺ:

بسم الله.

فعجب عداس.

فقال له رسول الله ﷺ: «من أى أرض أنت يا عداس»؟

قال: أنا من أهل نينوى.

فقال النبى ﷺ: «من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متى؟

فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متى؟

فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عرف وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدا يبلغه رسالات الله تعالى.

قال: يا رسول الله أخبرنى خبر يونس بن متى.

فلما أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن مَتّى ما أوحى إليه من شأنه خر ساجدا للرسول ﷺ ثم جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء.

فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا له:

ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه، ولم نرك فعلت هذا بأحد منا؟ قال:

هذا رجل صالح حدثنى عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا يدعى يونس بن متى، فأخبرنى أنه رسول الله، فضحكا وقالا:

لا يفتننك عن نصرانيتك، إنه رجل يخدع،

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ بعد هذا الموقف: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى، إلى بعيد يتجهمنى، أم إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىّ سخطك، لك العبتى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

– وأخرج البخارى ومسلم والترمذى بأسانيدهم عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ، كسرت رباعيته يوم أحد وشج فى رأسه، فجعل يسلت الدم عن وجهه، ويقول: «كيف يصلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟».

فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ثالثاً: بعض الحقائق في التضحية في حياة النبي ﷺ

وبعد، فعند التأمل والتدبر لهذه الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ، وتلك الكلمات التي نطق بها ﷺ في هذه الأحداث، تتبين لنا حقائق هامة في التضحية في حياة الرسول ﷺ.

ومن هذه الحقائق المضيئة المعلمة في مجال الدعوة إلى الله ومجال الإصلاح، والتجديد لأمر الدين ما نشير إلى بعضه فيما يلي:

أ- التضحية بكل شيء:

تلك هي الحقيقة الأولى كما اتضحت في حياة النبي ﷺ، التضحية بكل شيء مادي كان أو أدبي أو معنوي نفسي.

وفي مجال التضحية المادية:

تحمل رسول الله ﷺ العذاب البدني والضرب والأذى كما أوضحنا آنفا، وتحمل الجوع حتى ما كان يجد هو وبلال ما يأكله ذو كبد، وتحمل الحصار والحبس في شعب بني هاشم، حتى أكل هو ومن كانوا معه في الشعب من مسلمي بني هاشم وبني المطلب ورق الشجر والجلد ونحو ذلك.

وفي مجال التضحية الأدبية:

أي التضحية بالمكانة التي كانت له بين المشركين قبل النبوة، حيث كانوا يطلقون عليه الصادق الأمين، وكانوا يضعون عنده الأمانات، ضحى بذلك كله، وتحمّل من أجل الدعوة إلى الله أن يتهموه بالكذب، وأن يزعموا أنه مجنون يأتيه رئي من الجن، وزعموا أنه أتى بالقرآن الكريم من عند نفسه، أو من عند واحد من أهل الكتاب، أو أنه من أساطير الأولين.

وفي مجال التضحية المعنوية النفسية:

فقد ضرب رسول الله ﷺ في ذلك أروع النماذج- كما ذكرنا آنفا- فقد عذب وأهين على مرأى من أصحابه ومسمع، وأغلبهم لايملك أن يدفع عنه، بل رآه على تلك الحال بعض بناته رضوان الله عليهن كزينب وفاطمة رضي الله عنهما.

وكان من شأن هذه التضحية والصبر عليها وتحمل أعبائها أن ينصرف عنه الأتباع خشية أن يصيبهم ما أصابه، ولكن شاء الله تعالى أن تكون النتيجة خيراً كثيراً:

فعلى مستوى المؤمنين ازدادوا إيمانا واستمساكا.

وعلى مستوى الكفار عطف عليه هذا التحمل والصبر قلوب بعض المشركين فمنهم من دافع عنه، ومنهم من أسهم فى نقض صحيفة الظلم والقطيعة، بل دخل بعضهم فى الإسلام كحمزة عم النبى ﷺ.

– فلقد دافع عنه، بل شج من أجله أبا جهل أبو البخترى العاص بن هشام بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى.

– ولقد عمل على نقض صحيفة الظلم والقطيعة مجموعة من المشركين منهم:

هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة،

وزهير بن أبى أمية،

ومطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف،

وأبو البخترى العاص بن هشام ،

وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد،

وسهل بن بيضاء الفهرى.

وتلك سنة الله تعالى في تبليغ رسالاته، لابد أن تكون فيها تضحيات من كل أنواع التضحيات.

ب– ومع التضحية صبر واحتساب

الأصل فى التضحية في سبيل الله أن يكون معها صبر بل صبر جميل، واحتساب للأجر والثواب عند الله تعالى، ومعنى ذلك ألا يكون فيها شيء من الضيق أو التبرم فضلا عن السخط واليأس.

وقد كان ذلك هو المنطق النبوى الكريم في تضحياته، منطق لا يستكين ولا يضعف وإنما يعلن: «إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي».

فالعبرة فى أن يكون ما بين الداعي إلى الله، وربه سبحانه عامراً بالصلاح والتقوى والصبر والاحتساب، عندئذ يستطيع الداعي إلى الله أن يعيش حالة من الرضا والسعادة وانتظار فرج الله وتأييده ونصره، بالكيفية التى يشاؤها الله وفى الوقت والمكان والظروف التى يريد سبحانه وتعالى.

وليس مضحياً ولا صابرا ذلك الذى يقول: لقد ضحيت وصبرت!! أو يقول مستبطئا: متى نصر الله؟ لأن ذلك معناه أن ثقته في الله تعالى قد اهتزت بعض الاهتزاز وأن تضحيته

وصبره لم تكن جميعاً لله تعالى وإنما شابتها بعض الشوائب والعياذ بالله.

جـ- وجزاء التضحية عند الله تعالى أعظم الجزاء

فلقد ضحى رسول الله ﷺ بما ضحى به، وجزاه الله تعالى عن تضحياته خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فقد طهر جزيرة العرب من الشرك قبل أن يلحق بربه واستطاع أن يجلى اليهود وأن ينتصر عليهم وهم أعداؤه الألداء الذين خانوا وغدروا وحاولوا قتله أكثر من مرة.

وعاش حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا، واستطاع أن يرد وأن يناوش جيوش الروم الطامعة، وما مات ﷺ حتى كان الله تعالى قد أعز به وبصحبه الإسلام وأعزهم به.

وأما في الآخرة فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطاه فيها الشفاعة، وأعد له من الجزاء مالايعلم عظمته وضخامته إلا الله تبارك وتعالى.

والدعاة إلى الله كذلك:

تضمن الله تعالى لهم بأحسن الجزاء الأخروى إذا كانت تضحياتهم خالصة لله تبارك وتعالى، وعد الله لايخلف الله وعده فقال سبحانه: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)** ﴾ [التوبة: ٧٢].

وأما الجزاء الدنيوى فمحتمل وليس قطعيا، لأنه سبحانه وعد بالنصر لمن نصره ونصر دينه وأخلص له القول والعمل والدعوة والحركة والجهاد، وعند تخلف شيء من ذلك قد يتأخر النصر، وقد يختار له أقواماً أشد إيمانا وأقوى يقينا، قال سبحانه: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)** ﴾ [محمد: ٣٨] أي خيرا منكم.

وقد يكون من حكمة الله تعالى أن تستمر التضحيات من أجل هذا الدين ليزيد الرصيد من العمل الصالح ويتنزل النصر وقد مهدت له الأرض والنفوس والأحداث.

وليس لأحد من الدعاة إلى الله أو العاملين في مجالات التمكين لدين الله في الأرض أن يقلل من شأن التضحيات أو يهون من قدر الصبر عليها وتحمل لأوائها في سبيل الله تعالى، لأنه بغير هذه التضحيات لايتصور أن يكون التمكين لدين الله في الأرض.

د - وفى تضحيات الرسول ﷺ عبرة وعظة

هذه التضحيات التى تحملها رسول ﷺ ، مليئة بالعبر والعظات وملامح التربية للمسلمين من بعده ﷺ.

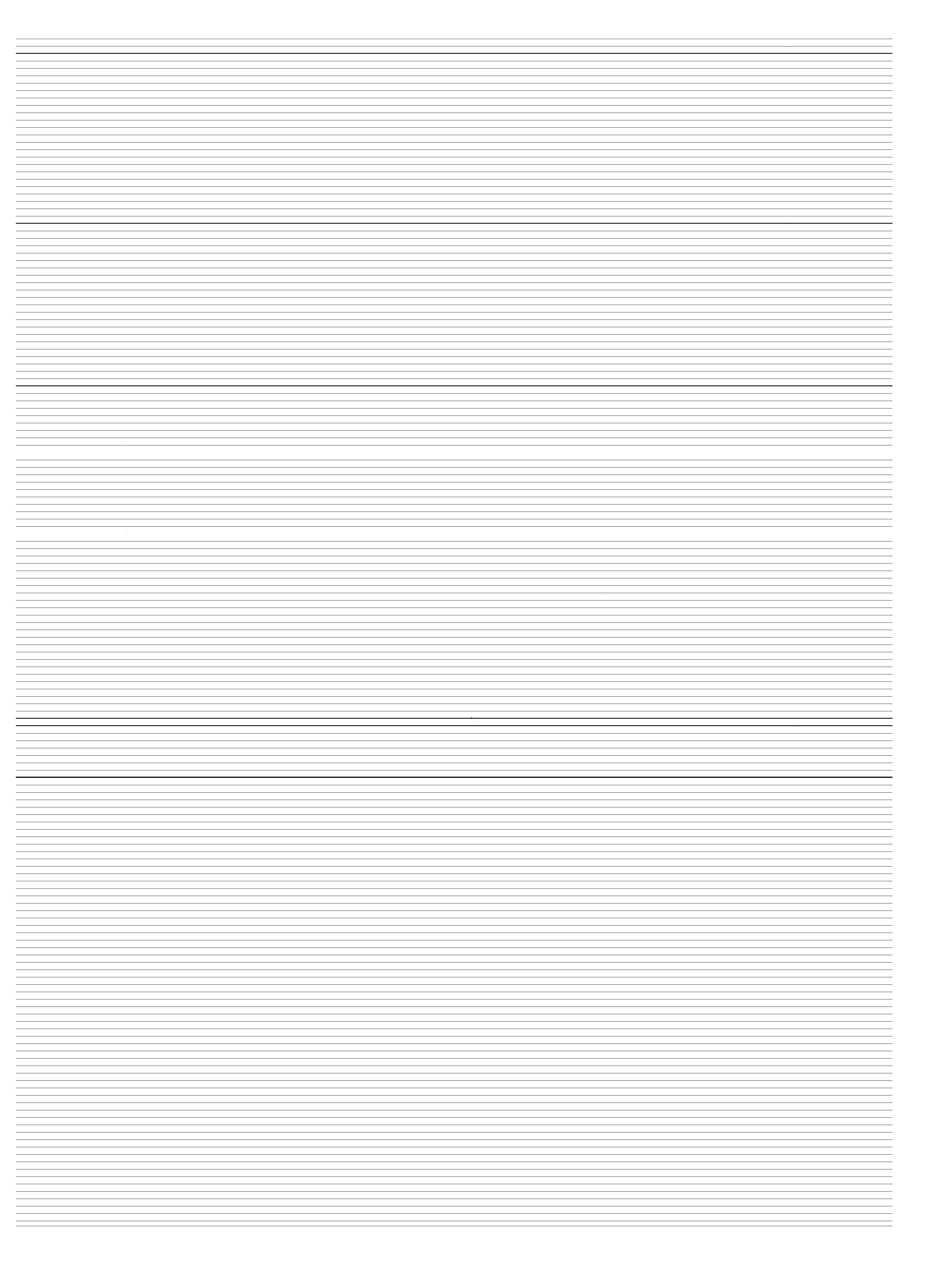
ومن المسلم به عند المسلمين أن أحدا ليس أكرم على الله ولا أحب إليه من محمد خاتم رسله وأنبيائه ومصطفاه من سائر خلقه، ومع ذلك أراد له أن يقدم كل هذه التضحيات ، لتقتدى به أمته، وليمشى على دربه ويترسم خطاه المؤمنون به الذين جاءوا من بعده الذين يتمسكون بهديه ومنهجه إلى يوم الدين.

وهذه التضحيات العديدة المتنوعة منه ﷺ تقول للمسلمين من بعده بلسان الحال قولا جليلا بأفعالهم فى دينهم ودنياهم.

فهى تقول لهم ما يلى:

- أيها المسلمون:

- لا إسلام بغير فهم صحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة الرسول ﷺ وسير أصحابه رضوان الله عليهم،
- ولا إسلام قد فهم بغير عمل بكل ما فيه من أمر ونهى وندب واستحسان وإحسان، عمل فى مجال الذات وفى مجال الأسرة وفى مجال المجتمع وفى مجال الأمة العربية والأمة الإسلامية،
- وأنه لا قيمة للفهم والعمل مالم يكن معهما إخلاص تتجه فيه وبه الأقوال والأفعال والأعمال إلى الله تعالى،
- وأنه لاجدوى - على مستوى الحياة الإنسانية- من الفهم والإخلاص والعمل دون جهاد فى سبيل الله بكل ما يملك الإنسان من وسائل الجهاد، وفى كل مجال من مجالات الجهاد، جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد عدو الله فى أى زمان وأى مكان،
- وأنه لا أثر للفهم والإخلاص والعمل والجهاد دون تضحية، إذ لا جهاد بغير تضحية، ومع التضحية صبر واحتساب عند الله تعالى.



الفصل الثانى

فى أنواع التضحية ، ونماذجها

فى عصر النبى ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم

ويتناول:

أولا:

تضحياتهم رضى الله عنهم بالمال والجاه والعشيرة والنفس فى سبيل الدعوة إلى الحق.

وفيها أنموذجان

١- من تضحيات العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم.

٢- من تضحيات كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

ثانيا:

تضحياتهم فى المعارك الكبرى بين الإيمان والكفر ومنها:

١- فى غزوة بدر الكبرى.

٢- فى غزوة أحد.

٣- فى غزوة الأحزاب.

٤- فى غزوة مؤتة

٥- فى غزوة تبوك.

التضحية في تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم

كانت تضحيات الصحابة رضوان الله عليهم فى سبيل الله ومن أجل دعوته كثيرة، كما كانت متنوعة وكانت ملازمة لهم منذ أسلموا، وظلوا مضحين من أجل هذا الدين إلى أن لقى كل منهم ربه سبحانه وتعالى.

ولقد ترك الصحابة رضوان الله عليهم فى تاريخ الإسلام معالم بارزة فى التضحية، سوف تظل- إلى أن يشاء الله- منارات تهدى السائرين فى طريق الدعوة إلى الله، تعلمهم وتشد من أزرهم، وتهون عليهم كل تضحية يقومون بها من أجل هذا الدين.

هؤلاء الذين صاحبوا رسول الله ﷺ وآمنوا به وآزروه ونصروه وضحوا معه بكل شىء، والذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ فيما رواه علماء السنة البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وأبو داود بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله: «لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ،مابلغ مدّ [1] أحدهم ولا نصيفه[2]».

إنهم رضوان الله عليهم الذين آمنوا بدعوة الإسلام، وما كان قولهم إذا دعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا مقالة من عمر الإيمان قلبه، وملأ الحق عقله، وسيطر البر والخير على كل جوارحه، كما وصفهم الله تبارك وتعالى فى تقبل الدين بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ [آل عمران: ١٩٣] وقوله جل شأنه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله جل شأنه: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي

(١) المد: مكيال قديم اختلف الفقهاء فى تقديره بالكيل المصرى، فقدره الشافعية بنصف قدح وكذلك المالكية.

(٢) النصيف: نصف المد المذكور فى الحديث الشريف.

قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) ﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].

وقوله جلا وعلا: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هؤلاء هم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وما نذكره هنا من تضحياتهم ليس أكثر من قطرة من بحر تضحياتهم من أجل هذا الدين، نسأل الله تعالى أن ينفع بها الدعاة إلى الله في مواكب الدعوة وفي مسارات الحركة، وفي لبنات التمكين لدين الله في الأرض وفي فقه المحافظة على التمكين بعد أن ييسره الله تعالى، وسوف ييسره ويفرح به المؤمنون على أنه نصر من الله، والله ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم.

ومن أجل أن هذا الجانب من الكتاب له من الأهمية والمكانة في فقه الدعوة والحركة والتربية ما له، كان لابد لنا أن نقسم هذا الجانب أو هذه النقطة من الكتاب إلى ما يلي:

أولا: تضحيات الصحابة رضي الله عنهم بالمال والجاه والعشيرة والنفس في سبيل الدعوة إلى الله، وفيها أنموذجان:

١- من تضحيات العشرة المبشرين بالجنة.

٢- من تضحيات كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

والثاني: تضحياتهم رضي الله عنهم في المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام، وأهمها:

١- معركة بدر الكبرى،

٢- ومعركة أحد،

٣- ومعركة الأحزاب،

٤- ومعركة مؤتة،

٥- ومعركة تبوك.

أولا: تضحيات الصحابة رضوان الله عليهم بالمال والجاه والعشيرة والنفس فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى

الصحابة رضوان الله عليهم طبقات، فى مقدمتهم العشرة المبشرون بالجنة ثم أهل بدر، ثم أهل أحد إلى غيرهم من الطبقات التى أفاض العلماء فيها، غير أنهم جميعا من أفضل المسلمين كما تحدثت عنهم آيات القرآن الكريم، وكما وصفهم الرسول ﷺ،

وهم رضى الله عنهم الذين حملوا العلم عن الرسول ﷺ، ونشروه فى الناس،

وهم الذين انطلقوا بالدعوة إلى آفاق الدنيا، يتحملون فى سبيل نشرها، ما لايتحمله سواهم من المسلمين، وبفضل الله عليهم ثم بفضلهم وصل إلى الأجيال والقرون التى جاءت من بعدهم هذا الدين الخاتم.

ولذلك لم يكن عجيباً أن يصف الرسول ﷺ القرن الذى عاشوا فيه بأنه خير القرون ووصفهم بأنهم خير الناس.

روى البخارى وأحمد والترمذى بأسانيدهم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم تجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

وسوف أتحدث عن تضحيات العشرة المبشرين بالجنة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وأبو عبيدة وعبد الرحمن وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد رضى الله عنهم أجمعين، والله ولى التوفيق.

الأنموذج الأول: من تضحيات العشرة المبشرين بالجنة

هؤلاء العشرة هم أقرب إلى رسول الله ﷺ من سواهم وهم أحرص على الاقتداء والالتزام بسمته وأدبه في كل شأن من شئونهم، وهم أحرص على الإسلام والمسلمين، ولذلك بشروا بالجنة.

ومن هؤلاء العشرة، بل أولهم:

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

ضحى رضي الله عنه بماله ووقته وهانت عليه نفسه في سبيل الله تعالى.

روى غير واحد من علماء الحديث والسيرة النبوية وتاريخ الصديق، رووا عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا، ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته.

وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ.

وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا، ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ،ويحرفهما لوجهه، ونزل على بطن أبي بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

وجاء بنو تيم يتعاوّون فأجلت المشركين عن أبي بكر،و وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولايشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم، فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟

فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه.

فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول:

ما فعل رسول الله ﷺ؟

فقالت : والله مالي علم بصاحبك.

– فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

– فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله.

– فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك؟

– قالت: نعم.

– فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفاً.

– فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح وقالت:

– والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

– قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟

– قالت: هذه أمك تسمع!!

– قال: فلا شيء عليك منها.

– قالت: سالم صالح.

– قال: أين هو؟

– قالت: في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

– قال: فإن لله عليّ ألا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا، أو آتي رسول الله ﷺ.

فأمهلنا حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكن الناس خرجنا به يتكئ عليهما، حتى أدخلناه على رسول ﷺ.

– قال: فأكب عليه رسول ﷺ وقبله، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة.

– فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها، عسى الله أن يستنقذها بك من النار.

– قال: فدعا لها رسول الله ﷺ، ودعاها إلى الله فأسلمت.

وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهرا، وهم تسعة وثلاثون رجلا.

وقد كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أسلم يوم ضرب أبو بكر رضى الله عنه[1].

هذا فى تضحية أبى بكر يتحمل الشدائد والمتاعب فى سبيل الله تعالى.

أما تضحيته بما له، وإنفاق هذا المال فى سبيل الله، فإن أبا بكر رضى الله كان فى ذلك مضرب الأمثال.

والتضحية بالمال تضحية كبيرة ذات دلالات عميقة، لأن المال فى حقيقته هو القدرة على الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا من مطعم ومشرب وملبس ومسكن ومركب، بل هو السبب فى كسب المحامد والثناء عند الناس، فضلا عن رضا الإنسان عن نفسه وهو يعطى ويدفع الحاجة عن المحتاجين.

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على من ينفق المال ابتغاء وجه الله، وفى وجوهه التى شرعها الله تعالى، بل سمى الله تعالى المال خيراً، فقال جل شأنه: ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)** ﴾ [البقرة: ٢٧٢ - ٢٧٤].

ووعد الله تعالى فى هذه الآيات الكريمة بأن يصل ثواب هذا الإنفاق للمال بصاحبه كاملا، وهؤلاء المنفقون للمال فى وجوهه لهم عند الله أجر عملهم ولاينالهم خوف من أمر مستقبلهم، ولا حزن على شىء فاتهم، والصديق رضى الله عنه كان رأس هؤلاء المنفقين.

ولقد أشاد القرآن بالإنفاق فى سبيل الله تعالى عموما، وبخاصة فى الأوقات التى يكون فيها المسلمون قلة أو ضعفاء يقع عليهم الاضطهاد، فى هذه الأحوال يكون الإنفاق فى سبيل الله ذا أهمية أكبر من أهميته فى الأوقات الأخرى، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا**

(١) وانظر: محمد يوسف كاند هلوى: حياة الصحابة: ٤١٢/١ ط دار القلم بدمشق ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م.

تعملون خبير (١٠) ﴾ [الحديد: ١٠]

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في فضل أبي بكر الصديق لأنه كان أول من أنفق المال على رسول الله ﷺ في سبيل الله.

قال عمر- رضي الله عنه- كنت قاعدا عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر، وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال، فنزل جبريل عليه السلام فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة خللها في صدره بخلال؟

فقال ﷺ: «أنفق ماله عليّ قبل الفتح»[1]. وقال فخر الدين الرازي في تأويلها: واعلم أن الآية دلت على أن من صدر عنه الإنفاق في سبيل الله، والقتال مع أعداء الله قبل الفتح يكون أعظم حالاً ممن صدر عنه هذا الأمر بعد الفتح»[2].

«وجعل علماء التوحيد هذه الآية دالة على فضل من سبق إلى الإسلام وأنفق وجاهد مع الرسول ﷺ قبل الفتح وبينوا الوجه في ذلك وهو عظم موقع النصرة للرسول ﷺ بالنفس وإنفاق المال في تلك الحال، وفي عدد المسلمين قلة، وفي الكافرين شوكة وكثرة عدد، فكانت الحاجة إلى النصرة والمعاونة أشد، بخلاف ما بعد الفتح، فإن الإسلام صار في ذلك الوقت قويا، والكفر ضعيفاً»[3].

وأخرج أبو داود في الزهد بسنده من عروة بن الزبير - رضي الله عنه- قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم، قال عروة: وأخبرتني عائشة- رضي الله عنها- أنه مات وما ترك دينارا ولا درهما».

وقد أعتق أبو بكر رضي الله عنه ست رقاب في سبيل الله وهم:

عامر بن فهيرة.

ونذيرة،

والنهدية،

وابنة النهدية،

وجارية بني المؤمل،

وأم عبيس،

وكان بلال رضي الله عنه سابعهم.

وفي رواية: أن أبا بكر- رضي الله عنه- اشترى بلالاً وهو مدفون بالحجارة بخمس أواق

---

(١) فخر الدين الرازي: التفسير الكبير: ١٩١/٢٩.
(٢) السابق ١٩١/٢٩.
(٣) السابق: ١٩١/٢٥.

ذهبا، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناكه، فقال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته.

وروى الأصبهاني في الحلية بسنده عن زيد بن أرقم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب – رضى الله عنه– يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مال عندى، فقلت اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوما!! فقال:فجئت بنصف مالي، قال:فقال لي رسول الله ﷺ «ماأبقيت لأهلك؟» قال: فقلت: مثله،وأتي أبو بكر –رضي الله عنه– بكل ماعنده فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً». هكذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

ولئن كانت التضحية بالمال في سبيل الله تعنى انخلاع الإنسان من شيء يحبه ويحتاج إليه، فإن التضحية بالجاه والمكانة بين الناس من أجل الدين تضحية كبرى، وهكذا كان أبو بكر رضى الله عنه، فهو من قريش في مكانة رفيعة لخلقه وعلمه بالأنساب وأمانته في تجارته، وثروته وكرمه.

قال عنه ابن إسحق في السيرة: «كان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلمهم بما كان منها من خير وشر، وكان تاجرا ذا خلق ومعروف وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته»[(١)].

لقد ضحى أبو بكر بهذه المنزلة، وتلك الوجاهة الاجتماعية، ودخل في دين الإسلام، وتعرض من أجل ذلك للإهانة والضرب حتى أشرف على الموت – كما ذكرنا آنفا–.

روى الأصبهاني في الحلية بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت: «أتى الصريخ آل أبي بكر، فقيل له أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له لغدائر، فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم! فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئا من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[(٢)].

وبعد ، فهذا شأن أبي بكر رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة في التضحية بماله وجاهه ومكانته في عشيرته بل في قريش كلها من أجل دينه.

ولقد كان الصحابة جميعا رضوان الله عليهم يضحون بأموالهم ومكانتهم ووجاهتهم بل بأنفسهم من أجل هذا الدين.

---

(١) ابن حجر العسقلاني: الإصابة ٢/٣٣٤.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء: ٣١/١ ط دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

ولو ذهبت أستشهد على ذلك بما سجله العلماء عنهم من تضحيات سواء منها ما كان قبل فتح مكة أو كان بعد الفتح، لطال بى الحديث ولما وسعتنى صفحات هذا الكتاب.

غير أننى أكتفى هنا بذكر الأنموذج والمثال، تاركا هذا التفصيل لمن أراد القراءة والتعرف على تضحيات هذه القمم الإنسانية، محيلا على بعض المراجع الموثقة التى تحدثت عنهم رضوان الله عليهم(1).

٢ – عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وكان من السباقين إلى التضحية فى سبيل الله تعالى.

روى ابن إسحق بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما أسلم عمر رضى الله عنه قال: أى قريش أنقل للحديث؟

– فقيل له: جميل بن معمر الجمحى، فغدا عليه.

– قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل.. وأنا غلام أعقل كل ما رأيت- حتى جاءه، فقال له:

– أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت فى دين محمد؟

– قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر رضى الله عنه، واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد يصرخ بأعلى صوته:

– يا معشر قريش، وهم فى أنديتهم حول الكعبة: ألا إن ابن الخطاب قد صبأ.

– قال: يقول عمر، من خلفه: كذب ، ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

– وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم .

---

(1) ١– مشاهير علماء الأمصار للحافظ ابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ هـ.ط دار الوفاء ١٤١١هـ.
٢ – الاستيعاب فى أسماء الأصحاب لابن عبد البر المتوفى ٤٦٣ هـ مصطفى محمد القاهرة ١٣٥٨ هـ
٣ – الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٢ هـ ط مصطفى محمد السابق
٤ – أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ ط دار الفكر ١٤٠٩ هـ.
٥ – تجريد أسماء الصحابة للحافظ الذهبى المتوفى ٧١٨ هـ ط الهند ١٣٨٩ هـ
٦ – ذيل المذيل لابن جرير الطبرى المتوفى ٣١٠ هـ ط القاهرة ١٣٢٦ هـ
٧ – حلية الأولياء للحافظ أبى نعيم الأصبهانى المتوفى ٤٣٠ هـ الكتب العلمية - بيروت
٨ – صفة الصفوة للإمام أبى الفرج الجـــــوزى المتوفى ٥٩٧ هـ دار المعرفة - بيروت ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.

– قال: وطلح: أى أعيا وعجز، فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله، أن لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

– قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم:

– فقال: ما شأنكم؟

– قالوا: صبأ عمر.

– قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بني عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

– قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه.

– قال: فقلت لأبى– بعد أن هاجر إلى المدينة:

يا أبت من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟

– قال: ذاك– أى بنى– العاص بن وائل السهمى.

وهذا إسناد جيد.

وروى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه قال: «بينما هو فى الدار خائف! إذ جاءه العاص بن وائل السهمى أبو عمرو– وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير– وهو من بنى سهم وهم حلفاؤنا فى الجاهلية (أى حلفاء بنى عدى قوم عمر رضى الله عنه)

– فقال له: ما بالك؟

– قال: زعم قومك أنهم سيقتلوننى إن أسلمت.

– قال: لاسبيل إليك.

بعد أن قالها أمنت.

فخرج العاص بن وائل فلقى الناس قد سال بهم الوادى، فقال: أين تريدون؟

– فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذى صبأ.

– قال: لا سبيل إليه.

فكرّ الناس.. أى رجعوا».

وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: قال لنا عمر- رضى الله عنه- أتحبون أن أعلمكم أول إسلامى؟.

- قلنا: نعم.

- قال: كنت من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ.

- قال: فأتيت النبى ﷺ فى دار عند الصفا فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع قميصي ثم قال: «أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم اهده».

- قال : فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، قال: فكبر المسلمون تكبيرة سمعت فى طرق مكة.

- قال: وقد كانوا مستخفين، وكان الرجل إذا أسلم تعلق الرجال به فيضربونه ويضربهم.

فجئت إلى خالى ، فأعلمته فدخل البيت وأجاف الباب.

- قال: وذهبت إلى رجل من كبار قريش فأعلمته، ودخل البيت.

- فقلت في نفسي: ما هذا بشيء، الناس يضربون وأنا لا يضربني أحد؟

- فقال رجل : أتحب أن يُعلم بإسلامك؟

- قلت: نعم.

- قال: فإذا جلس الناس فى الحجر فأت فلانا وقل له: صبوت، فإنه قل ما يكتم سراً.

- فجئته فقلت: تعلم أني قد صبوت ، فنادى بأعلى صوته:

إن ابن الخطاب قد صبأ، فمازالوا يضربوننى وأضربهم، فقال خالى: يا قوم: إنى قد أجرت ابن أختى فلا يمسه أحد، فانكشفوا عنى.

- فكنت لا أشاء أن أرى أحدا من المسلمين يضرب إلا رأيته.

- فقلت: الناس يضربون ولا أضرب، فلما جلس الناس فى الحجر أتيت خالى.

- قال: قلت تسمع؟

- قال: ما أسمع؟

- قلت: جوارك رد عليك.

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء: ٤١/١ ط دار الفكر دون تاريخ.

- قال: لا تفعل.
- قال : فأبيت.
- قال: فما شئت.
- قال: فمازلت أُضرب وأَضرب حتى أظهر الله تعالى الإسلام».

وبعد : فبماذا ضحى عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- فى هذا الموقف؟ لقد ضحى بمكانته فى قريش إذ كان سفيرا لقومه فى الجاهلية، وضحى بجوار خاله، وتعرض لكل ما تعرض له من أذى.

وروى الأوزاعى بسنده أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج فى سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: مابال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى.

فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع!»[1].

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: «تقرقر بطن عمر رضى الله عنه، وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان قد حرم على نفسه السمن، فنقر على بطنه بأصبعه وقال: تقرقر ما تقرقر، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس»[2].

وبعد:

فتلك نُبذ أو لُمح من تضحيات ثانى العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم ونفع الأمة الإسلامية بسيرهم وتاريخهم.

٣- عثمان بن عفان رضى الله عنه

أخرج بن سعد فى الطبقات عن محمد بن إبراهيم التيمى قال: لما أسلم عثمان بن عفان، أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطا، وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث، والله لا أحلُّك أبدا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين.

فقال عثمان - رضى الله عنه- والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه.

وتضحيات عثمان بن عفان رضى الله عنه من أجل الإسلام أكثر من أن تحصى هنا، وسوف أذكر منها طرفا أستهله بحديث رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى سلمة

(١) و(٢) السابق: ٤١/١.

ابن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان رضى الله عنه من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: اسكن ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد، وأنا معه، فانتشد له رجال.

قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة، قال: هذه يدى وهذه يد عثمان- رضى الله عنه- فبايع لى، فانتشد له رجال.

قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ قال: من يوسع لنا بهذا البيت فى المسجد ببيت فى الجنة، فابتعته من مالى فوسعت به المسجد، فانتشد له رجال.

قال: وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم العسرة، قال: من ينفق اليوم نفقة متقبلة، فجهزت نصف الجيش من مالى، فانتشد له رجال.

وأنشد بالله من شهد رومة(بئر رومة) يباع ماؤها لابن السبيل فابتعتها من مالى فأبحتها لابن السبيل، قال: فانتشد له رجال.

وروى الترمذى بسنده عن عبد الرحمن بن خباب قال: «شهدت النبى ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله علىَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول الله علىَّ مئتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: علىَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه» [1].

وكانت تضحيات عثمان رضى الله عنه بالمال مضرب الأمثال، وقد ضحى بمكانته فى قريش فاضطهد حتى هاجر إلى الحبشة مرتين، وتعرض للموت إذ ذهب إلى قريش يفاوضهم وقد منعوا رسول الله ﷺ من العمرة، وجاهد مع رسول الله ﷺ فى كل غزواته ما عدا غزوة بدر فقد أبقاه الرسول ﷺ ليمرض زوجته - ابنة الرسول ﷺ.

٤ - على بن أبى طالب رضى الله عنه

لم تكن تضحية علىّ رضى الله عنه بأى نوع من أنواع التضحية بمستغربة عليه فقد تربى فى حجر النبى ﷺ، وتفتح قلبه على الإيمان صغيرا وانفتحت عينه على عمل الرسول ﷺ فى بيته، فكان ذلك من حسن حظ علىّ ومن أدلة حب الله تعالى له.

إن التضحية صفة من صفات على رضى الله عنه المتأصلة فيه منذ طفولته ويفاعته.

---

(١) رواه الإمام أحمد.

قال ابن إسحق: ثم إن عليا جاء بعد ذلك بيوم- يعني بعد إسلام خديجة وصلاتها مع النبي ﷺ- فوجدهما يصليان فقال علي: يا محمد ما هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دين الله الذى اصطفى لنفسه، وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وإلى عبادته، وكفر باللات والعزى، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمرا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشى سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: ياعلى إن لم تسلم فاكتم، فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع فى قلبه الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت علي يا محمد؟

فقال له رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد، ففعل علي وأسلم.

ومكث عليّ يأتيه سرا خوفا من أبى طالب، وكتم على إسلامه[1].

وروى ابن إسحق بسنده عن أبى رافع- رضى الله عنه- فى هجرة النبى ﷺ قال: «وخلّفه النبى ﷺ، أى خلف عليا يخرج إليه بأهله، وأمره أن يؤدى عنه أماناته ووصايا من كان يوصى إليه، وماكان يؤتمن عليه من مال،

فأدى عليّ أمانته كلها،

وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج،

وقال: «إن قريشا لم يفقدونى ما رأوك»،

فاضطجع عليّ على فراشه.

وكانت قريش تنظر فى فراش النبى ﷺ فيرون عليه عليا، فقالوا: لو خرج محمد لخرج بعلى معه،

فحبسهم الله بذلك عن طلب النبى ﷺ حين رأوا علياً،

وأمر النبى ﷺ أن يلحقه بالمدينة،

فخرج عليّ فى طلبه بعد ما أخرج إليه أهله ، يمشى الليل، ويكمن النهار، حتى قدم المدينة،

فلما بلغ النبى ﷺ قدومه قال: ادعوا لى عليا، قيل يا رسول الله: لايقدر أن يمشى،

فأتاه النبى ﷺ، فلما رآه اعتنقه وبكى، رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دما،

---

(١) عز الدين بن الأثير: أسد الغابة: ٥٨٩/٣ ط دار الفكر بيروت ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.

فتفل النبي ﷺ في يديه، ومسح بهما رجليه ، ودعا له بالعافية فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله عنه»[1].

وروى عن سعيد بن المسيب – رضي الله عنه– قال: لقد أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة، كل ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا جبريل عليه السلام.

وعن ثعلبة بن أبي مالك قال: كان سعد بن عبادة – رضي الله عنه– صاحب راية رسول الله ﷺ في المواطن كلها، فإذا كان القتال أخذها علي بن أبي طالب– رضي الله عنه.

وبعد فهذه صورة من تضحيات على بن أبى طالب رضى الله عنه وإنها لقليل من كثير.

فمن مبارزته صناديد قريش في معركة بدر إلى تعرضه للموت عشرات المرات فى أحد، إلى صرعه عمر بن ودّ فى الخندق إلى فتح خيبر ، إلى غير ذلك من صور التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى.

روى المدني بسنده عن عكرمة قال: قال علي:

«لما تخلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد، نظرت فى القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه فى القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه، فما فيّ خير من أن أقاتل حتى أقتل، فظللت أقاتل حتى كسرت جفن سيفى، ثم حملت على القوم فأفرجوا لى، فإذا برسول الله ﷺ بينهم»[2].

٥- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

أسلم رضى الله عنه مبكرا أى قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر وهم: عثمان ابن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم.

هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدرا وأحداً والمشاهد كلها، وضحى فى كل تلك المجالات بكل ما من شأنه أن يضحى به، وبخاصة المال.

وقد جرح في أحد إحدى وعشرين جراحة، منها جرح فى رجله كان يعرج منه، وسقطت ثنتياه فى أحد فكان أهتم[3].

أما تضحيته بالمال فى سبيل الله عز وجل، فقد روى عنه أنه أعتق فى يوم واحد واحداً وثلاثين عبدا.

---

(١) السابق : ٥٩٢/٣.
(٢) السابق ٥٩٥/٣.
(٣) السابق: ٢٧٦/٣

وروى معمر عن الزهري قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفا، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله. ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة.

وأوصى عند وفاته بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى بمن بقي ممن شهد بدرا، لكل رجل بأربعمائة دينار، وكانوا مائة فأخذوها، وأخذها عثمان بن عفان فيمن أخذ.

وأوصى بألف فرس في سبيل الله.

وروى الأصبهاني بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتا رجت منه المدينة، فقالت: ما هذا؟

– قالوا: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام وكانت سبعمائة رحلة.،

– فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا» فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته.

– قال: فإني أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل»[١].

وروى الأصبهاني بسنده عن عبد الله بن أبي أوفي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: « ما بطأ بك عني» ؟

– فقال: مازلت بعد أحاسب، وإنما ذلك لكثرة مالي.

– فقال عبد الرحمن رضي الله عنه: هذه مائة راحلة جاءتني من مصر فهي صدقة على أرامل أهل المدينة»[٢].

٦– طلحة بن عبيد الله

أسلم وأسلمت أمة الصعبة بنت الحضرى قديما،

سماه رسول الله ﷺ يوم أحد : «طلحة الخير»،

ويوم غزوة ذات العشيرة : «طلحة الفياض»،

يوم حنين : «طلحة الجود»،

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء، ٩٨/١ ط، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ
الأحلاس: جمع حلس وهو الكساء يوضع على ظهر البعير تحت القتب والأقتاب للجمال بمثابة البردعة للحمير.

(٢) المرجع السابق: ٩٩/١.

وقد بعثه رسولﷺ مع سعيد بن زيد رضى الله عنهما يتجسسان خبر العير، فمرت بهما، فبلغ رسول اللهﷺ الخبر، فخرج إلى بدر.

– ورجعا يريدان المدينة، ولم يعلما بخروج رسول الله ﷺ، فقدما فى اليوم الذى لاقى فيه رسول الله ﷺ المشركين، فخرجا يعترضان رسول الله ﷺ فلقياه منصرفا من بدر.

– فضرب لهما بسهامهما وأجرهما، فكانا كمن شهدها.

وروى الأصبهانى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت:

كان أبو بكر إذا ذُكر يوم أحد قال:

ذلك كله يوم طلحة.

– قال أبو بكر: كنت أول من فاء يوم أحد فقال لى رسول الله ﷺ ولأبى عبيدة بن الجراح:

«عليكما صاحبكما» يريد طلحة، وقد نزف.

فأصلحنا من شأن النبىﷺ،

ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه.

وروى الأصبهانى بسنده عن طلحة بن عبيد الله قال:

– لما رجع رسول اللهﷺ من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ هذه الآية:

«رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا»

فقام إليه رجل فقال:

يا رسول الله: من هؤلاء؟

– فأقبلت وعلىّ ثوبان أخضران فقال:

– «أيها السائل، هذا منهم».

وروى الأصبهانى بسنده عن سعدى بنت عوف زوجة طلحة قالت:

– دخل على طلحة ذات يوم وهو خاثر النفس، فقلت: ما لى أراك كالح الوجه، وقلت: ما شأنك؟

– أرابك منى شئ فأعينك؟

– قال: لا. ولنعم خليلة المرء المسلم أنت.

– قلت: فما شأنك؟

– قال: المال الذى عندى قد كثر وأكربنى.

– قلت : وما عليك؟ اقسمه.

– قالت: فقسمه حتى ما بقى منه درهم واحد.

– قال: طلحة بن يحيى بن طلحة– وهو حفيد طلحة– كم كان المال؟

– قال أربعمائة ألف(١).

وروى ابن حجر بسنده عن محمد بن إبراهيم بن الحارث قال: مر رسول الله ﷺ وآله فى غزوة ذى قرد ، على ماء يقال له «بيسان مالح» فقال:

– هو نعمان وهو طيب ، فغير اسمه،

فاشتراه طلحة ثم تصدق به،

– فقال رسول الله ﷺ وآله: « ما أنت يا طلحة إلا فياض» فبذلك قيل له: طلحة الفياض.

وروى ابن حجر أيضا بسنده عن قبيصة بن جابر– وهو تابعى– قال: «صحبت طلحة فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه»(٢).

وروى الإمام أحمد بسنده أن طلحة بن عبيد الله باع أرضا له من عثمان بسبعمائة ألف، فحملها إليه، فلما جاء بها قال:

– «إن رجلا تبيت هذه عنده فى بيته لايدرى ما يطرقه من أمر لغرير بالله»

فبات ورسله تختلف بها فى سكك المدينة ، حتى أسحر وما عنده منها درهم»(٣).

وعن سعدى بنت عوف زوجة طلحة بن عبيد الله قالت:

– «لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد، أنى جمعت له بين طرفى ثوبه»(٤).

٧– الزبير بن العوام رضى الله عنه

أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثمانى سنين، وأسلمت أمه صفية بنت عبد المطلب عمة

(١) أبو نعيم الأصبهانى: حلية الأولياء ١/٨٧–٨٨.
(٢) المرجع السابق: ١/٨٨.
(٣) أبو الفرج ابن الجوزى: صفة الصفوة: ١/٣٤٠ ط٤ دار المعرفة بيروت ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦ م.
(٤) السابق: ١/٣٤١.

رسول الله ﷺ قديما،

وهاجر الزبير وهو ابن ثمانى عشرة سنة،

– وكان عم الزبير يعلق الزبير فى حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول:

– ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير:

– لا أكفر أبدا.

ولم يتخلف الزبير بن العوام عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ [1]

وروى الأصبهانى بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه الزبير قال:

– «إن أول رجل سلّ سيفه الزبير بن العوام سمع نفحة نفحها الشيطان:

– أُخذ رسول الله ﷺ،

فخرج الزبير يشق الناس بسيفه والنبى ﷺ بأعلى مكة، فلقيه،

– فقال الزبير: أخبرت أنك أخذت.

– قال: فصلى عليه ودعا له ولسيفه».

وروى الأصبهانى بسنده عن حفص بن خالد قال: «حدثنى شيخ قدم علينا من الموصل قال:

صحبت الزبير بن العوام فى بعض أسفاره فأصابته جنابة بأرض قفر.

– فقال: استرنى، فسترته، فحانت منى إليه التفاتة فرأيته مجدعا بالسيوف.

– قلت: والله لقد رأيت بك آثارا ما رأيتها بأحد قط.

– قال: وقد رأيت ذلك؟

– قلت: نعم.

– قال: أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ وفى سبيل الله»[2].

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن علي بن زيد قال:

– أخبرنى من رأى الزبير: «وإن فى صدره لأمثال العيون من الطعن والرمى».

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء: ٨٩/١.

(٢) أبو نعيم الأصبهانى: حلية الأولياء: ٨٩/١.

- وروى أيضا بسنده عن سعيد بن عبد العزيز قال:

- «كان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فكان يقسمه كل ليل، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء»[1].

وقد روى ابن سعد في الطبقات: «كان عليه يوم بدر ربطة صفراء، معتجرا بها، وكان على الميمنة، فنزلت الملائكة على سيماه.

وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد وبايعه على الموت».

وأخرج البخاري ومسلم وابن ماجة وأحمد بأسانيدهم عن جابر بن عبد الله قال: «لما كان يوم الخندق ندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال رسول الله ﷺ: لكل نبي حواري، وحواريي الزبير» .

وبعد:

فهذه تضحية الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وإن أمثالها لكثير منهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

٨- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وهو سعد بن مالك (وقاص) بن وهيب بن عبد مناف.

أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة.

روى الأصبهاني بسنده عن سعيد بن المسيب قال:

- قال سعد: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام.

ويروى أنه قال: أنا أول من رمى بسهم في الإسلام.

- ومن كلماته : «لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى يضع أحدنا كما تضع الشاه».

- وقوله: «كنا قوما يصيبنا ظلف العيش (أي خشونته) بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومرنّا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أسمع بقعقعة شيء تحت بولي، فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

فغسلتها، ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين، ثم أستفها وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثا» .

وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما عن أبيه قال: جاءه النبى ﷺ يعوده وهو بمكة، وهو يكره أن يموت بالأرض التى هاجر منها، ولم يكن له يومئذ إلا ابنة واحدة، فقال:

– يا رسول الله: أوصى بمالى كله؟

– قال: «لا، الثلث ، والثلث كثير، ولعل الله أن يرفعك فينتفع بك ناس، ويضر بك آخرون» .

وروى البخارى ومسلم والترمذى بأسانيدهم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال:

– ما سمعت رسول الله ﷺ يفدى أحدا بأبويه إلا سعد بن مالك، فإنى سمعته يقول له يوم أحد : «ارم سعد، فداك أبى وأمى» وزاد الترمذى: «ارم أيها الغلام الحزوّر» ، والحزور ولد الأسد.

وروى ابن إسحق قال:

– «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، فناكروهم، وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم، فاقتتلوا ، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحمى جمل فشجه ، فكان أول دم أهريق فى الإسلام» .

– وروى داود بن أبى هند، عن أبى عثمان النهدي أن سعد بن أبى وقاص قال:

– نزلت هذه الآية فيّ ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)** ﴾ [لقمان: ١٥] قال:

– كنت رجلا براً بأمي، فلما أسلمتُ قالت:

– يا سعد، ما هذا الدين الذى أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتعير بى.

- فقال: لا تفعلي يا أمّة،فإني لا أدع ديني.

- قال: فمكثت يوما وليلة لا تأكل ، فأصبحت وقد جهدت ، فقلت:

- والله لو كانت لك ألف نفس، فخرجت نفسا نفسا، ما تركت ديني هذا لشيء، فلما رأت ذلك أكلت وشربت، فأنزل الله هذه الآية.

- وقال الزهري: «رمى سعد يوم أحد بألف سهم».

وقد ولي سعد الولايات من قبل عمر وعثمان رضي الله عنهما، وقد ولى عمر سعدا رضي الله عنهما أمر الجيوش التي سيرها لقتال فارس.

- وكان أميرا للذين هزموا الفرس بالقادسية.

وهو الذى فتح المدائن.. مدائن كسرى بالعراق.

وهو الذى بنى الكوفة وولى العراق.

- ثم عزله عمر رضي الله عنه، ولما حضرت عمر الوفاة جعل سعدا أحد أصحاب الشورى، وقال: إن ولي سعد الإمارة فذاك، وإلا فأوصى الخليفة بعدى أن يستعمله، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

قال أبو المنهال[1]:

سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب عن خبر سعد بن أبي وقاص فقال:

- «متواضع في خبائه، عربي في نمرته(النمرة صوف يلبسه الأعراب) أسد في تاموره (أي عرينه)، يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، ويعطف علينا عطف الأم البرة، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة» (والذرة: النملة الحمراء الصغيرة)[2].

٩- سعيد بن زيد رضي الله عنه

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أسلم قديما قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان إسلامه قبل إسلام عمر بن الخطاب ابن عمه، وكان سعيد زوجا لفاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهم، وعمر زوج أخته عاتكة بنت زيد.

شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، ماعدا بدرا فقد انتدبه رسول الله لسفر ليعرف أخبار العير - كما قدمنا آنفا- لكنه أسهم له فيها فكأنه قد حضرها.

يقول عنه أبو نعيم في الحلية:

(١) هو سيّار بن سلامة الرياحي تابعي جليل من أهل البصرة ،مات سنة ١٢٩ هـ.
(٢)عز الدين بن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٢/٢١٧.

«كان بالحق قوالا، ولماله بذالا، ولهواه قامعاً قتالا، ولم يكن ممن يخاف فى الله لومة لائم، وكان مجاب الدعوة».

وكان من المهاجرين الأولين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة من بعد. ولما مكن الله الإسلام وفتحت البلاد عزف عن الولاية، وتشمر فى الرعاية، قمع نفسه، وأخفى عن المنافسة فى الدنيا شخصه.

وقال سعيد بن جبير: «كان مقام أبى بكر، وعمر وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد (وهؤلاء هم تسعة من العشرة المبشرين بالجنة – وعاشرهم أبو عبيدة بن الجراح– (ولا أدرى كيف أغفل ذكره سعيد بن جبير؟ وأتوقع أن يكون ذلك نسياناً ممن نقلوا عن سعيد بن جبير).

ولم يكن يخاف فى الله لومة لائم.

روى الأصبهانى بسنده عن رباح بن الحارث «أن المغيرة بن شعبة كان فى المسجد الأكبر، وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد، فحياه المغيرة وأجلسه على السرير عند رجليه، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة، فسب، فقال– أى سعيد بن زيد– من يسب هذا يا مغيرة؟

– قال: يسب على بن أبى طالب عليه السلام.

–فقال : يا مغيرة بن شعبة– ثلاثا: ألا أسمع أصحاب رسول ﷺ يسبون عندك لا تنكر ولا تغير!!

– وأنا أشهد على رسول اللهﷺ– مما سمعت أذناي ووعاه قلبى من رسول اللهﷺ، فإنى لم أكن أروى عنه كذبا، يسألنى عنه إذا لقيته– أنه قال: أبو بكر فى الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلى في الجنة، وطلحة في الجنة والزبير فى الجنة، وسعد بن مالك فى الجنة، وتاسع المؤمنين فى الجنة، ولو شئت أن أسميه لسميته.

– قال: فرج أهل المسجد يناشدونه: يا صاحب رسول الله ﷺ من التاسع؟

– قال: ناشدتمونى بالله، والله العظيم أنا تاسع المؤمنين ورسول الله العاشر.

– ثم أتبع ذلك يمينا، فقال: لمشهد شهده رجل مع رسول الله ﷺ يغبر وجهه مع رسول

الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم، ولو عُمِّر عمر نوح»[1].

رواه عبد الواحد بن زياد[2] عن صدقة[3].

وغالب الروايات التى عدت العشرة المبشرين بالجنة عدت منهم أبا عبيدة بن الجراح، رضى الله عنهم أجمعين.

وبعد: فهذه تضحيات سعيد بن زيد رضى الله عنه بالمال والأهل والعشيرة والوطن، وعدم خوف من يلوم فى الله مهما يكن مكان هذا اللائم من السلطان.

١٠- أبو عبيدة بن الجراح

هو عامر بن عبد الله الجراح، أبو عبيدة رضى الله عنه، أسلم مع عثمان بن مظعون، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدرا والمشاهد كلها، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وكان من السابقين إلى الإسلام.

وكان يدعى القوى الأمين، روى الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

وفي رواية أخري لأنس رضي الله عنه: « لكل إمة أمين، إن أميننا أيتها الأمة، أبو عبيدة ابن الجراح».

وروى الدار قطنى بسنده عن أنس رضى الله عنه أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ سألوه أن يبعث معهم رجلا يعلمهم السنة والإسلام ، فأخذ بيد أبى عبيدة بن الجراح فقال: «هذا أمين هذه الأمة».

وروى ابن الجوزى بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال لأصحابه: «تمنوا، فقال رجل:

- أتمنى لو أن لى هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه فى سبيل الله عز وجل.

- ثم قال : تمنوا.

- فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤا وزبرجدا و جوهرا أنفقه فى سبيل الله عز وجل وأتصدق به.

---

(١) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء: ٩٣/١-٩٤.

(٢) هو عبد الواحد بن زياد العبدى، من مشاهير أتباع التابعين فى البصرة كان متقناً ضابطا ،توفى سنة ١٧٦ هـ.

(٣) هو صدقة بن خالد القرشى أبو العباس ، مولى أم البنين أخت معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، كان متقناً ثبتا، ولد سنة ١١٨ هـ، وتوفى ١٨٠ هـ. ومن مشاهير أتباع التابعين بالشام.

– ثم قال تمنوا:

– فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين.

– فقال عمر: أتمنى لو أن هذا الدار مملوءة رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح»[١].

وروى الإمام أحمد بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

«لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر:

– أين أخى؟

– قالوا: من؟

– قال: أبو عبيدة.

– قالوا: الآن يأتيك.

– فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته فلم ير فى بيته إلا سيفه وترسه ورحله.

– فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟

– فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يبلغنى المقيل»[٢].

ولقد أبلى أبو عبيدة فى أحد بلاء حسناً، وضحى بكل ما يستطيع فى سبيل الله، ونزع حلقتى المغفر من وجه رسول ﷺ، فنزعت ثنيتاه.

وكان أحد الأمراء المسيرين إلى الشام والذين فتحوا دمشق، ولما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة، فقال خالد:

– ولى عليكم أمين هذه الأمة: أبو عبيدة.

– وقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خالداً سيف من سيوف الله».

(١) ابن الجوزى: صفة الصفوة: ١/٣٦٧-٣٦٨.
(٢) السابق: ١/٣٦٨.

الأنموذج الثاني: من تضحيات كبار الصحابة رضوان الله عليهم

شاء الله تعالى أن يجعل التضحية فى أجل الحق سنة من سننه، فى عباده المؤمنين، يجزيهم بها أحسن الجزاء.

ولقد جاء محمد ﷺ للبشرية بدين الحق واتبعه عليه رجال مخلصون كان لابد لهم أن يضحوا من أجل هذا الدين تضحيات عديدة ومتنوعة ، وكل ذلك قد كان.

وقد جاءت هذه التضحيات فى زمن باكر من تاريخ الدعوة الإسلامية، وكانت تضحيات كبيرة وخطيرة، مما زاد أصحابها نضجا ومكانة عند الله تعالى، وتلك كانت سنة الله فى الذين خلوا من قبل،ولاتزال وسوف تظل سنته فى المدافعين عن الحق فى كل زمان ومكان.

ولقد كان المسلمون فى مكة قلة مستضعفة، وتسبب دخولهم فى الإسلام فى أن يتحداهم المشركون، وأن يعرضوهم لكثير من صنوف الأذى والاضطهاد والابتلاء على النحو الذى ذكرنا طرفا منه آنفا فيما يخص العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم أجمعين.

وسوف نتحدث الآن عن طرف من تضحيات كبار الصحابة من غير العشرة المبشرين بالجنة، لنؤكد أن التضحية لم تكن مقصورة على العشرة وحدهم، ولكنها كانت عملا قام به كل صحابى من الصحابة رضى الله عنهم.

وقد أوضحنا آنفا أن تضحياتهم جاءت بالمال والجاه والمكان والأهل والولد والوالد وكل ما من شأنه أن يضحى به مخلص لدينه، وليست قضية هجرتهم لأوطانهم إلى الحبشة مرتين وإلى المدينة بعد ذلك إلا دليلا على أنهم آثروا الحق وآثروا ما عند الله على كل شيء حتى على الأوطان.

ولم تكن تضحيتهم بالنفس – أى الموت فى سبيل الله – إلا تأكيدا لعمق إيمانهم بالله وشدة وفائهم لهذا الدين، وثباتا منهم على الحق وصدقا على ما عاهدوا الله عليه من نصر هذا الدين أو الموت دون ذلك، فصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ **مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)** ﴾

[**الأحزاب**: ٢٣].

لقد أسهمت تضحياتهم فى تثبيت أمر الدين، وفى تقوية عزائم المؤمنين الذين يأتون بعدهم فى مستقبل الزمان، حتى إذا وجدوا أنفسهم يضحون بأموالهم، وأنفسهم فى سبيل

دينهم علموا علم اليقين أن تلك سنة الدعوات ورجالها فى أى زمان وأى مكان.

ومن الحقائق الإنسانية أن التضحية لا تخلو منها حياة إنسان مادام يعيش بين الناس ، لأنه يضحى فى سبيل حياته تضحيات كثيرة.

وأهم ما تكون التضحية إذا كانت من أجل الدين والمعتقد، وذلك أن التدين فطرة فى الناس فطرهم الله عليها، وكلما كان الدين صحيحا والمعتقد سليما- أى من عند الله- كلما كانت التضحية فى سبيله أعذب وأرضى للنفس وأرضى لله تعالى.

ولقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن التضحية من أجل الدين، وعن الابتلاء فيه منذ زمن باكر فى تاريخ الإنسانية كلها فى القصص القرآنى ابتداء من تضحيات نوح عليه السلام ومرورا بتضحيات إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وإشادة بما تعرض له بعض المؤمنين من أجل دينهم على مر التاريخ.

وما من نبى ذكرت قصته فى القرآن الكريم إلا ذكرت فيها تضحياته من أجل دين الله الذى يدعو إليه.

ولقد برزت شخصيات من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام فى مجال التضحية كانت أكثر تضحية من سواها أو كان أتباعهم أشد تضحية من غيرهم ومن ذلك:

نوح عليه السلام- وقد ضحى بولده وزوجه إذ هما على الكفر- حيث قال لابنه فى حوار مفعم بالإيمان والتضحية من نوح وبالاستهانة من ولده:

- قال ولد نوح عندما دعاه أبوه لركوب سفينة النجاة من الطوفان: «سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء..»،

- فقال نوح وهو الوالد الحانى والنبى الرسول: ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾ [هود: ٤٣].

وإبراهيم عليه السلام وكيف ضحى حتى ألقى به أعداؤه فى النار وكيف احتسب عند الله أى قال حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت عليه النار بردا وسلاماً بأمر الله تعالى،

وموسى عليه السلام وما لقى فى سبيل الله، وهو كثير، تمثل فى اضطهاد قومه، ثم مطاردته وهروبه من مصر خائفا يترقب، وعودته إلى مصر، وتعقب فرعون له وخروجه من مصر بعد أن فلق الله له البحر،

وسحرة فرعون الذين آمنوا بمعجزة موسى، فصلبهم فرعون فى جذوع النخل،

وعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام،

– المؤمنون من قومه، وما تعرضوا له من تعذيب،

– وأصحاب الأخدود،

وخاتم الأنبياء محمد ﷺ وما لقى هو وأصحابه مما سردنا طرفا منه، ونسرد طرفا آخر منه الآن:

كان بعض أصحاب محمدﷺ –وقد نزل بهم ما نزل– يقولون للرسولﷺ : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا!! وربما عجب بعضهم من أن يمكّن الله منهم الكافرين يعذبونهم ويشردونهم، فكان أن نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿**الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)**﴾ [**العنكبوت**: ١ - ٣].

– قال المفسرون: نزلت هذه الآية في قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام ومنهم:

سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي: أخو أبي جهل بن هشام،

وعياش بن أبي بيعة،

والوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد،

وعمار بن ياسر،

وأبوه ياسر،

وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام،

وعدة من بني مخزوم.

– قال مجاهد: فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة أن هذه هي سنة الله في عباده ، اختبارا للمؤمنين وفتنة.

– وقال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال، فهي باقية في أمة محمدﷺ ، موجود حكمها بقية الدهر.

– قال الرازي في معنى: «أحسب الناس أن يتركوا...» الآية «.. المقصود الأقصى من الخلق، العبادة. والمقصد الأعلى من العبادة حصول محبة الله كما ورد في الخبر:

ولايزال العبد يتقرب إليّ بالعبادة حتى أحبه،

وكل من كان قلبه أشد امتلاً من رحمة الله، فهو أعظم درجة عند الله،

لكن للقلب ترجمان هو اللسان،

وللسان مصدقات هي الأعضاء،

ولهذه المصدقات مزكيات،

فإذا قال الإنسان آمنت، باللسان، فقد ادعى محبة الله في الجنان، فلابد له من شهود،

فإذا استعمل الأعضاء في الإتيان بما عليه بنيان الإيمان حصل له على دعواه شهود مصدقات،

فإذا بذل في سبيل الله نفسه وماله وزكى -بترك ما سواه- أعماله زكى شهوده الذين صدقوه فيما قاله، فيحرر- أي يكتب- في جرائد المحبين اسمه، ويقر في أقسام المقربين قسمه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون» يعني: أظنوا أن نقبل منهم دعواهم بلا شهود وشهودهم بلا مزكين، بل لابد من ذلك جميعه ليكونوا من المحبين»[1].

ثم بين سبحانه وتعالى أن الابتلاء والفتنة والتضحية من أجل الدين والمعتقد هي سنته في المؤمنين ، فقال عز وجل: «ولقد فتنا الذين من قبلهم...» الآية.

أي ابتلينا من مضى قبلهم من المؤمنين.

قال القرطبي في تفسيره: «ولقد فتنا الذين من قبلهم» أي ابتلينا الماضين كالخليل ألقى النار، وكقوم نشروا بالمناشير في دين الله فلم يرجعوا عنه.

وروى البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قالوا: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له: ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعوا لنا؟

فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد لحمه وعظمه ، فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

وروى الإمام أحمد بسنده عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما عن أبيه

---

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير: ٢٦/٢٥. مرجع سابق.

سعد قال: قلت يا رسول الله: أى الناس أشد بلاء؟

قال: «الأنبياء، ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه، وإن كان فى دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشى على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة».

هكذا ينبغى أن تفهم التضحية من أجل الدين.

ونسوق فى الصفحات التالية نماذج من تضحيات الصحابة رضوان الله عليهم، والله ولى التوفيق.

١ – عثمان بن مظعون رضى الله عنه

هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي.

قال ابن إسحق: أسلم عثمان أول الإسلام بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى، ثم علم وهو فى الحبشة أن قريشا أسلمت فعاد إلى مكة، وقرب مكة علم أن قريشا لاتزال على كفرها فلم يستطع دخول مكة إلا فى جوار الوليد بن المغيرة.

وقال ابن إسحق بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: «لما رأى عثمان ما يلقى رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة ، قال عثمان:

– والله إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله ما لايصيبنى ، لنقص شديد فى نفسى.

فمضى إلى الوليد بن المغيرة فقال: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد كنت فى جوارك، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ ، فلى به وأصحابه أسوة،

– فقال الوليد: فلعلك يا ابن أخى أوذيت أو انتهكت؟

– قال: لا، ولكنى أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره،

– قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علىّ جوارى علانية، كما أجرتك علانية،

– فقال: أنطلق،

فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد:

– هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليرد علىّ جوارى.

– فقال عثمان: صدق، وقد وجدته كريم الجوار، وقد أحببت ألا أستجير بغير الله عز وجل، وقد رددت عليه جواره.

ثم انصرف عثمان بن مظعون، ولبيد بن ربيعة الشاعر المعروف فى مجلس قريش، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم:

ألا كل شئ ما خلا الله باطل.

– فقال عثمان: صدقت. قال لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل.

– فقل عثمان : كذبت، نعيم الجنة لايزول.

– قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟

– فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه فى سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن فى نفسك من قوله،

فردّ عليه عثمان حتى سرى– أى عظم– أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان،

– فقال: أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية، فقد كنت فى ذمة منيعة.

– فقال عثمان: بلى والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها، ولى برسول الله ﷺ وبمن آمن معه أسوة.

– فقال الوليد: هل لك فى جوارى؟

– فقال عثمان: لا إرب لى فى جوار أحد إلا فى جوار الله»[1].

وشهد عثمان بن مظعون بدرا.

وكان من أشد الناس اجتهادا فى العبادة، يصوم النهار ويقوم اليل، ويجتنب الشهوات، ويعتزل النساء ، ولقد استأذن عثمان رسول الله ﷺ فى التبتل والاختصاء، فنهاه عن ذلك.

روى الترمذى بسنده عن عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميت، وهو يبكى وعيناه تذرفان.

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة: ٤٩٥/٣– ط بيروت

٢- مصعب بن عمير رضي الله عنه

هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف.

دخل على رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكتم إسلامه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سراً.

ولما علم قومه بإسلامه حبسوه فلم يزل محبوسا حتى هاجر إلى الحبشة في الهجرة الأولى.

وهاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة،

وبعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى، فذهب إليهم يفقههم في الدين ويقرئهم القرآن الكريم،

وكان رضي الله يأتي الأنصار في دورهم فيدعوهم إلى الإسلام فأسلم منهم خلق كثير، وفشا الإسلام فيهم،

ثم قدم مصعب بن عمير على رسول الله ﷺ مع السبعين الذين وافوه في العقبة الثانية، فأقام بمكة قليلاً ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فهو أول من قدمها.

وعن ابن شهاب قال:

لما بايع أهل العقبة رسول الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم، فدعوهم إلى الإسلام سراً وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلا من قبلك، فليدع الناس بكتاب الله فإنه قمن أن يتبع، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب إبن عمير، فلم يزل يدعو آمنا، ويهدى الله تعالى على يديه، حتى قل دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم.

فأسلم عمِرو بن الجموح،

وكسرت أصنامهم،

وكان المسلمون أعز أهل المدينة، فرجع مصعب إلى رسول الله ﷺ،

وكان مصعب يدعى: المقرئ.

وقد كان مصعب بن عمير رضي الله عنه أول داعية إلى الله في المدينة قبل أن يذهب إليها الرسول ﷺ. وقد اختاره رسول الله ﷺ لهذا العمل دون غيره.

- وذكر الواقدى عن إبراهيم بن محمد العبدرى عن أبيه قال: «كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وتيهاً، وكان أبواه يحبانه وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحسن لمة، وأدق حلة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير».

- وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «نظر النبى ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبى ﷺ: انظروا إلى هذا الرجل الذى نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون».

ترى كم ضحى مصعب بن عمير رضى الله عنه؟

إن هذه الكلمات الوجيزة التى كتبناها عنه تنطق بنوع تضحياته لا بمقدار هذه التضحيات.

٣- سلمة بن هشام رضى الله عنه

هو سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، وهو أخو أبي جهل عمرو بن هشام، وابن عم خالد بن الوليد.

أسلم قديما، وهاجر إلى الحبشة، ولكنه مُنع من الهجرة إلى المدينة.

وقد عذب سلمة بن هشام في الله عز وجل، فكان رسول الله ﷺ يدعو له فى القنوت، كما يدعو لغيره من المستضعفين من المسلمين.

قال الواقدى: كان رسول الله ﷺ إذا قنت في الركعة من صلاة الصبح قال: «اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة، والمستضعفين بمكة».

وهؤلاء الثلاثة :سلمة والوليد وعياش أبناء عمومة، حيث كان آباؤهم: هشام والوليد وأبو ربيعة إخوة ، أبوهم المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

بقى سلمة فى مكة ممنوعا من الهجرة إلى المدينة، حتى استطاع أن يهاجر بعد غزوة الخندق،

وشهد غزوة مؤتة،

وخرج إلى الشام مجاهدا حين بعث أبو بكر رضى الله عنه الجيوش إلى الشام،

وقتل شهيدا فى معارك المسلمين فى الشام سنة ١٤ من الهجرة، فضحى بنفسه فى سبيل الله تعالى.

وهذه هى التضحية من هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم: كانوا يستطيعون العيش فى أمن وراحة ورخاء ، ولكنهم آثروا الحق وآثروا ما عند الله تعالى، فكانت هذه التضحيات التى رسموا بها طريقا للعاملين من أجل الإسلام فى أى زمان وأى مكان.

٤- عياش بن أبى ربيعة رضى الله عنه

هو عياش بن أبى ربيعة- وأبو ربيعة هو عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم- وعياش أخو أبى جهل لأمه، وابن عمه.

أسلم قديما أول الإسلام، قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم.

واحتمل من التضييق بعد إسلامه ما احتمل، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى- وولد له فيها ابنه عبد الله- ثم عاد إلى مكة، وهاجر إلى المدينة مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما.

وكان قد حبسه قومه بمكة وعُذب فى الله عز وجل فلم يتراجع عن الحق الذى آمن به، وهو ممن كان يدعو له رسول الله ﷺ فى قنوته- هو وسلمة والوليد بن الوليد- كما ذكرنا ذلك آنفا.

ولما هاجر إلى المدينة لحق به أخواه أبو جهل بن هشام والحارث[1] وذكرا له أن أمه حلفت أن لايدخل رأسها دهن ولا تستظل حتى تراه، فرجع معهما، فأوثقاه بمكة زمنا، حتى مضى زمن بدر وأحد والخندق، ثم هاجر إلى المدينة بعد غزوة الخندق.

وقال ابن إسحق: إن رجالا من بنى مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن المغيرة وكانوا قد أجمعوا أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا منهم:

سلمة بن هشام،

وعياش بن أبى ربيعة.

قال: فقالوا له ، وخشوا شرهم: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا، فإنا لا نأمن بذلك فى غيرهم.

- فقال: (أى هشام بن الوليد) : هذا فعليكم به، فعاتبوه، وإياكم ونفسه (أى لا تقتلوه) وأنشأ يقول:

ألا لا يقتلن أخى عييش ... فيبقى بيننا أبدا تلاح

(١) كانا أخويه لأمه- وأمه أسماء بنت مخرمة بن جندل -تزوجها هشام بن المغيرة ثم طلقها فتزوجها أبو ربيعة أخو هشام.

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا،

– فقالوا : اللهم العنه من يغرر بهذا الحديث،

فتركوه ونزعوا عنه،

وكان ذلك مما دفع الله به عنه[1].

هكذا ضحى عياش بن أبى ربيعة رضوان الله عليه، واحتمل فى سبيل الله، وأُجبر على الهجرة إلى الحبشة، ثم حبس بمكة حتى كان ممن يدعو رسول الله ﷺ لهم فى قنوته وهو فى المدينة المنورة، وكان يسميهم بأسمائهم كما ذكرنا ذلك.

٥- جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه

هو جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم رسول الله ﷺ ، وكان أقرب الناس شبها برسول الله ﷺ خلقا وخلقا.

أسلم قديما بعد إسلام أخيه علىّ -رضى الله عنه- بقليل، قيل: أسلم بعد إسلام واحد وثلاثين إنسانا، فكان هو الثانى والثلاثين.

هاجر إلى الحبشة وأقام بها عند النجاشى، وكان أسن من أخيه على رضى الله عنه بعشر سنين، وبقى فى الحبشة حتى قدم على النبى ﷺ حين فتح خيبر، فتلقاه رسول الله واعتنقه وقبل بين عينيه، وقال: ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحا، بقدوم جعفر أو بفتح خيبر.

روى ابن إسحق بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار: النجاشى، آمننا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه،

فلما بعثت قريش عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا إلى النجاشى، وإلى بطارقته،

أرسل (أى النجاشى) إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم،

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

– قالوا: نقول: والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن،

فلما جاءوه – وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله – ثم سألهم فقال لهم:

– ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من الأمم ؟

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية: ٣٢١/١ ط الحلبى – القاهرة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥م.

فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، وكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان،

– وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء،

– ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة،

– وأمرنا أن نعبد الله وحده ولانشرك به شيئاً،

– وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا،

فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عباده الأوثان من عبادة الله عز وجل، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث،

فلما قهرونا وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك فاخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

– فقال النجاشي : إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا – مخاطبا عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص – فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا أكاد.

– ثم قال – أى للمسلمين –: اذهبوا أنتم سيوم بأرضى – وسيوم أى آمنون – مَنْ سَبَّكم غَرِم، من مسكم غرم، من مسكم غرم، ما أحب أن لى دبر ذهب وإنى آذيت رجلا منكم – والدبر بلسان الحبشة : الجبل – ثم قال : ردوا عليهما – أى على مبعوثى قريش – هداياهما فلا حاجة لى بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىّ ملكى، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فى، فأطيعهم فيه.

– فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به،

– وأقمنا عنده بخير دار مع خير جوار»[1]،

وفى كرم جعفر رضى الله عنه وتضحيته بماله لإخوانه الفقراء، يروى أبو نعيم الأصبهانى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنتُ لا آكل الخمير، ولا ألبس الحرير، وألصق

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ١/ ١١٦. مرجع سابق.

بطني من الجوع، واستقرئ الرجل الآية من كتاب الله هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، إنْ كان ليخرج لنا العكّة[1] فنشقها فنلعق ما فيها.

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه : كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونه، وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين.

لقد ضحى جعفر رضي الله عنه بنفسه في سبيل الله في معركة مؤتة.

روى ابن إسحق بسنده قال :

«قدم رسول الله ﷺ من عمرة القضاء، المدينة في ذى الحجة فأقام بالمدينة حتى بعث إلى مؤتة في جمادى سنة ثمان قال : فاقتتل الناس قتالا شديدا حتى قتل زيد بن حارثة، ثم أخذ الراية جعفر، فقاتل بها حتى قتل».

وروى ابن إسحق بسنده عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : «حدثني أبي الذى أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة، حين اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها ثم تقدم، فقاتل حتى قتل».

– قال ابن إسحق : «فهو أول من عقر في الإسلام».

ولما قاتل جعفر قطعت يداه والراية معه، لم يلقها، قال رسول الله ﷺ : «أبدله الله جناحين يطير بهما في الجنة، ولما قتل وجد به بضع وسبعون جراحة، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، كلها فيما أقبل من بدنه.

– قال ابن اسحق : «فلما أصيب القوم، قال رسول الله ﷺ : «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون، ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً.

ثم قال : لقد رفعوا في الجنة على سرر من ذهب، فرأيت في سرير ابن رواحة ازوراراً عن سريرى صاحبيه، فقلت : عمَّ هذا؟ فقيل لي : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى».

هكذا كانت تضحياتهم رضوان الله عليهم في سبيل الله تعالى.

٦ – الوليد بن الوليد بن المغيرة رضى الله عنه

هو أخو خالد بن الوليد رضى الله عنه لأبيه.

---

(١) هي زق صغير للسمن، وهو وعاء عن جلد يستعمل للسمن أو العسل.

شهد بدراً مع المشركين فأسره عبد الله بن جحش رضى الله عنه، فقدم فى فدائه أخواه خالد وهشام - وهشام أخوه لأبيه وأمه - فتمنع عبد الله بن جحش، حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم، فجعل خالد لا يبلغ ذلك، فقال له هشام : ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت.

ويقال إن النبى ﷺ قال لعبد الله بن جحش : «لا تقبل في فدائه إلا شكّة أبيه الوليد» - وكانت الشكة درعا فضفاضة وسيفا وبيضة (أو خوذة) -فأبى ذلك خالد وأجاب هشام، فأقيمت الشكة بمائة دينار، فسلماها إلي عبد الله بن جحش.

فلما افتُدى أسلم.

- فقيل له : هلا أسلمت قبل أن تُفتدَى ؟

- قال : «كرهت أن تظنوا بى أنى جزعت من الإسار»، فحبسوه بمكة.

وكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا لهم فى قنوته من المستضعفين من المؤمنين بمكة.

ثم أفلت من إسارهم ولحق برسول الله ﷺ، وشهد مع النبى ﷺ عمرة القضية (القضاء).

- وقيل : إن الوليد لما أفلت من مكة سار على رجليه ماشياً فطلبوه فلم يدركوه، فنكبت إصبعه - أي نالتها الحجارة - فمات عند بئر أبى عنبة على ميل من المدينة.

قال مصعب : والصحيح أنه شهد عمرة القضية(١).

ولما شهد الوليد العمرة مع رسول الله ﷺ خرج خالد بن الوليد من مكة فاراً، لئلا يرى رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة.

- فقال رسول الله ﷺ للوليد : لو أتانا خالد لأكرمناه وما مثله سقط عليه الإسلام فى عقله(٢)، فكتب الوليد بذلك إلى خالد، فوقع الإسلام فى قلبه، وكان سبب هجرته.

وروى الإمام أحمد بسنده عن الوليد بن الوليد رضى الله عنه، أنه قال : يا رسول الله، إنى أجد وحشة فى منامى !!! فقال النبى ﷺ : «إذا اضطجعت للنوم فقل : بسم الله، أعوذ بكلمات الله من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنه لا يضرك، وبالحرى أن لا يقربك، فقالها : فذهب ذلك عنه».

بم ضحى هذا الرجل؟

---

(١) و(٢) ابن الأثير عز الدين : أسد الغابة فى معرفة الصحابة : ٤/ ٦٧٨، مرجع سابق.

لقد ضحى بمكانة اجتماعية رفيعة فى قريش، وبأسرة تفتديه بأعز ما تملك، ضحى بكل ذلك ليصبح حبيسا لدى قومه، بل أسيراً يسام سوء المعاملة، حتى كان النبى ﷺ يذكره باسمه ويدعو له فى قنوته.

وكان من يُمن الوليد على أخيه خالد أن كتب إليه بما قال النبى ﷺ في خالد، فكان ذلك سببا فى إسلام خالد سيف الله المسلول على أعدائه !!!

٧ – عاصم بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه

هو عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، أنصارى أوسى – رضى الله عنه – وهو جد عاصم ابن عمر بن الخطاب لأمه رضى الله عنهم.

ويكنى : أبا سليمان، ويسمى : حَمِىَّ الدَّبر.

شهد بدراً وأحداً، وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ حين ولى الناس، وبايعه على الموت.

وكان من الرماة المذكورين، وقَتَلَ يوم أحد من أصحاب لواء المشركين مسافعاً والحارث – أو الجلاس ابنى طلحة –كلاهما أشعره سهما فأتى أحدهما أمه وقال لها : سمعت رجلا حين رمانى يقول : خذها وأنا ابن الأقلح،

فنذرت أمهما – واسمها سلافة بنت سعد بن شُهيد – أن تشرب فى قحف عاصم (وهو العظم الذى فوق الدماغ أو ما انفصل من الجمجمة) الخمر، وجعلت لمن جاءها برأسه مائة ناقة.

وعاصم هذا هو الذى قتل عقبة بن أبى معيط فى غزوة بدر، وعقبة هذا هو الذى كان يؤذى رسول الله فى مكة وهو الذى خنقه حتى دافع عنه أبو بكر الصديق فلقى ما لقى.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عينا وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت بن الأقلح فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة، ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام، رَهْطٍ عَيَنَا آثارهم، حتى وجدوا مأكلهم من التمر فى منزل نزلوه، قالوا : نوى تمر يثرب.

فاتبعوا آثارهم،

فلما خبر بهم عاصم – أى أحس بهم – وأصحابه، لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم،

– فقالوا لهم : انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا،

– فقال عاصم بن ثابت أمير القوم: أما أنا، والله لا أنزل بذمة كافر، اللهم أخبر عنا

نبيك ﷺ.

فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما فى سبعة، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم:

خبيب الأنصارى،

وزيد بن الدثنة،

ورجل آخر.

فلما تمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث :

- هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لى بهؤلاء - يقصد السبعة الشهداء الذين قتلهم هؤلاء - فجرروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه.

- وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف خبيباً، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدّ بها للقتل، فأعارته إياها، فدرج بنى لها، قالت:- وأنا غافلة حتى أتاه - فوجدته يجلسه على فخذه والموسى بيده، قالت : ففزعت فزعة عرفها خبيب.

- قال : أتخشين أنى أقتله؟ ما كنت لأفعل.

- فقالت : والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب فى يده وإنه لموثق فى الحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله خبيبا،

فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه فى الحل،

- قال لهم خبيب : دعونى أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين ثم قال : والله لولا أن تحسبوا أن بى جزعا من القتل لزدت،

اللهم أحصهم عددا واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً،

ثم قال :

ولسـت أبالى حين أُقْتَل مسلما ∴ على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فـى ذات الإلـه وإن يشـأ ∴ يبارك عـلى أوصـال شـلو ممـزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله.

وكان خبيب أول من سن الصلاة لكل مسلم قتل صبراً.

وكانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد، التي كانت قد نذرت أن تشرب الخمر فى قحف رأس عاصم، فلماذا ذهبوا بعد قتله لأخذ رأسه فمنعهم من أخذه الدبر – جماعة من الزنابير – فقالوا : دعوه حتى يمسى فيذهب عنه، ثم نأخذه، فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فانطلق به، فلم يجدوه.

وكان عاصم قد أعطى الله عهدا لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك تنجسا منهم،

فكان عمر بن الخطاب يقول –حين بلغه أن الدبر منعه– : حفظ الله العبد المؤمن.

لقد ضحى عاصم رضى الله عنه بكل ما يستطيع من جهد وقوة فى موقعتى بدر وأحد، ثم ضحى بنفسه دون أن يعطى أمانا لمشرك.

٨ – عبد الله بن حذافة السهمي رضى الله عنه

هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى القرشى. أسلم قديما، وصحب رسول الله ﷺ، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع أخيه قيس بن حذافة.

قال أبو سعيد الخدرى إنه شهد بدراً، ولكن عددا من علماء السيرة لم يوردوا اسمه فيمن شهد بدراً !

أرسله رسول الله ﷺ بكتاب إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام جاء فيه :

«من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، أن أسلم تسلم، من شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ذمة الله وذمة رسوله».

وأجاب كسرى على هذا الكتاب بكتاب جعله بين سرقتى حرير، وجعل فيهما مسكا، فلما دفعه رسول كسرى إلى النبى ﷺ، فتحه فأخذ قبضة من المسك فشمه وناوله أصحابه وقال:

«لا حاجة لنا فى هذا الحرير، ليس من لباسنا »وقال : «لتدخلن فى أمرى أو لآتينك بنفسى ومن معى، وأمر الله أسرع من ذلك، فأما كتابك فأنا أعلم به منك، فيه كذا وكذا» ولم يفتحه ولم يقرأه.

ورجع الرسول إلى كسرى فأخبره.

وقد قيل: إن كسرى – لما وصل اليه الكتاب – قده شتورا.

فقال رسول الله ﷺ «يمزق الله ملكهم كل ممزق»[1].

وقد وقع عبد الله بن حذافة فى أسر الروم فى بعض غزواته على قيسارية.

روى ابن الأثير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«أسر فى الروم عبد الله بن حذافة السهمى، صاحب النبى ﷺ،

– فقال له الطاغية: تنصر وإلا ألقيتك فى البقرة – لبقرة من نحاس.

– قال: ما أفعل.

فدعا بالبقرة النحاس فملئت زيتا، وأغليت، ودعا برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية، فأبى فألقاه فى البقرة، فإذا عظامه تلوح.

– وقال: لعبد الله بن حذافة: تنصر وإلا ألقيتك.

– قال: ما أفعل.

– فأمر به أن يلقى فى البقرة فبكى.

– فقالوا: قد جزع، قد بكى.

– قال: ردوه.

– قال: – أي عبد الله – لا ترى أنى بكيت جزعا مما تريد أن تصنع بى، ولكنى بكيت حيث ليس لى إلا نفس واحدة يفعل بها هذا فى الله، كنت أحب أن يكون لى من الأنفس عدد كل شعرة فىّ، ثم تسلط على فتفعل بى هذا.

– قال: فأعجب منه وأحب أن يطلقه.

– فقال: قبل رأسى وأطلقك.

– قال: ما أفعل.

– قال: تنصر وأزوجك بنتى وأقاسمك ملكى.

– قال: ما أفعل.

– قال: قبل رأسى وأطلق معك ثمانين من المسلمين.

– قال: أما هذه فنعم، فقبل رأسه، وأطلقه، وأطلق معه ثمانين من المسلمين.

١ – د. محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة، ط دار الإرشاد الثالثة، بيروت ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩م.

– فلما قدموا على عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قام عمر فقبل رأسه.

قال : فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله فيقولون : قبلت رأس علج.

فيقول لهم : أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين»[1].

وتوفى عبد الله بن حذافة بمصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه.

ترى بكم ضحى عبد الله بن حذافة السهمى؟

إنه ضحى بنفسه أكثر من مرة ولكن الله كتب له النجاة.

٩ – عبد الله بن رواحة الأنصارى رضى الله عنه

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصارى، يكنى أبا محمد وأبا رواحة، وأمه بنت وافد بن عمرو بن الإطناية خزرجية أيضا.

كان ممن شهد العقبة، وكان نقيب بنى الحارث، شهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا الفتح وما بعده، فقد كان استشهد فى مؤتة.

وهو شاعر جيد، كان هو وحسان بن ثابت يذودان بشعرهما عن الإسلام والنبى ﷺ.

وهو خال النعمان بن بشير الصحابى المعروف.

كانت صفة الطاعة لله ولرسوله ﷺ من أبرز صفاته.

روى ابن الأثير بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى رضى الله عنه أن عبد الله بن رواحة أتى النبى ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول : «اجلسوا» فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ النبى ﷺ من خطبته.

فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال له : «زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله».

– ومن شعره فى النبى ﷺ :

أنت النبى ومن يحرم شفاعته ∴ يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن ∴ تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فقال ﷺ : «وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة».

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة : ٣ / ١٠٦.

قال هشام بن عروة: فثبته الله أحسن الثبات فقتل شهيداً وفتحت له أبواب الجنة فدخلها شهيدا.

روى ابن عبد البر بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : أعوذ بالله أن يأتى على يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة، كان إذا لقينى مقبلاً ضرب بين ثديى، وإذا لقينى مدبرا ضرب بين كتفى ثم يقول : يا عويمر، اجلس فَلْنُؤْمِن ساعة، فنجلس فنذكر الله ما شاء الله، ثم يقول : يا عويمر : هذه مجالس الإيمان.

وروى ابن إسحق بسنده عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال : أمَّر رسول الله ﷺ على الناس يوم مؤتة زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب عبد الله فليرتض المسلمون رجلا ليجعلوه عليهم.

– فتجهز الناس وتهيؤوا للخروج، فودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ، وسلموا عليهم،

– وودعوا عبد الله بن رواحة فبكى.

– قالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة؟

– فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة إليها، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا» فكيف لى بالصدور بعد الورود ؟

– فقال المسلمون : صحبكم الله وردكم إلينا صالحين ودافع عنكم.

فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله فودّعه، ثم خرج القوم حتى نزلوا معان، فبلغهم أن هرقل نزل بمآب فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة، فأقاموا بمعان يومين وقالوا: نبعث إلى رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدونا، فإما أن يمدنا، وإما أن يأمرنا أمرا، فشجعهم عبد الله بن رواحة قائلا لهم : والله يا قوم إن الذى تكرهون للذى خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدة ولا قوة ولا كثيرة، ما نقاتلهم إلا لهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنين: إما ظهور وإما شهادة. فقال الناس : صدق والله ابن رواحة، فمضى الناس.

فساروا –وهم ثلاثة آلاف– حتى لحقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها : مشارف، ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة.

وروى ابن عبد البر بسنده عن عبد السلام بن النعمان بن بشير رضى الله عنه : «أن

جعفر بن أبى طالب حين قتل، دعا الناس عبد الله بن رواحة، وهو فى جانب العسكر فتقدم فقاتل.

- وقال يخاطب نفسه :

يا نفسى إلا تُقتلى تموتى ∴ هذا حياض الموت قد صليتِ

وما تمنيت فقد لقيت ∴ إن تفعلى فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

يعنى : زيداً وجعفرا.

- ثم قال: يانفس إلى أى شىء تتوقين؟

إلى فلانة- امرأته - فهى طالق ،

وإلى فلان وفلان - غلمان - فهم أحرار ،

- وإلى معجف - بستان له - فهو لله ورسوله .

ثم قال :

يانفس مالك تكرهين الجنةْ ∴ أقسم بالله لتنزلنهْ

طائعة أو لتكرهنهْ ∴ فطالما قد كنت مطمئنةْ

هل أنت إلا نطفة فى شنّهْ ∴ قد أجلب الناس وشدوا الرنةْ

وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده عن ابن إسحق قال :

- لما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى: «أخذ زيد بن حارثة الراية فقاتل بها حتى قتل شهيدا، ثم أخذها جعفر بن أبى طالب، فقاتل حتى قتل شهيدا، ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان فى عبدالله بن رواحة مايكرهون، فقال: ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا، ثم قال لقد رفعوا لى فى الجنة على سرر من ذهب، فرأيت فى سرير عبدالله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل لى: مضيا، وتردد عبدالله بعض التردد ثم مضى فقتل»[1] .

١٠ - أنس بن النضر رضى الله عنه :

هو أنس بن النضر بن ضمضم، من بنى عدى بن النجار، خزرجى من الأنصار، وهو عم

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/١٢٠، مرجع سابق.

أنس بن مالك بن النضر، خادم النبى ﷺ وبه سمى أنس رضى الله عنهما.

وربما كان أنس بن النضر من أولئك الصحابة الكرام الذين لم تعرف لدى المؤرخين وكتاب السيرة النبوية وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم، لم نعرف عنهم معلومات كثيرة، ولا مواقف كما عرف عن كثير من الصحابة الذين أفاضت الكتب في ذكر تفاصيل حياتهم، وسجلت كلماتهم ومواقفهم.

لكن ذلك -لو كان- لايعنى أن أولئك الصحابة الكرام كانوا على هامش الحياة فى تاريخ المسلمين، فإن موقفا يروى عن أحدهم ليؤكد أن صاحبه من أهم الصحابة رضوان الله عليهم فى مجال هذا الموقف الذى سجل له رضى الله عنهم.

ومن هؤلاء الذين لم تحفل كتب تاريخ الصحابة بهم فى أكثر من موقف أو اثنين الصحابى الشجاع الصادق الإيمان الحريص على الشهادة في سبيل الله، الذى ضحى بنفسه شهيدا فى معركة أحد: أنس بن النضر رضى الله عنه.

روى ابن عبدالبر بسنده عن أنس بن مالك عن عمه أنس بن النضر فى موقفه بأحد.

قال أنس بن مالك: غاب عمى عن قتال بدر، فقال: يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، والله لئن أشهدنى الله قتال المشركين، ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون.

- فقال - أى أنس بن النضر :

اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعنى المشركين،

ثم تقدم ،

فاستقبله سعد بن معاذ - رضى الله عنه ،

فقال - أى سعد : هذه الجنة ورب أنس أجد ريحها دون أحد.

- فقال سعد بن معاذ: فما أستطعت ما صنع، فقاتل .

قال أنس بن مالك :

فوجدنا به بضعا وثمانين مابين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثّل به المشركون،

فما عرفته أخته الربيع بنت النضر إلا ببنانه .

قال أنس بن مالك : كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه، وفى أشباهه: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أو ليس قد ضحى أنس بن النضر بحياته فى سبيل الله تعالى؟

أيوجد فوق هذه التضحية تضحية؟

أولا تدل كلماته -وهو يخوض المعركة- على إخلاص لله، وإصرار على أن يقدم نفسه من أجل هذا الدين؟

وعلام تدل هذه الثمانون مابين ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم؟

هؤلاء هم الذين ضحوا بأنفسهم من أجل هذا الدين، كانوا وسوف يظلون علامات بارزة فى طريق نصر الحق وتأييد الدين.

١١ - جندب بن جنادة -أبو ذر الغفارى - رضى الله عنه :

هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، ينتهى نسبه إلى مدركة بن إلياس بن مضر، وكنيته أبو ذر الغفارى، والغفارى نسبة إلى غفار أحد جدوده.

أسلم أبو ذر قديما أول الإسلام فكان رابع أربعة وقيل خامس خمسة.

- ولما أسلم أبو ذر عاد إلى بلاده، فأقام بها يدعو إلى الله حتى هاجر رسول الله ﷺ فأتاه بالمدينة، بعدما ذهبت بدر وأحد والخندق.

وقد صحب أبو ذر رسول الله ﷺ إلى أن لحق الرسول ﷺ بربه، فانتقل إلى الشام .

وقد بايع أبو ذر رسول الله ﷺ على أن لا تأخذه فى الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق وإن كان مرا.

وقد عاش أبو ذر الغفارى يجهر بكلمة الحق ويواجه بها الحكام لا يخشى فى الله لومة لائم، ولما كان بالشام شكاه معاوية بن أبى سفيان إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، فاستقدمه إلى المدينة واستأذنه فى الإقامة فى الربذة خارج المدينة فأذن له عثمان رضى الله عنه.

وكان من قصة إسلامه، ما أخرجه البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عباس رضى الله

عنهما: أن أبا ذر لما دخل على رسول الله ﷺ وأسلم قال له النبي ﷺ : «ارجع إلى قومك حتى يأتيك أمرى»، فقال:

والذى نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه فقال:

ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم عليهم، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها وثاروا عليه فضربوه وأكب عليه العباس فأنقذه.

ولقد ضحى أبو ذر رضى الله عنه بالمال والمنصب والجاه، ولو أراد شيئا من ذلك لأدركه، لكنه كان فى الزاهدين إماما، ولا شك أن الزهد فى الدنيا نوع من التضحية.

ومن كلماته فى التضحية بالدنيا ما نسوق بعضه فيما يلى :

روى ابن سيرين قال: «قدم أبو ذر المدينة فقال عثمان رضى الله عنه: كن عندى تغدو عليك وتروح اللقاح، قال: لاحاجة لى فى دنياكم،

ثم قال: ائذن لى أن أخرج إلى الربذة فأذن له فخرج» .

وعن جعفر بن سليمان قال: «دخل رجل على أبى ذر فجعل يقلب بصره فى بيته، فقال: يا أبا ذر، أين متاعكم؟

– قال : لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا– يقصد الدار الآخرة.

– قال له الرجل: لابد لك من متاع مادمت ههنا.

– قال : إن صاحب المنزل لايدعنا فيه – يقصد الدار الدنيا .

وعن أبى بكر بن المنكدر قال : بعث حبيب بن مسلمة –وهو أمير بالشام– إلى أبى ذر بثلاثمئة دينار، وقال:

– استعن بها على حاجتك .

– فقال أبو ذر: ارجع بها إليه، أو ما وجد أحد أغر بالله عز وجل منا؟

مالنا إلا ظل نتوارى به، وثلة «جماعة الغنم» وبضم الثاء «جماعة الناس» من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إنى لأتخوف الفضل».

وعن أبى السليل قال: «جاءت ابنة أبى ذر وعليها صوف سفعاء الخدين، ومعها قفة لها

فمكثت بين يديه وعنده أصحابه.

– فقالت : ياأبتاه، زعم الخازنون والزارعون أن أفلسك هذه بهرجه [١].

– فقال: يابنية، ضعيها ، فإن أباك أصبح –بحمد الله– لا يملك من صفراء ولا بيضاء إلا أفلسه هذه .

وعن نافع الطاحى قال: مررت بأبى ذر فقال لى:

– ممن أنت ؟

– قلت من أهل العراق ،

– قال : أتعرف عبدالله بن عامر ؟

– قلت: نعم ،

– قال: فإنه كان يتقرأ (أي يتفقه) معى ويلزمنى، ثم طلب الإمارة، فإذا قدمت البصرة فترايا له فإنه سيقول لك حاجة فقل له: أخلنى، فقل له: أنا رسول أبى ذر إليك، وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش.

فلما قدمتُ تراءيتُ له فقال: ألك حاجة؟

– فقلت: أخلِنى أصلحك الله.

– فقلت: أنا رسول أبى ذر إليك، فلما قلتها خشع لها قلبه وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك :

– إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش.

– قال: فحل إزاره ثم أدخل رأسه فى جيبه ثم بكى حتي ملأ جيبه بالبكاء».

ومن كلماته الحكيمة ما رواه عبدالله بن سيدان عن أبى ذر أنه قال: «فى المال ثلاثة شركاء:

القدر: لايستأمرك أن يذهب بخيرها وشرها من هلاك أو موت.

والوارث: ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم.

وأنت الثالث: فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونَنَّ، إن الله عز وجل يقول: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن هذا الجمل مما كنت

(١) الأفلس : الفلوس جمع فلس، وبهرجة أى زائفة أو لا قيمة لها .

أحب من مالى فأحببت أن أقدمه لنفسى»[1].

وبعد:

فهذه تضحيات أبى ذر الغفارى رضى الله عنه، وهى دليل أكيد على قوة إيمانه وعظيم توكله على الله تعالى، وتلك هى الدروس التى يحتاج إليها المسلمون فى كل زمان ومكان.

١٢- زيد بن حارثة رضى الله عنه

هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى، وقال ابن إسحق: «أبوه: حارثة بن شرحبيل»، والصحيح شراحيل كما ذكر معظم المؤرخين، ويكنى أبا أسامة.

وهو مولى رسول الله ﷺ، وهبته له زوجه خديجة رضى الله عنها وكان قد اشتراه لها ابن أختها حكيم بن حزام، إذ كان طفلا ووقع فى الأسر وبيع فى عكاظ، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه وكان ابن ثمان سنين، فكان يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

وكان أبوه قد حزن لفقده وأخذ ينشده حتى رآه جمع من قومه فى مكة، فخرج أبوه وعمه لفدائه فقالا لرسول الله ﷺ: جئناك فى ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا فى فدائه، فقال لهم رسول الله ﷺ: فهلا غير ذلك، قالوا: ما هو؟

- قال: ادعوه وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى أحدا.

- قالا: قد زدتنا النِّصف وأحسنتَ.

- فدعاه رسول الله ﷺ فقال: هل تعرف هؤلاء؟

- قال: نعم، هذا أبى وهذا عمى.

- قال ﷺ: فأنا مَنْ عرفت ورأيت صحبتى لك فاخترنى أو اخترهما.

- قال: ما أريدهما، وما أنا بالذى أختار عليك أحدا، أنت منى مكان الأب والعم.

- فقالا: ويحك يازيد، اتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك؟

- قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئا، ما أنا بالذى أختار عليه أحداً أبدا، فلما رأى

---

(١) ابن الجوزى: صفة الصفوة: ٥٨٤/١ - ٥٩٢ بتصرف واختصار، مرجع سابق.

رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال: يا من حضر، اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا.

وشهد بدراً، وهو الذى كان البشير إلى المدينة بالظفر والنصر، وكان رسول الله ﷺ قد زوجه ابنة عمته زينب بنت جحش، ولما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ، وزوج زيدا مولاته أم أيمن.

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فى سريّة إلا أمّره عليهم، ولو بقى لاستخلفه من بعده.

ولما سير رسول الله ﷺ الجيش إلى الشام جعل أميرا عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن قتل فجعفر فإن قتل فعبد الله بن رواحة.

واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى المريسيع، وخرج أميرا فى سبع سرايا، ولم يسم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فى القرآن الكريم باسمه غير زيد رضى الله عنه.

أى تضحية تلك التى ضحاها زيد من أجل رسول الله ﷺ يوم اختار الرسول ﷺ على أبيه وأهله؟

وأى تضحية تلك وهو يجود بنفسه فى غزوة مؤتة؟

وبعد:

فهذه نماذج من كبار الصحابة السابقين إلى الإسلام، وإن كنا لم نستوعب، ولانستطيع ذلك الاستيعاب فى هذا الكتاب، لأن من كبار المضحين من الصحابة من أجل هذا الدين من نكتفى هنا بسرد أسمائهم رضى الله عنهم، ومنهم:

١- عمار بن ياسر،

٢- وأبوه ياسر بن عمار،

٣- وأمه سمية،

٤- وبلال بن رباح،

٥- وسلمان الفارسى،

٦- وصهيب بن سنان،

٧- وخباب بن الأرت،

٨- وأبو طلحة: زيد بن سهل،

٩- ومعاذ بن جبل،

١٠- والمقداد بن عمرو،

١١- وعبدالله بن مسعود،

١٢- وعامر بن فهيرة،

١٣- والأرقم بن أبي الأرقم،

١٤- وأبو دجانة: سماك بن خرشة،

١٥- والبراء بن معرور رضي الله عنهم أجمعين.

ثانيا: تضحيات الصحابة رضوان الله عليهم فى المعارك الكبرى فى تاريخ المسلمين على عهد رسول الله ﷺ

أعنى بهذه المعارك الكبرى معارك بدر وأحد والخندق ومؤتة وتبوك، وليس معنى ذلك أن سائر الغزوات أقل أهمية من هذه المعارك الكبرى، وإنما كانت تلك المعارك الكبرى أنسب لموضوع هذا الكتاب وهو: «التضحية أو بذل النفس والمال وكل شيء فى سبيل الغاية».

نعم لهذه المعارك الكبرى التى سأذكر طرفا من التضحيات فيها، أهمية خاصة فى تاريخ الإسلام، ورسم طريق الجهاد والعمل من أجل هذا الدين.

– وذلك أن غزوة بدر الكبرى كانت أول مجابهة مسلحة بين الحق والباطل، أو بين الإيمان والكفر، وكانت المعركة الأولى التى تسلح فيها المومنون بالقوة المادية التى كان فى استطاعتهم أن يتسلحوا بها، وواجهوا بها قوة أكبر من قوتهم؛ إذ كانت تبلغ ثلاثة أمثال عددهم، وكانت عدة المسلمين وعتادهم وآلتهم الحربية أقل بكثير مما يملك العدو، ومع ذلك واجهوهم مستعينين بالله تعالى متوكلين عليه ضارعين إليه فى طلب نصر دينه والنصر على الأعداء.

ومن هنا كانت التضحيات فى تلك الغزوة أقوى دلالة على رغبتهم فى نصر الإسلام والمسلمين، ونستطيع أن نتبين أهمية هذه المعركة، وأهمية جند الله المؤمنين فيها من دعاء رسول الله ﷺ ربه ومناشدته إياه ما وعد به من نصر المؤمنين، حيث يقول ﷺ: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد» وأبو بكر رضى الله عنه يقول له: يا نبى الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك.

وكذلك كانت غزوة أحد، تلك الغزوة التى أراد الله تعالى أن يعلم المسلمين فيها درسًا فى طاعة الله ورسوله ودرسا فى الالتزام، ودرسا فى الشورى، ورابعا فى حسم المواقف وحسن التوكل على الله، وخامسا فى أن العبرة بالخواتيم، وسادسا فى الثبات، وسابعا فى التضحية، وما لانهاية لحصره من الدروس التى أعقبتها تلك الهزيمة فى معركة أحد.

ولقد كانت معركة أحد بالنسبة للمشركين معركة ثأرية لما حدث لهم من هزيمة فى بدر، فى حين كانت بالنسبة للمسلمين معركة دفاع عن كيان وعن إيمان، وبديلا عن أن يهاجموا فى عقر دارهم، كما أشار بذلك بعض الصحابة رضوان الله عليهم.

وكذلك كان شأن معركة الخندق أو الأحزاب، حيث تألبت قوى الشرك مع الكفر مع

غدر اليهود وخيانتهم، وقد أوهم الأحزاب أنفسهم أنهم يخوضون معركة يجتثون فيها كل ما هو إسلامى من نظام ومؤمنين، وأن يصرعوا الإيمان بتحالف الشرك والكفر واليهود وقوى الشر الباغية.

ولقد بلغ الأمر بالمسلمين مبلغا عظيما على الرغم من أنهم أخذوا بكافة الأسباب وأعدوا لعدوهم ما استطاعوا، ولكنهم ابتلوا بهذه المعركة وزلزلوا زلزالا شديدا، وخان اليهود وغدروا، ونافق الضعاف الذين يضمرون الشر للإسلام والمسلمين، وازداد المؤمنون بهذه المعركة إيمانا ورأوا الأحزاب على كثرتهم فقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فرد الله الذين كفروا ورد الأحزاب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم يرها المسلمون، وكانت التضحيات فيها جسيمة خطيرة.

وكذلك كانت غزوة مؤتة فى مواجهة دولة كبرى فى تلك الأيام هى دولة الروم، ثلاثة آلاف من المسلمين فى مواجهة مائتى ألف من الأعداء!! ولكنها القلة المؤمنة فى مواجهة الكثرة الظالمة التى اعتدت على مبعوث رسول الله الذى ذهب إليهم يدعوهم إلى الإسلام، وعلى الرغم من استشهاد أمراء هذه المعركة واحدا بعد آخر وكانوا ثلاثة، فإن ذلك لم يفت فى عضد المؤمنين وإنما زادهم إيمانا بهذا الدين ويقينا بأنهم منصورون به على القوتين الكبريين فى ذلك الوقت: الروم والفرس، وقد كان ما أيقنوا به بعد زمن وجيز.

وأما معركة تبوك فكانت امتدادا لمواجهة المسلمين للروم، وقد جيش لها رسول الله ﷺ جيشا كان أكبر عددا وأكثر عدة على الرغم مما كان المسلمون فيه من عسرة -حتى سمى هذا الجيش جيش العسرة -لكنه كان من ثلاثين ألف مقاتل خرجوا لنصر دين الله يقودهم خاتم رسله ﷺ.

ولقد حفلت هذه المعارك الكبرى بتضحيات من المسلمين قل أن تحدث إلا ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وهذا ما نحاول أن نكشف عن بعضه فى هذه الصفحات، والله ولىّ التوفيق وهو المستعان.

١ - غزوة بدر الكبرى

سوف نركز هنا على نماذج من التضحيات التى قام بها الصحابة رضوان عليهم فى هذه المعركة التى جاءت بفضل الله ثم تضحيات المسلمين فاصلة بين الإيمان والكفر، أما الغزوة نفسها فليس الحديث عنها هنا من أهدافنا وإنما تلتمس فى كتب السيرة النبوية.

ومن هذه النماذج ما نسوق بعضه فيما يلي:

- بعد أن أجمع المسلمون -بتوجيه رسول الله ﷺ- على ملاقاة عير قريش، وخرجوا من المدينة متوجهين إلى حيث يلقون العير، ولم يكن خروجهم أمراً من الرسول ﷺ وإنما كان ندباً خرج إليه من أراد من المسلمين، وعند الحشد للمعركة أخذ الرسول ﷺ يستشير الناس -وقد جاءه الخبر بأن قريشا سارت إليه، وهو النبى المعصوم الموحى إليه -ليعلم المسلمين وجوب الشورى واستبعاد انفراد القيادة بالقرار، حيث قال ﷺ: «أشيروا علىّ أيها الناس» ليقرر بذلك مبدأ الشورى فى أمور المسلمين.

وهنا تجلت مواقف التضحية من الصحابة رضوان الله عليهم على النحو التالى:

١- موقف المقداد بن عمرو رضي الله عنه

بعد أن قال رسول ﷺ: «أشيروا على أيها الناس» قام أبو بكر فقال فأحسن، وقام عمر فقال فأحسن.

ثم قام المقداد فقال:

يارسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون»، ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون،

فوالذى بعثك بالحق لو سِرْتَ بنا إلى برك الغماد (وهو مكان بعيد باليمن) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له.

- «لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه» بأى شيء يجالدون؟ بالمال والنفس وكل شيء فى سبيل الغاية.

- و«برك الغماد» هنا رمز إلى التغلب على كل صعوبة، وعلى كل بعد للمكان وتطاول للزمان، فشأن التضحية أن تتغلب على كل المصاعب، ولن يكون تغلب على هذه المصاعب إلا بالتضحية.

٢- موقف سعد بن معاذ رضى الله عنه

استمع الرسول ﷺ إلى كلمات أبى بكر وعمر والمقداد، ولكنه لم يسمع رأى الأنصار، إذ كان المتحدثون الثلاثة من المهاجرين، فأعاد ﷺ قوله: «أشيروا علىّ أيها الناس» يريد أن

يسمع الأنصار، فقد كانوا الأكثر عددا في غزوة بدر، وكانوا هم أصحاب بيعة العقبة.

وهنا قال سعد بن معاذ رضى الله عنه: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟

– قال: أجل.

– قال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله».

– وفى رواية أخرى أن سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقا عليها أن لا تنصرك إلا في ديارهم.

وإنى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل مَنْ شئت، وخذ من أموالنا ماشئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أُمرت فيه من أمر، فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سِرْت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معكَ، والله لئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخَضناه معك.

فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشّطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم.

– «لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك» أى تضحية هذه؟ إنها تضحية بالنفس، إنها الموت في سبيل الله من أجل الغاية!!!

– «وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت»! أى تضحية هذه؟ إنها تضحية بالمال إلى جوار التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى.

٣– موقف عمير بن الحمام رضى الله عنه

ثم خرج رسول الله ﷺ بجيشه لمواجهة العدو وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) ﴾ [القمر: ٤٥] . ثم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا وقال: شاهت الوجوه، ورمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينه ومنخريه وفمه من تلك القبضة، وفي ذلك أنزل الله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧].

ثم قال ﷺ: «شدوا»، وحرضهم على القتال قائلا: والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة.

– وقال ﷺ –وهو يحرضهم على القتال–: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» وعندئذ:

– قال عمير بن الحمام: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ:

– ما يحملك على قولك بخ بخ؟

– قال عمير: لا، والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها.

– قال ﷺ: فإنك من أهلها.

– فأخرج عمير بن الحمام تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة!! فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل»[1].

– فأى تضحية ضحاها عمير بن الحمام؟

إنها تضحية بالنفس فى سبيل الله تعالى، إنه بذلك من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

٤– موقف عوف بن الحارس –ابن عفراء– رضى الله عنه

روت كتب السيرة النبوية عن عوف بن عفراء أنه قال:

يا رسول الله: ما يضحك الربَّ من عبده؟

– قال ﷺ: غمسه يده فى العدو حاسراً.

فنزع عوف درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

فبأى شىء ضحى عوف رضى الله عنه؟

لقد ضحى بنفسه فى سبيل الله تعالى.

٥– موقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن هشام فى السيرة النبوية: «حدثنى أهل العلم بالمغازى أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص بن أمية.. ومر به: إنى أراك تظن أنى قتلت أباك، إنى لو قتلته لم أعتذر

(١) رواه أحمد بسنده عن أنس، وكذلك رواه مسلم بسنده عن أنس.

إليك من قتله، ولكن قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة.

فأما أبوك فإني مررت وهو يبحث بحث الثور بروقه (أي قرنه) فحدت عنه، وقصد له ابن عمه عليّ فقتله»[1].

لقد قتل عمر بن الخطاب خاله من أجل هذا الدين، أفتكون التضحية قليلة فى مثل هذه الظروف؟

– لقد طبعهم الإسلام بطابع التضحية بأى شيء وبكل شيء فى سبيل الحق وفى سبيل الله، ومن يضح بماله ونفسه، يسهل عليه أن يضحى بخاله أو عمه أو ولده أو والده، مادام قد فرق بينهما الإيمان والكفر، ومادامًا قد التقيا فى ساحة من ساحات الجهاد فى سبيل الله تعالى.

٦– موقف مصعب بن عمير رضى الله عنه

كان لمصعب بن عمير رضى الله عنه موقف مع أخيه أبى عزيز آثر فيه أخاه فى الإسلام على أخيه فى الدم، فكان بذلك مثلاً فى مجال التضحية بالعلاقات الاجتماعية من أجل الدين.

قال ابن هشام:

«وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم –أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه– فى الأسارى فى معركة بدر،

قال أبو عزيز: مرَّ بى أخى مصعب بن عمير، ورجل من الأنصار يأسرنى فقال له مصعب:

– شُدَّ يديك به فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك.

– قال أبو عزيز:

وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع فى يد الرجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها، قال: فأستحيى فأردّها على أحدهم فيردّها على ما يمسها.

وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد مقتل النضر بن الحارث،

فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبى اليسر – وهو الذى أسر أبا عزيز– ما قال،

– قال له أبو عزيز: يا أخى هذه وصاتك بى؟

(١) ابن هشام: السيرة النبوية: ٦٢٨/١،ط الحلبى القاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

- فقال له مصعب: إنه أخى دونك.

فسألَتْ أمُّه عن أغلى ما فدى به قرشى فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها»[1].

وبعد: فتلك مواقف لبعض الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة بدر في التضحية اكتفينا بها، وإن كانوا جميعا أهل تضحية وفداء رضى الله عنهم أجمعين.

٢- غـزوة أحُـد

في غزوة أحد من دروس التضحيات ما لا أستطيع حصره في هذا المجال من الاستشهاد وضرب المثل، فمنذ التفكير وأخذ الشورى في خوض المعركة في أحد أو البقاء في المدينة انتظارا للعدو فيها -كما أشار بذلك بعض الصحابة رضى الله عنهم- منذ تلك الساعة، ونماذج التضحيات في سبيل الله تعالى تتوالى من كبار الصحابة في السن ومن صغارهم أو أحداثهم.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر ما يلى:

١- التسابق إلى الاشتراك في المعركة

وقد جاء هذا التسابق من صغار السن من الصحابة رضى الله عنهم وكل واحد منهم يعلم علم اليقين أنه بهذه المشاركة في الحرب يضحى بنفسه -قبل ماله وسلاحه- في سبيل الله تعالى.

وقد أجاز الرسول ﷺ منهم من رآه أهلا للمشاركة في القتال.

فكان ممن أجازهم:

- سَمُرة بن جندب الفزارى رضى الله عنه،

- ورافع بن خديج أخا بنى حارثة رضى الله عنه،

وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما أولا، فقيل له يارسول الله: إن رافعا رامٍ فأجازه،

فلما أجاز رافعا قيل له: يارسول الله: إن سمرة يصرع رافعا، فأجازه.

وليس وراء ذلك حرص على التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى.

(١) السابق: ١/٦٤٥.

غير أن رسول الله ﷺ ردّ عددا ممن كانوا حريصين على المشاركة فى أحد لصغر أعمارهم وهم:

- أسامة بن زيد رضى الله عنه،
- وعبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه،
- وزيد بن ثابت رضى الله عنه،
- والبراء بن عازب رضى الله عنه،
- وعمرو بن حزم أحد بنى النجار رضى الله عنه،
- وأسيد بن ظهير أحد بنى حارثة رضى الله عنه،

ثم أجازهم يوم الخندق، وكانوا وقتها أبناء خمس عشرة سنة.

فعلام يدل تسابق هؤلاء الصحابة الصغار فى السن على المشاركة فى معركة جمع لها العدو ثلاثة آلاف مقاتل وعدة أكبر مما كانوا عليه فى معركة بدر، وكانوا بذلك يفوقون المسلمين عددا وعدة؟

علام يدل هذا التسابق؟

إنه يدل على أن التضحية خلق أصيل فيهم.

ولنذكر بعض المواقف لبعض الصحابة فى هذه المعركة التى انتهت بهزيمة المسلمين ليتعلموا ويزدادوا إيمانا.

١ - موقف أبى دجانة رضى الله عنه

قال ابن إسحق: «وقال رسول الله ﷺ: مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه، فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة، فقال:

وما حقه يارسول الله؟

- قال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى.
- قال: أنا آخذه يارسول الله بحقه فأعطاه إياه،

فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته الحمراء -وكان مشهورا بها فى الحرب- فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفين،

- فقال رسول الله ﷺ حين رآه يتبختر:

إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذه المواطن.

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس.

قال الزبير بن العوام:

وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة، وقلت: أنا ابن صفية عمته ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله، فأعطاه إياه وتركنى!

والله لأنظرن ماذا يصنع،

فاتبعته فأخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار:

أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول إذا تعصب بها فخرج وهو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلى ... ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر بالكيُّول[1] ... أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله.

– قال الزبير بن العوام:

وكان فى المشركين رجل لايدع لنا جريحا إلا ذفّف عليه[2] فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضّت سيفه، وضربه أبو دجانة فقتله.

وقد رأيته حمل السيف على رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها.

– قال الزبير: فقلت: الله ورسوله أعلم»[3].

– يقول أبو دجانة –رضى الله عنه– فى رفعه السيف عن هند بنت عتبة:

رأيت إنسانا يخمش الناس خمشا شديدا، فصمدتُ[4] له، فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

(١) الكيّول: آخر الصفوف.

(٢) أى أجهز عليه.

(٣) يقصد: الله ورسوله أعلم بمن كان أهلا لحمل هذا السيف أنا أم هو، واستراحت نفسه.

(٤) أى قصدته.

فماذا فعل أبو دجانة رضى الله عنه وقد أخذ هذا السيف بحقه وخاض به صفوف الموت. وقتل به مَن قتل؟

ما قدر التضحية فى هذا الموقف؟

ألم يكن معرضا لأن يمضى إلى ربه شهيدا؟

٢- موقف حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

هو عم النبى ﷺ وسيد الشهداء، وقد شج أبا جهل من أجل رسول الله ﷺ مع أنه كان لايزال على الكفر، وهو الذى أعز الله به الإسلام والمسلمين يوم أسلم؛ فخرج المسلمون فى صفين على أحدهما حمزة وعلى الآخر عمر بن الخطاب.

وحمزة بن عبد المطلب هو الذى قتل ثانى من حمل لواء المشركين: أبا شيبة عثمان بن أبى طلحة، إذ حمل عليه حمزة فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه حتى وصلت إلى سرته.

وكان حامل لوائهم الثالث أبا سعد بن طلحة فقتله سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، وقيل قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه،

- ورابع من حمل لواء المشركين مسافع بن طلحة بن أبى طلحة الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح.

- وخامسهم كلاب بن طلحة بن أبى طلحة، قتله الزبير بن العوام.

- وسادسهم الجلاس بن طلحة بن أبى طلحة، الذى قتله طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه.

وقيل إن حمزة رضى الله عنه قتل سابع من حمل لواء المشركين وهو أرطأة بن شرحبيل من بنى عبدِ الدار، وقيل قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وحمزة رضى الله عنه هو قاتل سبّاع بن عبد العزى، ابن أم أنمار، حيث خرج يطلب مبارزاً فخرج له حمزة قائلا له: يا سباع، يا ابن أم أنمار، يا ابن مقطعة البظور أتحارب الله ورسوله؟ ثم شد عليه فقتله.

وأسد الله حمزة رضى الله عنه يصفه من قتله غدرا -وقد كمن له ولم يواجهه -وحشى ابن حرب، فيقول: «فلما التقى الناس- فى أحد- خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهدُّ الناس هدّاً، ما يقوم له شيء..».

هذا الأسد الهصور كان مطلبا لوحشى عبد جبير بن مطعم، فكمن له ثم ضربه بحربته، فكان حمزه -بما صنع فى أحد- سيد الشهداء.

وكان وسيظل حمزة -أسد الله- مضرب المثل فى البطولة والتضحية، وبحسبه ما فعله فى بدر وأحد، ليكون بحق سيد الشهداء.

٣- مصعب بن عمير رضى الله عنه

حمل مصعب رضى الله عنه لواء المسلمين فى أحد، وقاتل وأبلى بلاء حسنا، وثبت باللواء ، فأقبل بن قميئة فضرب يد مصعب اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه، هكذا استشهد مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين فى أحد رضى الله عنه وأرضاه.

قال ابن سعد فى الطبقات: «قتل مصعب وأخذ اللواء ملك فى صورته، فجعل النبى ﷺ يقول له فى آخر النهار: تقدم يا مصعب فالتفت إليه الملك وقال: لست بمصعب، فعرف النبى ﷺ أنه ملك أُيِّدَ به».

وعن عبيد بن عمير رضى الله عنه قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من أحد، مرَّ على مصعب ابن عمير مقتولا على طريقه، فقرأ: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وعن خبَّاب رضى الله عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغى وجه الله، فوجب أجرنا على الله عز وجل، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، فلم نجد له شيئا نكفنه فيه إلا نمرة[١] كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطى بها رأسه، ونجعل على رجليه إذخراً، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها»[٢].

---

(١) النمرة: شملة مخططة تستعمل إزاراً وهى من ملابس الأعراب.
(٢) يهدبها: يجنيها ويحصدها.
وحديث خبَّاب رضى الله عنه جاء فى البخارى ومسلم والنسائى وأبى داود فى باب الجنائز وأخرجه الترمذى فى باب المناقب.

هكذا كان موقف مصعب بن عمير رضى الله عنه فى أحد؛ مضى شهيدا يحمل لواء المسلمين، وهل بعد الشهادة فى سبيل الله تضحية؟

٤- أنس بن النضر رضى الله عنه

وهو شهيد أحد الذى قاتل الأعداء وقتل منهم خلقا كثيرا حتى استشهد فوجدوا فيه سبعين ضربة بسيف أو رمح، فما عرفته إلا أخته بعلامة فى بنانه[١].

قال ابن إسحق: انتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال لهم:

- ما يجلسكم؟

- قالوا: قتل النبى ﷺ.

- قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟

قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ.

ثم استقبل أنس الأعداء فقاتل حتى قتل.

وقد روينا من قبل كلمته فى هذا الموقف، ونذكر بها الآن وهى قوله: اللهم إنى أعتذر مما صنع هؤلاء، يعنى المسلمين، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المشركين، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ، فقال له:

- أين يا أبا عمر؟

- فقال أنس: واها لريح الجنة يا سعد، إنى أجده دون أحد.

لقد كان أنس بن النضر فى معركة أحد مضربا للمثل فى الشجاعة والتضحية والفداء، ولقى ربه شهيدا رضى الله عنه وأرضاه.

٥- عمرو بن الجموح رضى الله عنه

روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بنى سلمة من سيدكم؟

- قالوا: الجدُّ بن قيس، على أننا نبخله.

- قال: «وأى داءٍ أدوأ من البخل؟ بل سيدكم الأبيض عمرو بن الجموح».

(١) وفى رواية ثمانين.

وروى ابن سعد في الطبقات عن الواقدي قال:

«لم يشهد عمرو بن الجموح بدرا، وكان أعرج،

فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى أحد منعه بنوه وقالوا: قد عذرك الله.

فأتى النبي ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة،

فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله، ولا جهاد عليك،

ثم قال لبنيه: «لا عليكم أن لاتمنعوه، لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة، فخلوا عنه»[1].

فخرج مع رسول الله ﷺ يوم أحد فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه.

– وقالت امرأته: هند بنت عمرو بن حرام: كأني أنظر إليه موليا وقد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهل حزبي، وهي منازل بني سلمة.

– وقال أبو طلحة: فنظرت إلى عمرو حين انكشف المسلمون ثم ثابوا، وهو في الرعيل الأول لكأني أنظر إلى ظلّع في رجله يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة، ثم أنظر إلى ابنه خلاد يعدو في أثره حتى قتلا جميعا»[2].

أفبعد هذه التضحية تضحية؟

وبعد فلم يكن أهل التضحية في غزوة أحد هم هؤلاء الخمسة وحدهم، وإنما كان إلى جانبهم عدد آخر لم يتسع لنا المجال للحديث عنهم، ومنهم:

– أبو طلحة الذي كان يتلقى عن رسول الله كأنه ترس له،

– وأبو دجانة الذي تحدثنا عنه آنفا وكان قد جعل ظهره ترسا للنبي ﷺ يقع عليه النبل ولايتحرك،

– وحاطب بن أبي بلتعة الذي تتبع عتبة بن أبي وقاص حتى قتله، وكان عتبة كسر رباعية الرسول ﷺ،

– وسهل بن حنيف أحد أبطال الرماة،

– وقتادة بن النعمان، الذي فقد عينه فردها له النبي ﷺ،

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٦٤٦/١، مرجع سابق.
(٢) السابق: ٦٤٧/١.

- وعبد الرحمن بن عوف التى أصيب فوه فصار أهتم،

- ومالك بن سنان الذى امتص الدم من وجنة الرسول ﷺ ، وقال عنه النبى ﷺ: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا،

- وأم عمارة التى قاتلت بسيفها وأصابها اثنا عشر جرحا.

وإن الشهداء السبعين الذين لقوا ربهم فى معركة أحد، لمن المضحين بأنفسهم فى سبيل الله، وممن ضربوا فى التضحية من أجل الدين أروع الأمثال.

٣- غزوة الخندق (الأحزاب)

وهى غزوة فاصلة فى تاريخ الإسلام، وإن لم يجر فيها قتال، إذ أدّت إلى تخاذل اليهود والمشركين عن الإسلام والمسلمين، وإحباطهم بحيث لم يؤلبوا على المسلمين جيشا بهذا العدد وهذا التنوع فى الأعداء بعدها أبدا.

ومصداق ذلك ما رواه البخارى بسنده عن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ يوم الأحزاب «الآن نغزوهم ولايغزوننا، نحن نسير إليهم».

قام اليهود بالنصيب الأوفر من الجهد فى تأليب المشركين وسائر قبائل الكفر على رسول الله والمسلمين، فخرج عشرون رجلا من زعماء اليهود وسادات بنى النضير إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو الرسول ﷺ ويؤلبونهم عليه.

ثم خرج وفد اليهود إلى غطفان فدعاهم إلى حرب الرسول ﷺ فاستجابت غطفان لذلك، ثم طاف وفد اليهود على قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك.

واستطاع اليهود أن يحشدوا ضد الرسول ﷺ قريشا وحلفاءها من أهل تهامة، بقيادة أبى سفيان فى أربعة آلاف مقاتل.

- كما حشدت بنو سليم، وقبائل غطفان (وبنو فزارة بقيادة عينية بن حصن) و(بنو مرة بقيادة الحارث بن عوف) و(بنو أشجع بقيادة مسعر بن رخيلة)،

- كما خرجت بنو أسد وغيرها،

- وكانوا جميعا عشرة آلاف مقاتل وهو حشد لم تعرفه الجزيرة العربية فى مواجهة المسلمين من قبل ولا من بعد.

ولما سمع رسول الله بهذه الحشود استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسى بحفر خندق حول المدينة اتقاء لهجوم الأعداء.

وكان حفر هذا الخندق عملا فى غاية الصعوبة والمشقة، وزاد من صعوبته أنه لم يعتدْ

على القيام به العربُ من قبل، ولقد بذل الرسول ﷺ والمسلمون معه من الجهد فى حفر الخندق ما يفوق الحرب ذاتها، ولقد جاعوا وربطوا على بطونهم الحجارة.

وكان الرجل من المؤمنين إذا انتابته نائبة من الحاجة ونحوها يستأذن الرسول ﷺ فى أن يذهب لها ثم يعود إلى ما كان فيه من عمل.

ولقد شق عليهم العمل ولكنهم احتملوا وصبروا، وهؤلاء هم الذين نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢) ﴾ [النور: ٦٢].

٤ - غزوة مؤتة

وهى غزوة جهز لها رسول الله ﷺ جيشا، يواجه به الروم بعد أن ردوا على كتابه ورسوله إليهم أسوأ رد،

جهز رسول الله ﷺ هذا الجيش وأمّر عليه زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس،

وجمع هرقل من الروم مائة ألف من المقاتلين،

وانضم إلى جيش هرقل قبائل عربية هى لخم وجذام والقين وبهراء وبلىّ فكان مجموعهم مائة ألف أخرى،

فأصبح جيش الأعداء مائتى ألف من المقاتلين،

وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف فقط، وسار المسلمون حتى نزلوا بمعان[1]، فلما بلغهم حشد هرقل أقاموا بمعان ليلتين وأخذوا يتشاورون فى أمرهم،

- وقالوا: نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره بعدد أعدائنا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له.

- وفيما هم على ذلك الرأى قال لهم عبد الله بن رواحة:

يا قوم، والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة لها، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة.

(١) هى اليوم، مدينة بجنوبى الأردن.

قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس، حتى إذا كانوا بقرية من قرى البلقاء يقال لها: مشارف ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة،

فالتقى الناس عندها واقتتلوا،

فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ وجعل يقاتل لا يدخر وسعا ولا جهدا فلم يزل يقاتل جيش الروم حتى شاط فى رماح القوم، ومضى شهيدا إلى ربه فى سبيل هذا الدين.

وأخذ الراية جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، وقاتل ببسالة نادرة، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم نازلا عن فرس له شقراء عقرها ثم قاتل القوم حتى استشهد بعد قطع يمينه ثم شماله وهو يحمل راية المسلمين فكان جعفر بذلك أول من عقر فى الإسلام.

وقد استشهد جعفر رضى الله عنه وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ∴ طيبة وطيب شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ∴ كافرة بعيدة أنسابها

علىّ إذ لاقيتها ضرابها

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، ثم تقدم بها وهو على فرسه وقال شعرا ـ إذكان شاعرا ـ منه:

يا نفس إلا تقتلى تموتى ∴ هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت ∴ إن تفعلى فعلهما هديت

يقصد صاحبيه اللذين سبقاه فى قيادة الجيش: زيدا وجعفرا.

فلما نزل إلى الميدان أتاه ابن عمر رضى الله عنه بعرق من لحم، فقال له: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت، فأخذه فانتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة[1] فى ناحية الناس، فقال: وأنت فى الدنيا، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

وروى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنت فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى، ووجدنا ما فى جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية.

ثم اختار المسلمون خالد بن الوليد ليقودهم فى المعركة فقاتل قتالا شديدا مريرا.

(١) الحطمة: الكثرة التى تحطم الأرض بما تحدثه من جلبة.

روى البخارى بسنده عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال: لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية[1].

وقد قال رسول الله ﷺ يوم مؤتة ـ مخبرا بالوحى - قبل أن يأتى إلى الناس الخبر من ساحة القتال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه ﷺ تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم».

فلما أصبح خالد بن الوليد فى اليوم الثانى لقيادته، غير أوضاع الجيش، وعبأه من جديد، فجعل مقدمته ساقه، وميمنته ميسرة، وميسرته ميمنته، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا ، وصار خالد- بعد أن تراءى الجيشان وتناوشا ساعة ـ يتأخر بالمسلمين قليلا قليلا، مع حفظ نظام الجيش، ولم يتبعهم الروم ظنا منهم أن المسلمين يخدعونهم ويحاولون أن يوقعوا بهم فى مكيدة ترمى بهم فى الصحراء.

وهكذا توجه العدو إلى بلاده، ولم يفكر فى القيام بمطاردة المسلمين.

ونجح المسلمون فى الانحياز سالمين حتى عادوا إلى المدينة.

تلك صورة من صور التضحية فى غزوة مؤتة ستظل دائما من العلامات البارزة فى تاريخ التضحية والفداء مهما كان العدو متفوقا فى العدد والعدة.

٥ ـ غزوة تبوك

جاءت هذه الغزوة رداً على حشد الروم لضرب الإسلام والمسلمين بعد أن فشلوا فى ذلك فى مؤتة، فقد خشى قيصر الروم أن تتنامى قوة المسلمين الجديدة فيجتذب إليه العرب الذين كانوا تابعين له، فيزداد المسلمون بذلك قوة، فكان التفكير عندهم هو توجيه جيش كثيف العدد والعدة للقضاء على الإسلام والمسلمين.

أخذ الروم يستعدون، وكان المسلمون على توجس من ذلك، بل أصبحوا بعد حين على علم بهذا الإعداد والاستعداد، وكان يحمل إليهم هذه الأنباء التجار الذين يأتون من الشام.

بل عرف المسلمون أن الروم قد جمعوا إليهم القبائل المتنصرة فى الجزيرة، ولم يعد أمر الجيش خافيا على أحد ولا مجهولا عند أحد.

كانت الظروف بالنسبة للمسلمين قيظا شديدا وعسرة وجدبا وكانت الثمار قد طابت والناس يحبون أن يظلوا فى أماكنهم حتى يجنوا ثمارهم، وكانت عدة الروم وعددهم مما

(١) أى سيف قوى حسن الصنع.

يجعل المسلمين يترددون في خوض هذه المعركة، وكانت... وكانت.... مما يجعل الإقدام على غزو الروم عملا بالغ الصعوبة وعظيم التضحية.

غير أن النبوة الكريمة كانت ترى أن القعود من غزو الروم -لا الانتظار لهجومهم على المسلمين ـ عملا يقفز إلي قمة الأولويات، دفاعا عن الإسلام ودعوته وعن كثير من القبائل العربية التي دانت به، بحيث يكون التكاسل أو القعود عن هذه الغزوة تقاعسا وتراجعا لا يجوز على أي حال من الأحوال.

لذلك كان من اللازم أن يخوض المسلمون هذه المعركة على الرغم من العسرة والشدة والقيظ، فأعلن رسول الله ﷺ في الصحابة أن يتجهزوا للقتال، وبعث إلي القبائل وإلى أهل مكة يستنفرهم، وأعلن - على غير عادته ـ أنه يريد لقاء الروم، ولم يور كما كان يفعل ليستعد الناس بما يلائم هذا اللقاء.

وندب رسول الله ﷺ الناس إلى تجهيز هذا الجيش فتسابق المسلمون في تجهيز هذا الجيش، ومن النماذج التي ضحت تضحية عظيمة في إعداد هذا الجيش من نذكر أسماءهم فيما يلي:

- جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بكل ماله،
- وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بنصف ماله،
- وجاء عثمان بن عفان بمائتي بعير بأقتابها وأحلاسها وبمائتي أوقية، ثم جاء بمائة بعير أخرى، ثم بألف دينار فنثرها في حجر النبي ﷺ حتى بلغ مجموع ما تصدق به عثمان تسعمائة بعير ومائة فرس غير النقود،
- وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة،
- وجاء العباس بن عبد المطلب بمال كثير،
- وجاء طلحة بصدقة عظيمة،
- وجاء سعد بن عبادة بمال كثير،
- وجاء محمد بن مسلمة بمال كثير،
- وجاء عاصم بن عدى بتسعين وسقا من التمر،
- وتتابع المسلمون رجالا ونساء؛ كل بما يقدر عليه،

وتحرك جيش المسلمين -وكان قوامه ثلاثين ألفا من المقاتلين- يريد تبوك، وحدث في الطريق من المعجزات النبوية ما تحفل به كتب السيرة النبوية،

- وعسكر الجيش بتبوك، وخطب رسول الله ﷺ في المسلمين خطبة أنستهم ما عانوا في طريقهم من المتاعب.

أما الروم وحلفاؤهم، فلما سمعوا بزحف رسول الله ﷺ عليهم أخذهم الرعب، فلم يجترئوا على التقدم فضلا عن اللقاء والاشتباك، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم.

وكان لتراجع الروم أحسن الأثر بالنسبة للمسلمين، مما يمكن أن نشير إلى بعضه فيما يلي:

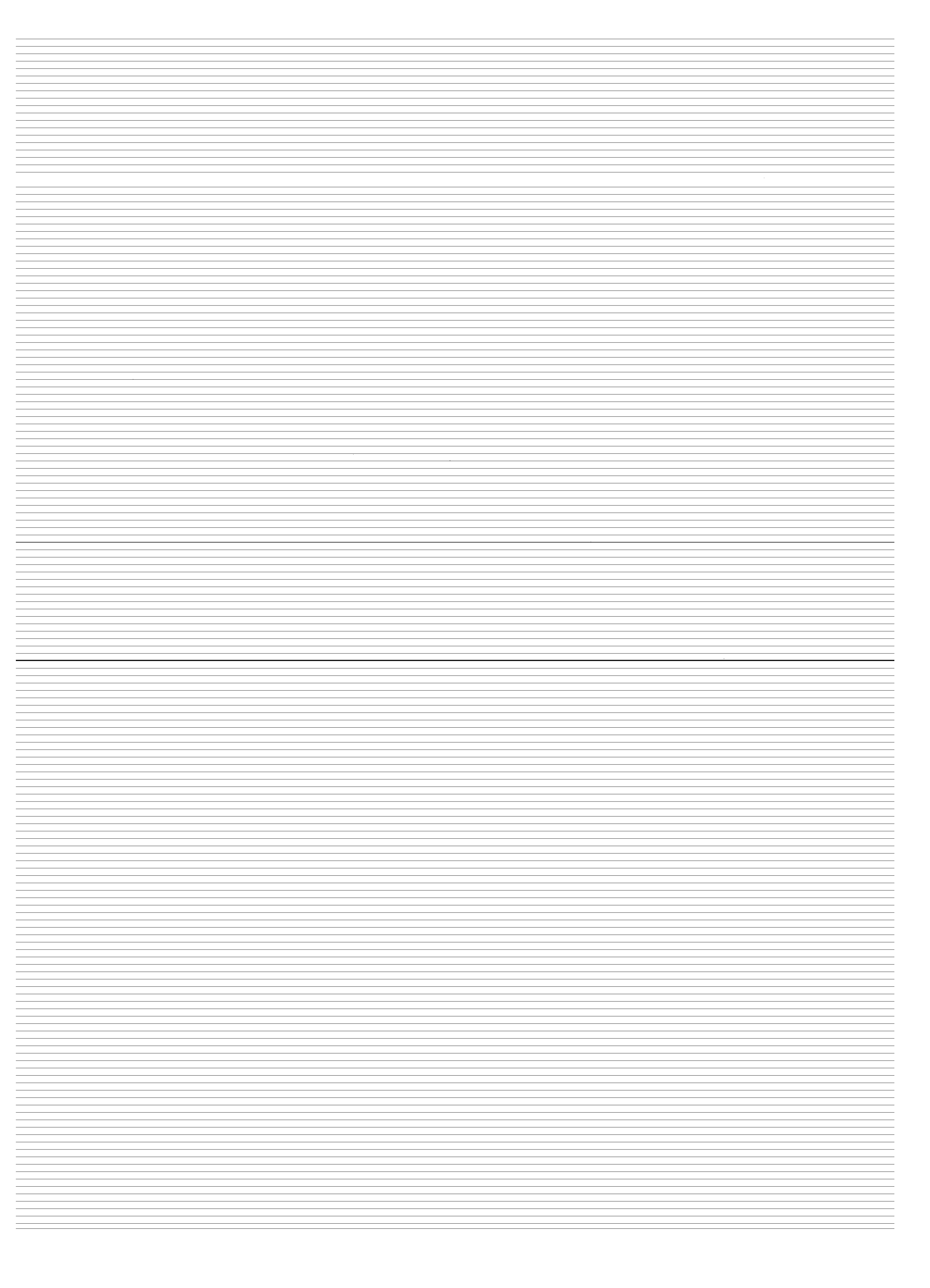
- أصبح للمسلمين في الجزيرة كلها سمعة عسكرية فوق ما كان لها من قبل وبخاصة في أطراف الجزيرة النائية.

- وحقق المسلمون مكاسب معنوية كبيرة، حيث أفاقت القبائل التي لم تكن قد دخلت الإسلام بعد، فتسابقت الوفود على النبي ﷺ لتعلن إسلامها.

- وانقمع المنافقون الذي كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، وأخذ المسلمون في التعامل مع المنافقين بما أمرهم الله تعالى، حيث نهى الله عن قبول صدقاتهم وعن الصلاة عليهم أو الاستغفار لهم.

إن غزوة تبوك كانت غزوة التضحيات بكل ما تحمله كلمة التضحية من معنى.

وكل غزوات المسلمين في سبيل الله تعالى كانت تضحية بالمال والنفس وكل شيء، وهذا ما يؤكد أن التضحية أساس أصيل في الإسلام.



الباب الثانى

شرح نص الإمام حسن البنا فى التضحية وتحليله

وفيه ما يلى:

١ ـ مفهوم التضحية فى هذا النص.

٢ ـ التضحية واجب شرعى.

٣ ـ أنواع التضحية وهى:

أ ـ التضحية بالنفس.

ب ـ والتضحية ببذل المال.

جـ ـ والتضحية بالوقت والجهد.

د ـ والتضحية بالحياة كلها.

٤ ـ التضحية فى تاريخ الجماعة كما مارسها أفرادها.

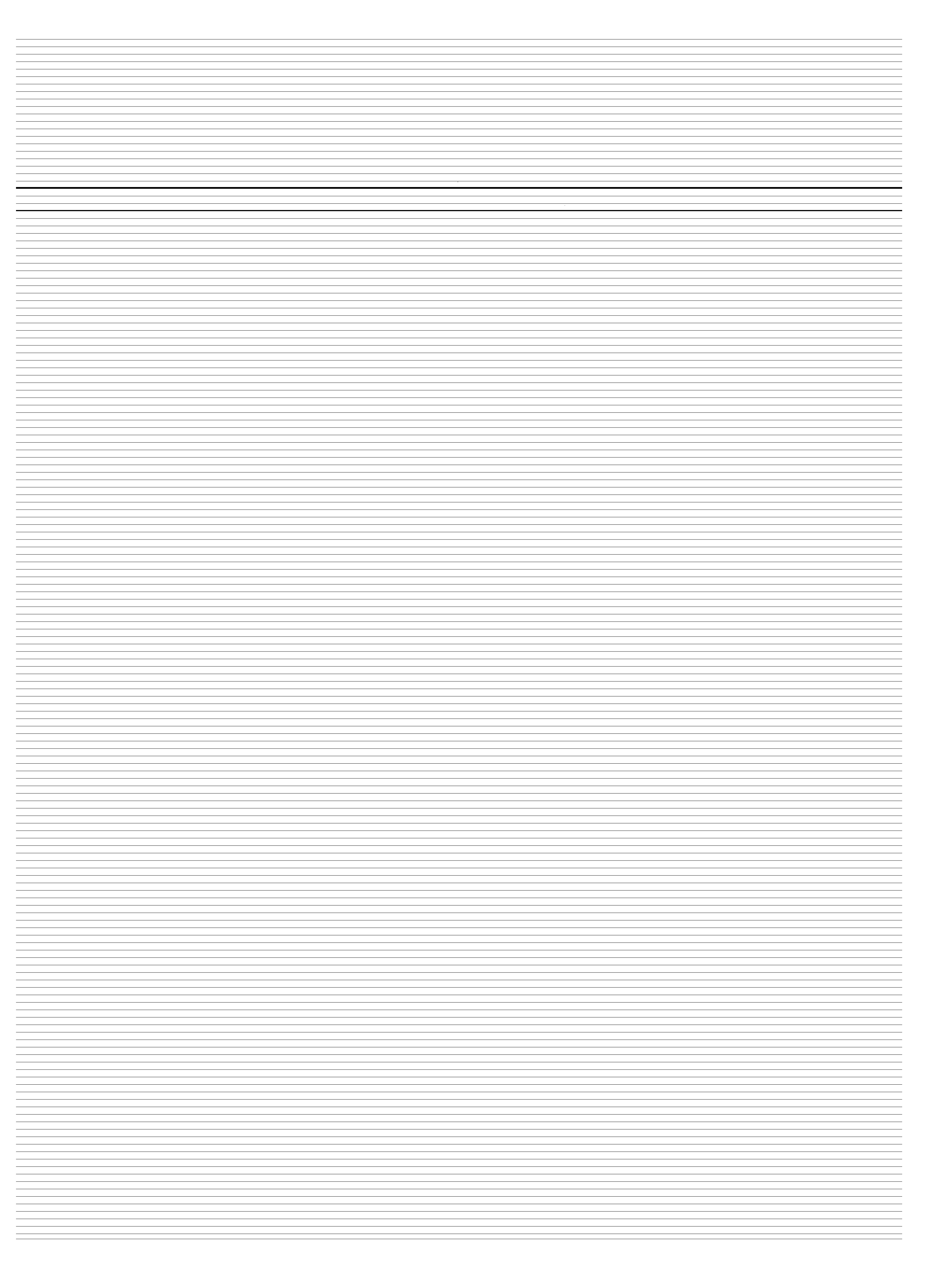
٥ ـ بين الجهاد والتضحية.

٦ ـ جزاء من قام بالتضحية.

٧ ـ جزاء من ترك التضحية.

٨ ـ المعنى المقصود من الهتاف الدائم:

«الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا».



شرح نص الإمام البنا فى التضحية وتحليله

النـــص:

«وأريد بالتضحية بذل النفس والمال والوقت والحياة، وكل شيء فى سبيل الغاية.

وليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه، ولا تضيع فى سبيل فكرتنا تضحية، وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل.

ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: ١١١] ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ**﴾ [التوبة: ٢٤] ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ......**﴾ [التوبة: ١٢٠] ﴿**فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا.....**﴾ [الفتح: ١٦].

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا».

هذا هو النص الوجيز الذى كتبه الإمام حسن البنا فى التضحية بوصفها الركن الخامس من أركان البيعة العشرة التى تضمنتها رسالة التعاليم، التى تضمنت منهجا متكاملا فى الإصلاح والتجديد.

وشرح هذا النص على وجازته هدف لنا ونحن نتصدى للكتابة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا، مؤكدين أن هذا الركن الخامس من أركان البيعة العشرة يمثل أساسا ركينا فى مجال العمل من أجل الإسلام.

وأود أن أذكر بأن منهج الإصلاح والتجديد عن الإمام حسن البنا تمثل فى تلك الأركان العشرة التى سماها أركان البيعة وهى:

الفهـــــم: أى فهم الإسلام فى حدود الأصول العشرين التى ذكرها فى هدا الركن[1].

والإخلاص: وهو قصد وجه الله فى القول والعمل والجهاد كله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته[2].

والعمـــــل: وهو ثمرة الفهم والإخلاص وله مراتب كثيرة عد منها سبع مراتب[3].

---

(١) شرحنا ذلك فى الحلقة الأولى من هذه السلسة.
(٢) شرحنا ذلك فى الحلقة الثانية من هذه السلسلة.
(٣) شرحنا ذلك فى الحلقة الثالثة من هذه السلسلة.

والجهـــاد: وهو الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، والمقصود بقول الرسول ﷺ : «من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية»[1].

والتضـحية: وهى موضوع هذا الكتاب.

والطـــاعة: أى امتثال الأمر وإنفاذه توا فى العسر واليسر والمنشط والمكره.

والثـبات: وهو أن يظل الأخ عاملا مجاهدا فى سبيل غايته مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنيين.

والتجـرد: وهو أن يتخلص الأخ لفكرته مما سواها من المبادئ والأشخاص.

والأخـوة: وهى أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها.

والـثقـة: وهى اطمئنان الجندى إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه اطمئنانا عميقا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة...[2].

ومما أحب أن أوضحه أن هذه الكلمات الوجيزة من الإمام البنا فى هذه الأركان العشرة، إنما جاءت وجيزة هكذا لأنه كتب هذه الرسالة لصفوة الصفوة من الإخوان، فكانوا فى غنى -بما آتاهم الله من علم- عن الشرح والتفصيل، الذى لجأنا إليه فى هذه السلسلة، لأن شباب اليوم لم يعش تلك الفترة الزمنية التى كان يربى الناس فيها فى شعب الجماعة تربية إسلامية تكونه تكوينا روحيا وخلقيا وعلميا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا، يغنيه عن الحاجة إلى شروح وتفصيلات لهذه الكلمات.

فكان لابد ـ فى تصورى ـ من هذا الشرح والتفصيل لشباب اليوم، ليعرفوا عن دينهم ما لا بد أن يعرفوه، وليدركوا أن الإمام البنا كان له منهج فى الإصلاح والتجديد، يوصف بأنه متكامل، وبأنه نابع من الكتاب والسنة النبوية المطهرة. والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

---

(١) شرحنا ذلك فى الحلقة الرابعة من هذه السلسلة.
وقد صدرت جميعها عن دار النشر والتوزيع الإسلامية بالقاهرة.

(٢) وهذه الأركان الخمسة الأخيرة سوف تصدر تباعا -إذا وفق الله وأعان- كل منها فى كتاب مستقل بإذن الله تعالى.

١ –مفهوم التضحية فى هذا النص

التضحية– كما نفهم من هذا النص الوجيز– هى المعيار الدقيق لصدق التوجه إلى الله، وإخلاص العمل من أجل دعوة الله ودينه الذى ارتضى، ومن أجل كل ما يرضى الله تبارك وتعالى.

والتضحية دائما تكون فى سبيل الله تعالى لا فى سبيل آخر، هذا عند من يجيدون فهم مقاصد الدين ويحسنون إدراك النتائج، والعواقب عند الله تعالى.

ومن أجل تقريب معنى التضحية إلى الأذهان والتحبيب فيها ، يمكن أن يقال إنها قرض لله تعالى ، يقدمه المؤمن فى الدنيا لينال عليه أفضل الجزاء فى الآخرة، يقدمه من ماله أو وقته أو جهده أو نفسه لأن الله تعالى أمر به أو ندب إليه، فكأنه أقرض الله هذا الذى ضحى به.

روى أبو يعلى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لما نزلت: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾ [البقرة: ٢٤٥] ،قال أبو الدحداح رضى الله عنه:

يا رسول الله: إن الله يريد منا القرض؟

قال: نعم يا أبا الدحداح.

قال: أرنا يدك يا رسول الله، فناوله يده.

قال أبو الدحداح: قد أقرضت ربى حائطى– بستانى – وحائطه فيه ستمائة نخلة– فجاء يمشى حتى أتى الحائط، وأم الدحداح فيه وعيالها، فنادى:

– يا أم الدحداح.

– قالت: لبيك.

– قال: اخرجى فقد أقرضته ربى.

قال الهيثمى: رواه أبو يعلى والطبرانى ورجالهما رجال ثقات ورجال أبى يعلى رجال الصحيح.

فالتضحية بالمال أو بغيره فى سبيل الله قرض لله تعالى، ومن أقرض الله تعالى ضاعف له

ما قدم أضعافا كثيرة.

والعقلاء ـ الذين يحسنون إدراك العواقب ـ هم الذين يعلمون أن ما فى أيديهم من مال أو عرض من أعراض الدنيا، إنما هو إلى زوال أنفقه أو أمسكه، ولكنه يبغى ما عند الله تعالى إذا أنفق فى مرضاته قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾

[البقرة: ٢٦١]

والذين يحسنون صنعا هم أولئك الذين يدركون أن الإنفاق فى سبيل الله هو لمرضاة الله تعالى، وهو لا ينقص من المال شيئا على وجه الحقيقة، ويعلمون علم اليقين أن الإمساك عن الإنفاق إنما يكون بهمز الشيطان ولمزه وتخويفه الناس من الفقر، قال الله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) ﴾

[البقرة: ٢٦٨]

والذين يصفوا إيمانهم من الشوائب والأغيار، هم الذين يخشون عذاب الله ويتجنبون ما يوقعهم فيه، ويعلمون أنه مما يوقع فى عذاب الله إمساك المال أو كنزه ومنعه من أصحاب الحقوق فيه، بل يوقنون بأن التضحية به هي الأصل، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

والذين لايحبون أن تضيع منهم الفرص، ولايرغبون فى أن يشعروا بالندم على ما فات، أولئك الذين يبادرون إلى الإنفاق فى سبيل الله والتضحية بالمال، قال الله تعالى فى خطابه للذين آمنوا: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

إن مفهوم التضحية فى كلمة الإمام البنا هو بذل المال فى سبيل الله، وهكذا ينفق المال فى سبيل الله، وسبيل الله باب واسع فى الإنفاق، كانت الجماعة تعطى فيه، لليتامى والأرامل، وتقيم المشروعات الاقتصادية الصغيرة والمتوسطة وترصد كثيرا مما تغله تلك

المشروعات لسبيل الله تعالى.

وفقه التضحية في سبيل الله، إنما يعرف قيمته ويدرك المكانة التي يكون فيها عند الله من أنار الله بصيرته، ففقه الحياة الدنيا على حقيقتها، وعلم أنها معبر للحياة الآخرة ودار ممر إلى دار المقر، عندئذ قد ينفق ماله كله فى سبيل الله تعالى، ولايبقى لأهله شيئا أو يبقى لهم القليل، كما حدث من أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وكما حدث من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، على نحو ما ذكرنا آنفا.

– أخرج ابن إسحاق بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت:

لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر – رضى الله عنه– أى فى الهجرة، احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم فانطلق بها معه.

– قالت: فدخل علينا جدى أبو قحافة – رضى الله عنه– وقد ذهب بصره.

فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه!!

– قالت: قلت: كلا يا أبت.، إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا، قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة البيت الذى كان أبي يضع ماله فيه، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت. ضع يدك على هذا المال.

قالت: فوضع يده عليه فقال: لابأس، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم.

– تقول أسماء– رضى الله عنها– : لا والله ما ترك لنا شيئا، ولكن أردت أن أسكت الشيخ بذلك.

أخرجه الإمام أحمد، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحق.

وبعد:

فهذه أضواء على مفهوم التضحية كما تحدث عنها الإمام البنا فى كلمته الوجيزة.

وكان رحمه الله فى هذه الكلمة يشجع المسلمين على بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شئ فى سبيل الغاية، يشجعهم على ذلك ليقاوموا عدوا محتلا لأرض الوطن فى مصر، وفى العالمين العربى والإسلامي، ولكي يواجهوا اليهود وما يدبرونه من كيد وحرب للاستيلاء على فلسطين، وكانت مقدمات ما قام به اليهود فى فلسطين توحى بالنتائج[1].

ولقد ضحى الإخوان بأنفسهم وأموالهم وأوقاتهم وبكل شيء يملكونه ويقدرون عليه من أجل مقاومة اليهود وطرد الإنجليز من مصر– على نحو ما سنوضح ذلك بعد قليل.

(١) كتبت رسالة التعاليم عام١٩٤٣م وكان اليهود يعيثون فى فلسطين فساداً يعاونهم الإنجليز عقيب وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا لليهود بوطن لهم فى فلسطين منذ عام ١٩١٧م.

٢-التضحية واجب شرعى

هذه التضحية بالنفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الله قد تكون واجباً لافكاك عنه، إذا كان لابد منها لدفع ضرر عن المسلمين، أو رد عدو عن أرضهم.

وقد تكون التضحية مندوبا إليها ومستحبة عندما لاتكون واجبة، وقد طالب الإسلام المسلمين بالتضحية في سبيل الله، ووعد بالجزاء عليها أحسن الجزاء وبالأضعاف المضاعفة، ودلت على ذلك نصوص إسلامية كثيرة من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونكتفي بالاستشهاد بالمثال أو المثالين محيلين من أراد أكثر من ذلك، إلي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر: ١٨].

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة، ماذكره ابن كثير القرشي قال: روى الإمام أحمد بسنده عن جرير بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنهما قال:

«كنا عند رسول الله ﷺ صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة، مجتابى النمار أو العباء، متقلدى السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة،

قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالا، فأذن، وأقام الصلاة فصلى- أى رسول الله ﷺ- ثم خطب فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾

[النساء: ١].

ثم قرأ: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة،

قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول ﷺ يتهلل وجهه كأنه مذهبة،

فقال رسول الله ﷺ: «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

وأخرجه الإمام مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة بأسانيدهم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه.

فالتضحية- كما يفهم من نصوص الكتاب والسنة- إما أن تكون واجبا، وإما أن تكون مستحبا، والمسلم مطالب بالتضحية على كل حال.

والتضحية فى حياة المسلمين هى التى تغذى الجهاد فى سبيل الله وتمده بأسباب القوة وتهيىء له الاستمرار حتى الوصول إلى إحدى الحسنيين: النصر على العدو فى المعركة، أو الاستشهاد فى سبيل الله.

والجهاد فى سبيل الله هو الذى يحمى الإسلام والمسلمين من أعدائهم الذين يواجهونهم، ومن أعدائهم الذين لايعلمونهم ولكن يعلمهم الله تعالى، وهل يتصور الجهاد بغير تضحية؟

وإذا قلنا - كما هو مقرر- إن الجهاد قد يكون فرض عين وقد يكون فرض كفاية وقد يكون مندوبا إليه، فإن التضحية فى سبيل الله كذلك[1].

والتضحية هى التى تغذى الجهاد فى سبيل الله، وتمكن المسلمين من نشر دعوة الإسلام بين الناس، والدعوة إلى الله- كما نعلم- واجب شرعى فرضه الله على القادرين عليه، ولايمكن أن يتم هذا الواجب إلا بالتضحية، التضحية بالمال والوقت والجهد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية.

---

(١) أوضحنا أحكام الجهاد الشرعية بالتفصيل فى الحلقة الرابعة من هذه السلسلة وهى: ركن الجهاد أو الركن الذى لاتحيا الدعوة إلا به . نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٣- أنواع التضحية

تحدث الإمام البنا عن أنواع التضحية فى كلمته الجامعة عن التضحية فقال: «وأريد بالتضحية:

بذل النفس، والمال والوقت، والحياة، وكل شيء فى سبيل الغاية..»

فما هى الغاية التى تكون هذه الأنواع من التضحية فى سبيلها؟

الغاية هى:

إرضاء الله تعالى بعبادته- كما شرع، والاستجابة لأمر الله تعالى ونهيه،

ونشر هذا الدين الخاتم والدعوة إليه، والقيام بكل ما يحتاج إليه نشر الدين والدعوة إليه من:

دعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة،

وجدال بالتى هى أحسن عند الحاجة إليه،

وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر،

وجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

وهذه الغاية- كما حددها قانون النظام الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين ـ في مادته الثانية، ونصها كما يلى:

مـادة ٢:

«الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة، تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام الحنيف وما يتصل بهذه الأغراض:

(أ) شرح دعوة القرآن الكريم شرحا دقيقا يوضحها، ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضا يوافق روح العصر ويرد عنها الأباطيل والشبهات،

(ب) وجمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة،

(جـ) وتنمية الثروة القومية وحمايتها، وتحريرها، والعمل على رفع مستوى المعيشة،

(د) وتحقيق العدالة الاجتماعية، والتأمين الاجتماعى لكل مواطن، والمساهمة فى الخدمة

الشعبية، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير،

(هـ) وتحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا، والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى، ومساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا، والسير إلى الجامعة الإسلامية،

(و) وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا، وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج،

(ز) ومناصرة التعاون الدولى مناصرة صادقة فى ظل المثل العليا الفاضلة التى تصون الحريات، وتحفظ الحقوق،

(ى) والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة.

وهذه الغاية كما فصلها القانون لاتتحقق إلا بالتضحية والجهاد فى سبيل تحقيقها.

وهذه التضحية أنواع هى:

أ- التضحية بالنفس

التضحية بالنفس فى سبيل الله ـ أى الغاية التى جاء من أجلها الإسلام ـ تعنى الموت أى الاستشهاد فى سبيل الله تعالى، وذلك إنما يكون بجهاد أعداء الله وقتالهم من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا.

والمقاتل فى سبيل الله إما أن ينتصر على أعداء الله، فيحقق هذا النصر الإعزاز لدين الله فى هذه الدنيا، فيكسب بذلك النصر فى الدنيا، ويكون له فى الآخرة جزاء حسن عند الله تعالى، وإما أن يقتل فى سبيل الله، فيمضى إلى ربه شهيدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه على المستوى الشخصي، وعلى المستوى الاجتماعي في أمته يكون باستشهاده فى سبيل الله قد رسم لمن بعده طريق العزة والكرامة، والتضحية بالنفس فى سبيل الحق، ويسر بهذا الاستشهاد لكل من جاء بعده من المؤمنين أن يمضى فى طريق التضحية بلا خوف ولاحزن، متخطيا صعوبة حب الإنسان للحياة وللسلامة ؛ إذ يرى الذين سبقوه علامات بارزة فى طريق العزة التى يريدها الله تعالى لدينه ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين.

وقد سجل القرآن الكريم كراهية الإنسان للقتل لأنه مفطور على حب الحياة، وكراهيته لما يصيبه من فقد لبعض الأعضاء فى الحرب لأن من فطرته حب السلامة قال الله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولإلقاء بعض الضوء على ما تدل عليه الآية الكريمة، نقول وبالله التوفيق:

«كتب عليكم» أى فرض عليكم، مثل :«كتب عليكم الصيام» أى فرض .. «والقتال» هو ملاقاة العدو من الكفار وأمثالهم.

قال سعيد بن المسيب:

إن الجهاد فرض على كل مسلم فى عينه أبداً ، حكى ذلك عنه الماوردى .

وقال ابن عطية:

والذى استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة محمد ﷺ فرض كفاية فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين ، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين.

- «وهو كره لكم» أى تكرهه طباعكم.

قال المفسرون:

وإنما كان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل والتعرض بالجسد للشجاج والجراح، وقطع الأطراف، وذهاب النفس. فكانت كراهيتهم لذلك لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى.

وقال عكرمة:

إنهم كرهوه ثم أحبوه ، وقالوا سمعنا وأطعنا، وهذا لأن امتثال الأمر يتضمن مشقة ، ولكن إذا عرف الثواب هان فى جنبه مقاساة المشقات.

- «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» أى عسى أن تكرهوا ما فى الجهاد من المشقة، وهو خير لكم فى أنكم تغلبون وتظفرون وتؤجرون، ومن مات ، مات شهيدا.

- «وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم»: أى عسى أن تحبوا الدعة والراحة وترك القتال، وهو شر لكم ، لأنه يترتب عليه أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم.

قال القرطبى فى تعليقه على هذا التفسير الذى ذكرنا من حب الدعة والراحة وترك القتال، مع أن ذلك شر:

وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق فى بلاد الأندلس، تركوا الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأى بلاد؟

وأسر وقتل، وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك بما قدمت أيدينا وكسبته»[1].

وعلى الرغم من أن التضحية بالنفس فى القتال، تكرهها الطباع إلا من كان من المؤمنين الصادقين، فإن الله تبارك وتعالى، طالب رسوله ﷺ أن يحث المؤمنين على القتال فى سبيل الله، وما ذلك إلا لأهمية القتال وضرورته للأمة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥)** ﴾ [الأنفال: ٦٥]- والتحريض: الحث والتشجيع.

- والعلة فى أن المؤمنين القليلى العدد يغلبون الكافرين الكثيرى العدد هى:

أن من لايؤمن بالله ولايؤمن باليوم الآخر والمعاد، فإنه غاية السعادة أو البهجة عنده هى هذه الحياة الدنيا فحسب، ومن كان هذا معتقده فإنه يشح بهذه الحياة، ولايعرضها للزوال.

أما من اعتقد أنه لاسعادة فى هذه الحياة الدنيا إلا سعادة مؤقتة منقوصة، وأن السعادة الأبدية الكاملة لا تحصل إلا فى الدار الآخرة، فإنه لايبالى بهذه الحياة الدنيا ولايعطيها أكثر مما تستحق، ويزنها بالميزان الصحيح وهو شرع الله ونظامه للتعامل مع هذه الحياة الدنيا، وعندئذ يقدم على الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح.

ومتى كان الأمر كذلك كان الواحد من المسلمين يستطيع مقاومة العدد من الكافرين، لأن هؤلاء الكافرين لايفقهون حقيقة الدنيا والآخرة.

وبما أن القتلى فى سبيل الله تعالى ـ أى فى ميدان الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا، وليصل دين الله إلى عباد الله، وليسود الناس الحق والعدل، والبر والخير ـ بما أن هذا الموت فى سبيل الله هو الربح الحقيقى كما أوضحنا آنفا.

بما أن ذلك كذلك، جاءت آيات القرآن الكريم موضحة لذلك ومؤكدة له، حتى يوقن المسلمون من هذه الحقائق الكبرى فى الدنيا والآخرة.

---

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن الكريم: ٣٨/٣-٣٩ ط دار الكتب المصرية ط٢ ١٩٥٢م

قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) ﴾ [آل عمران: ١٥٧، ١٥٨]

ولنلق بعض الضوء على مايفهم من هاتين الآيتين الكريمتين:

- **﴿ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم..﴾**

القتل فى سبيل الله هو: أن يقتل المؤمن بيد عدوه فى ميدان الجهاد فى سبيل الله.

والموت فى سبيل الله هو: أن يموت المؤمن وهو يقوم بأعمال البر والخير، مما يرضى الله عز وجل، أو أن يموت المؤمن من الحر أو البرد أو التعب وهو يجاهد فى سبيل الله تعالى دون أن يقتله العدو.

وسواء أكان قتلا أو موتا فى سبيل الله، فإن الله تبارك وتعالى يخبرنا مؤكدا خبره بالقسم على أن ما ينتظره المؤمن من قتل أو موت فى سبيل الله تعالى هو المغفرة التى تمحو الذنب والرحمة التى ترفع الدرجات **﴿لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾**وذلك أن المقتول أو الميت عموما يحشر بين يدى الله تعالى فيحاسبه ويجازيه فإن كان قتله أو موته فى سبيل الله فإنه يلقى عند الله أحسن الجزاء.

وبذل النفس فى سبيل الله إنما هو عمل الذين يبيعون دنياهم بأخراهم وينتظرون عند الله أحسن الجزاء.

- وما للمؤمنين لايبذلون أنفسهم فى سبيل الله مع أن إخوانهم المستضعفين من المؤمنين من الرجال والنساء والولدان يستغيثون ضارعين إلى الله تعالى أن ينقذهم من طغيان الظالمين؟

إن العمل على إنقاذهم والتضحية بالنفس من أجلهم واجب شرعي أوجبه الله تعالى فى قوله: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ [النساء: ٧٤ - ٧٦].

وهاتان الآيتان الكريمتان تقرران عددا من الحقائق يمكن أن نشير إليهما فيما يلى:

– أن القتال فى سبيل الله ـ إعلاءً لكلمة الله وكلمة الحق ـ واجب على من يبيعون الحياة الدنيا طالبين الحياة الآخرة فليقاتل فى سبيل الله..... الآية

–وأن من يقاتل فى سبيل الله إعلاء لكلمته فسينال إحدى الحسنيين ويؤتى عند الله أجرا عظيما: ﴿**ومن يقاتل فى سبيل الله**...﴾ الآية.

– وأنه لايسوغ لأحد من المؤمنين ألايقاتل فى سبيل الله، مع أن المستضعفين من إخوانه المؤمنين من الرجال والنساء والذرية يستغيثون ويستنصرون ضارعين إلى الله تعالى يقولون: ربنا أخرجنا من ولاية الظالمين فى هذه القرية، إلى ولاية المؤمنين، واجعل لنا عندك نصيرا ينصرنا.

– وأن الذين آمنوا بالحق وأذعنوا له، يقاتلون فى سبيل الله إعلاء لكلمة الله وللحق والعدل، مضحين فى هذا القتال بأنفسهم من أجل ما يؤمنون به.

– وأن الذين جحدوا الحق وعاندوه يقاتلون فى سبيل الظلم والفساد، وبذلك يصبحون أولياء الشيطان.

– وأن المؤمنين مطالبون بمقاتلة أولياء الشيطان وأعوانه، مضحين فى سبيل الله بأنفسهم، وهم منصورون بإذن الله تعالى، وذلك أن تدبير الشيطان ـ مهما عظم فساده ضعيف ـ والغلبة دائما للحق.

وتؤكد بعض آيات القرآن الكريم وعد الله للمؤمنين الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم فى سبيله بأنه سبحانه وتعالى قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة ثمنا لما بذلوا، وقد أثبت الله هذا الوعد الحق، فى التوراة، والإنجيل، كما أثبته في القرآن الكريم، وليس أحد أوفى بعهده ووعده من الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)**﴾ [**التوبة**: ١١١].

وهؤلاء المضحون بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله لهم أوصاف معروفة يتصفون بها، وهى من أفضل صفات المؤمنين، وقد أوضحت آية كريمة هذه الصفات وهى:

–الإكثار من التوبة عند وقوع الهفوات،

–والإقبال بكثرة على عبادة الله أى الخضوع له سبحانه،

– وحمد الله تعالى على كل حال،

– والسعى فى سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم،

– والمحافظة على صلواتهم ، يؤدونها كاملة فى خشوع،

– ويأمرون بكل خير ومعروف يوافق ما جاء به الشرع،

– وينهون عن كل شر يأباه الدين.

هؤلاء المضحون بأنفسهم فى سبيل الله ـ وهم على هذه الصفات ـ لهم البشرى عند رسول الله ﷺ، قال الله تعالى ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)** ﴾ [**التوبة** : ١١٢].

وبعد:

فهذا هو بذل النفس فى سبيل الله أى التضحية التى يتحدث عنها الإمام فى قوله«وأريد بالتضحية بذل النفس..» .

وهناك نصوص أخرى من الكتاب والسنة توجب بذل النفس فى سبيل الله تعالى إعلاء لكلمته وللحق والعدل فى الحياة الدنيا.

ب– والتضحية بالمال

التضحية بالمال فى سبيل الله تعالى من أنواع التضحية ذات الشأن الكبير فى إحقاق الحق، وتأمينه وتأمين أهله والمنادين به، إذ لايخفى على أحد ما للمال من أهمية فى حياة الإنسان.

والنصوص الإسلامية التى تطالب المؤمنين بالتضحية بالمال فى سبيل الله، وإنفاقه فى أوجهه التى أمر الإسلام بها أو ندب إليها، إنها نصوص ليست بالقليلة فى الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما سنذكر بعضه فى هذا المجال.

والتضحية بالمال أنواع:

– منها بذل المال فى تجهيز الجيوش المجاهدة فى سبيل الله،

– ومنها تأمين الاحتياجات المتوقعة لهذه الجيوش فى المستقبل القريب أو البعيد،

– ومنها تأمين احتياجات المسلمين فى حالة السلم،

- ومنها بذل المال لدفع ضرر عن المسلمين فى الحاضر أو فى المستقبل،

- ومنها بذله فى وجوه الخير والبر عموما،

وفى جميع أحوال التضحية بالمال فى سبيل الله، يجب أن تتوفر فيه شروط حتى يحظى صاحبه برضا الله تعالى، ومن هذه الشروط ما نشير إلى بعضه فيما يلى:

- أن يكون هذا المال قد اكتسبه صاحبه من وجه صحيح أحله الله تعالى،

- وأن تخلو هذه التضحية بالمال من أى مَنّ أو أذى أو رياء أو سمعة،

- وأن يكون هذا المال المبذول فى سبيل الله من أحب أموال المنفق إلى نفسه.

بكل هذه الشروط فى بذل المال والتضحية به فى سبيل الله وردت نصوص إسلامية كثيرة نذكر منها مايلى:

- قال الله تعالى: **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ﴾ [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].**

وعند النظر فى هاتين الآيتين الكريمتين نستطيع أن نتبين ما يلى:

- أن إنفاق المال والتضحية به يجب أن يكون فى سبيل الله، وسبيل الله هو: طريقه، والمقصود بذلك ما ينفق فى الجهاد أو فى طرق الخير والبر، وتدخل فيه سائر الصدقات التطوعية.

- وأن المنفقين أموالهم فى سبيل الله يضاعف الله لهم الثواب أضعافا كثيرة، كما تتضاعف الحبة التى تزرع فى الأرض فتنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة أى سبعمائة ضعف.

- وأن المنفقين فى سبيل الله ووجوه البر والخير لايجوز لهم أن يتبعوا ما أنفقوا بمن أو تفاخر أو تطاول على من أحسنوا إليهم، هؤلاء لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من شيء ولايصيبهم حزن على شيء.

قال جل شأنه: **﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ**

إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهذه الآية الكريمة لا تكتفى بالوعد بأحسن الجزاء عند الإنفاق فى سبيل الله، وإنما توضح للمسلمين- إلى جانب ذلك- أوجه الإنفاق فى سبيل الله تعالى.

من أوجه الإنفاق التى ذكرتها الآية:

- الإعداد لمواجهة الأعداء، بكل أنواع القوة التى تدفع كيد الأعداء كالعتاد بأنواعه، والمرابطة فى الثغور.
- وتجهيز المقاتلين، والتكفل بأبنائهم وذويهم.
- وتطوير السلاح بحيث يستطيع أن يواجه سلاح الأعداء.

وأهداف هذا الإعداد:

- إرهاب أعداء الله من الكفار الذين يتربصون حاليا بالمؤمنين،
- وإرهاب أعداء الله الذين يخططون ويدبرون للكيد للإسلام والمسلمين،
- وإنفاق المال في هذه الأوجه لتحقيق هذه الأهداف فإنما يلقى صاحبه عند الله أوفى الجزاء، دون أن ينقصكم الله مثقال ذرة مما تستحقون من فضل الله.
- والامتناع عن الإنفاق فى سبيل الله، أو الضن بالمال وعدم التضحية به، عمل مستنكر، لايليق بمسلم، بل عمل لامبرر له، لأن المال على وجه الحقيقة مال الله، يرثه ويرث كل ما فى السموات والأرض، والإنفاق فى سبيل قرض لله تعالى يصلح به المؤمن أحوال إخوانه في الإسلام، وله على هذا القرض أحسن الجزاء.
- قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) ﴾ [الحديد: ١٠، ١١].

وفى الآيتين الكريمتين عدة حقائق منها:

- أنه ما ينبغى أن يثنى المؤمن عن الإنفاق فى سبيل الله والتضحية بالمال شيء،
- وأن إنفاق المال فى سبيل الله واجب، إذ المعنى: أنكم ستموتون فتورثون، فهلا قدمتم المال للإنفاق في سبيل الله وطاعته؟

- وأن الناس فى التضحية بالمال فى سبيل الله درجات، فالذى يضحى بما له فى وقت يكون المسلمون فيه أحوج إلى المال، يكون أعلى درجة من الذى أنفق ماله فى غير هذه الظروف، وإن كان الاثنان مأجورين موعودين بالحسنى من الله تعالى،

- وأن الله تعالى رغب المسلمين فى أن ينفقوا أموالهم فى نصرة المسلمين، وقتال الكافرين ومواساة فقراء المسلمين، وسمى ذلك الإنفاق قرضا، من حيث وعد به الجنة إذا كان قرضا حسنا.

ولايكون القرض حسنا- كما يرى العلماء- إلا إذا استوفى شروطا منها:

-أن تكون نفسه طيبة بهذه التضحية بالمال،

- وأن يكون لوجه الله تعالى وحده،

- وأن يكون المال الذى أنفقه من الحلال،

- وأن يكون من أكرم ماله عليه، أى يحبه ويحتاج إليه،

- أن يكتمه إن كان صدقة تطوعية،

- ألا يتبعه بمن ولا أذى،

- وأن يخلو من الرياء،

- وأن يرى أن ما ينفقه قليل،

- وأن يرى عز الفقير وذل نفسه هو،

- وأن يوجهه إلى الأحوج الأولى بأخذه.

ومن كان قرضه كذلك، فقد أقرض الله سبحانه عندما أقرض عباده الفقراء فضحى بماله من أجلهم، وعندئذ يستحق عند الله الأجر المضاعف أى الثواب الجزيل.

وأى رفع لشأن التضحية بالمال فى سبيل الله أعلى من تسميته قرضا لله تعالى؟ وإنما هو قرض للمحتاجين من الناس. لكنه التشريف لهذا العمل الجليل، وفى الحديث الصحيح مارواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى: «استقرضت عبدى فلم يقرضنى».

وبعض آيات القرآن الكريم تهدد من دعى إلى الإنفاق فى سبيل الله فبخل بماله أن يقدمه فى سبيل الله. قال الله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم (٣٨)﴾ [محمد: ٣٨]. فالآية الكريمة تتضمن عددا من الحقائق نشير إليها فيما يلي:

- الحقيقة الأولى: أن الله تبارك وتعالى دعا المؤمنين إلى الإنفاق فى سبيل الله الذى شرعه، وإذا دعا الله تعالى إلى الإنفاق وجب على المؤمنين أن يستجيبوا إلى ما دعا،
- وأن بعض الناس قد لايستجيبون لهذه الدعوة فيبخلون بما لديهم من مال، ولاشك أن هؤلاء مقصرون غافلون،
- وأن هؤلاء الباخلين إنما يبخلون على أنفسهم حقيقة أى يضرون أنفسهم بهذا البخل، لأن الله تعالى غنى عن مال أصحاب المال، والناس هم المحتاجون إلى الله تعالى.
- والحقيقة الأخيرة فى هذه الآية الكريمة هى أن من أعرض عن طاعة الله فبخل بماله إذا دعاه الله إلى إنفاقه، فإن الله تعالى يستبدل مكان هؤلاء المعرضين عن طاعة الله قوما آخرين يكونون خيرا من هؤلاء.

ومعنى تلك الآية أن التضحية بالمال، فى سبيل الله مطلب شرعى لايجوز لأحد أن يقصر فيه، وإلا وضع نفسه موضع التهديد والغضب من الله تعالى.

ومن الجدير بأن يلحظ فى مجال التضحية بالمال، أن اعتبرت هذه التضحية به فى أوجه الخير قرضاً لله تعالى- والله سبحانه غنى عن العالمين- فجاءت آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية شريفة تطلب من المسلمين أن يقرضوا الله تعالى قرضا حسنا، نذكر منها ما يوفق الله إليه فيما يلى:

قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)﴾ [الحديد: ١٨].

وقال جلا وعلا: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)﴾ [التغابن: ١٧].

وقال عز من قائل: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾ [المزمل: ٢٠].

كل هذه الآيات الكريمة بعضها يوجب القرض إيجابا وبعضها يندب إليه ويعد عليه بالأجر المضاعف والأجر العظيم، وما ذلك إلا لأهمية التضحية بالمال فى سبيل الله لأمن المجتمع المسلم.

وأما الأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو إلى القرض وتفضله على الصدقة، فنذكر منها ما يلى:

- روى الطبرانى بسنده فى الكبير عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«دخلت الجنة فرأيت على بابها:

الصدقة بعشرة أمثالها والقرض بثمانية عشر،

فقلت يا جبريل: كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر؟

قال: لأن الصدقة تقع فى يد الغنى والفقير،

والقرض لايقع إلا فى يد من يحتاج إليه»،

وأخرج الحاكم وصححه بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: «أتى رسول الله ﷺ بنى عمرو بن عوف يوم الأربعاء، فرأى أشياء لم يكن رآها قبل ذلك من تحصين النخيل،

وقال: لو أنكم إذا جئتم عيدكم هذا مكثتم حتى تسمعوا قولى؟

قالوا: نعم بآبائنا أنت يا رسول الله وأمهاتنا،

قال: فلما حضروا الجمعة صلى معهم رسول الله ﷺ وآله الجمعة، ثم صلى ركعتين فى المسجد- وكان ينصرف إلى بيته قبل ذلك اليوم- ثم استوى فاستقبل الناس بوجهه، فتبعت له الأنصار، أو من كان منهم، حتى وفى بهم إليه فقال:

يا معشر الأنصار،

قالوا: لبيك يا رسول الله،

فقال: كنتم فى الجاهلية إذ لا تعبدون الله، تحملون الكل وتفعلون فى أموالكم المعروف

وتفعلون إلى ابن السبيل، حتى إذا منّ الله عليكم بالإسلام، ومنّ عليكم بنبيه، إذا أنتم تحصنون أموالكم؟

وفيما يأكل ابن آدم أجر، وفيما يأكل السبع أو الطير أجر،

فرجع القوم، فما منهم أحد إلا هدم من حديقته ثلاثين بابا».

قال الحاكم عقب هذا الحديث الشريف: وفيه النهى الواضح عن تحصين الحيطان- البساتين- والنخيل وغيرها من أنواع الثمار عن المحتاجين والجائعين أن يأكلوا منها.

وفى هذا الحديث تتسع دائرة الإنفاق حتى تتجاوز المحتاجين من الناس إلى السباع والطيور وكل ذات كبد رطبة.

وقد قدمنا فى الباب الأول من الكتاب نماذج من تضحيات الصحابة رضوان الله عليهم بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله عنه ـ ولكن ذلك لايمنعنى من ذكر مواقف لبعضهم رضى الله عنهم فى التضحية بالمال فى سبيل الله تعالى.

أخرج أئمة الحديث الستة(1) بأسانيدهم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال:

أصاب عمر- رضى الله عنه بخيبر أرضا، فأتى إلى النبى ﷺ فقال:أصبت أرضا لم أصب مالاً قط أنفس منه، فكيف تأمرنى به؟

قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»،

أى أنه لايباع أصلها ولايوهب ، ولايورث،

فتصدق بها عمر رضى الله عنه، فى الفقراء والقربى والرقاب وفى سبيل الله، والضعيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غيره».

هكذا ضحى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأكرم المال عليه الذى لم يصب مالاً قط أنفس منه!!

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه، قال: «كان أبوطلحة رضى الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد،

وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب،

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران: ٩٢]،

---

(1) هم: البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى، والترمذى وابن ماجة

قال أبو طلحة رضى الله عنه : يارسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ وإن أحب أموالى إلى بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله،

قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ! ذلك مال رابح، ذلك مال رابح».

وزاد فى صحيح البخارى بعد هذا الحديث: «وقد سمعت ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله.

فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه.

- وأخرج ابن المبارك عن معمر عن الزهرى قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف- رضى الله عنه- على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدق بعد ذلك بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله، وخمسمائة راحلة.

- وكان أكثر ماله من التجارة.

- وروى ابن عساكر بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«جئت رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف بستة أشهر ، ثم أمره الله بغزوة تبوك، وهى التى ذكر الله فى ساعة العسرة، وذلك فى حر شديد، وقد كثر النفاق، وكثر أصحاب الصفة- والصفة بيت كان لأهل الفاقة يجتمعون فيه- فتأتيهم صدقة النبى ﷺ والمسلمين.

فأمر رسول الله ﷺ بالنفقة فى سبيل الله، وأفضل ما تصدق به يومئذ أحد ، عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه، تصدق بمائتى أوقية.

- وتصدق عامر الأنصارى بتسعين وسقاً من تمر.

- وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :يا رسول الله، إنى لا أرى عبد الرحمن إلا قد احتوب ما ترك لأهله شيئا.

فسأله رسول الله ﷺ:

هل تركت لأهلك شيئا؟

قال: نعم ، أكثر مما أنفقت وأطيب،

قال: وكم؟

قال : ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير[1].

وجاء رجل من الأنصار، يقال له أبو عقيل رضى الله عنه ، بصاع من تمر فتصدق به،

وأخذ المنافقون حين رأوا الصدقات يتغامزون؛ فإذا كانت صدقة الرجل كثيرة تغامزوا به وقالوا: مراء، وإذا تصدق رجل بيسير تمر من طاقته قالوا: هذا أحوج إلى ما جاء به،

فلما جاء أبو عقيل بصاع من تمر، قال: بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين، أى عملت ليلتى أستقى الماء بالحبل لقاء صاعين، والله ما كان عندى من شيء غيره– وهو يعتذر وهو يستحى– فأتيت بأحدهما وتركت الآخر لأهلى.

فقال المنافقون: هذا أفقر إلى صاعه من غيره.

ومن خلال هذه النماذج من التضحية بالمال التى ذكرنا عن الصحابة رضوان الله عليهم، نستطيع أن نتعرف على الحقائق التالية فى أخلاق الصحابة وتضحيتهم بمالهم فى سبيل الله تعالى.

– أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أسرع استجابة لكل أمر يوجبه القرآن أو يندب إليه، فعندما نزل قول الله تعالى **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** سارعوا إلى التضحية بأعز أموالهم وأكرمها عليهم.

وهذا شأن المؤمنين المخلصين، وهو الأمر الذى يقوم عليه صلاح الدين والدنيا والناس.

– أن مسألة القلة والكثرة فى المال مسألة نسبية، فقد يكون القليل أكبر عند الله مما هو أكثر منه بلغة العد والكيل والميزان ،فإن صاع التمر من أبى عقيل رضى الله عنه، كان بمثل نصف ما يملك، والله سبحانه سوف يجازيه على أنه ضحى بنصف ماله فى سبيل الله بغض النظر عن قدر هذا النصف وكمه!!

– وأن المنافقين الذين فى قلوبهم مرض يتربصون بالمؤمنين ولا يعجبهم أن يتسجيب المؤمنون لنداء الله عليهم بالإنفاق، فإن أدى بعضهم مالاً كثيرا قالوا إنه مراء، وإن أدى بعضهم مالاً قليلا: قالوا: هو أحوج إليه!!

وبعد: فإن الذى ننتهى إليه من الحديث عن التضحية بالمال فى سبيل الله هو أن التضحية بالمال لا تقل أهمية عن التضحية بالنفس فى دعم القيم الإسلامية ، وتأمين نشر الدعوة إلى الله فى مختلف بقاع الدنيا.

(١) أى لم يترك لهم شيئا وإنما تركهم فى كفالة الله ورسوله ﷺ

جـ- والتضحية بالوقت والجهد

الوقت هو: نهاية الزمان المفروض للعمل.

- والوقت جزء من الحياة، بل هو الوعاء الزمني للحياة الإنسانية كلها، بل للحياة كلها إنسانية أو حيوانية أو نباتية، بل الحياة الدنيا جميعا، إذ المقرر أن لها وقتاً تنتهي عنده وتفنى، ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

- والوقت يمكن أن يترجم بأنه العمل والإنتاج والكسب والمال ووعاء السرور والكدر، ووعاء العمل الصالح الذى يثاب عامله، أو العمل الطالح الذى يعاقب عامله.

- والوقت هو عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وعلي الرغم مما للوقت من هذه الأهمية فى حياة الإنسان، فإن الإسلام قد طالب المؤمن بأن يضحى بوقته كله أو ببعضه من أجل الحق الذى يؤمن به، ومن لم يضح بوقته من أجل دينه فقد قصر فى حق نفسه أولا، وفى حق دينه، وفى حق إخوانه فى هذا الدين، وفى حق مجتمعه الذى يعيش فيه.

- ومن ضن بوقته على الدعوة إلى الله، فقد تسبب فى تعويق سير الدعوة، وشارك فى وضع العراقيل فى طريق مركب الدعاة إلى الله، وحال بين الدعوة وبين أن تصل إلى كل من يجب أن تصل إليه، فكان بذلك من المقصرين.

- والموفق هو الذى يوائم بين أوقاته وواجباته، لأن الواجبات فى غالب الأحيان أكثر من الأوقات، ومالم يحدث هذا التلاؤم ضاعت الواجبات وفى ضياعها تقصير ومعصية.

وكلمة الإمام البنا فى الوقت هى: «وأريد بالتضحية بذل... الوقت... فى سبيل الغاية...»

- والغاية كما أوضحناها آنفا هى تحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام وهى: «شرح دعوة القرآن الكريم وجمع قلوب الناس على مبادئها، وتنمية الثروة القومية وتحقيق العدالة الاجتماعية وتحرير البلاد العربية والإسلامية من كل سلطان أجنبى، وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام، ومناصرة التعاون الدولى فى ظل القيم الفاضلة..» كما ذكرنا ذلك بالتفصيل آنفا.

ولا يمكن أن تتحقق هذه الأغراض إلا بالتضحية بالوقت الذى تتم فيه هذه الأعمال، وهذا الوقت المبذول فى سبيل الله هو أحسن الأوقات وأفضلها وأبقاها عند الله تعالى وأرضاها له سبحانه وتعالى.

- والوقت فى حقيقته- كما أوضحنا ذلك - جهد وعمل بل جهاد وعناء، وكل ذلك لا يكون إلا بالتضحية بهذا الوقت فى سبيل الله ومن أجل هذا الدين.

ولأهمية الوقت وضرورة تنظيمه وحسن توزيعه على العمل أو على الواجبات، نود أن نقرر حقيقة واقعة فى مجال العمل من أجل الإسلام بالنسبة للوقت.

تلك الحقيقة هى أن الوقت وتنظيمه وحسن توزيعه على العمل هو أهم أسباب النجاح، وأن تضييعه أو سوء تنظيمه وتوزيعه على العمل هو أهم أسباب الفشل، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى.

– إن الوقت وإنفاقه فيما يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة من أهم ما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة أمام من منحه هذا الوقت أو ذاك العمر، فقد روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس:

عن عمره فيم أفناه؟

وعن شبابه فيم أبلاه؟

وعن ماله من أين اكتسبه؟

وفيم أنفقه؟

وماذا عمل فيما علم» ؟

والسؤال بين يدى الله تعالى عن هذه الخمس، هو سؤال عن الوقت؛ إذ العمر وقت، والشباب وقت، وكسب المال يقع فى وقت، وإنفاق المال يحدث فى وقت، والعمل وعاؤه الوقت، بل العلم يحصل فى وقت!!!

– ومما يدعم هذه الأهمية للوقت فى حياة الإنسان، ما رواه الحاكم بسنده ـ فى المستدرك ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس:

حياتك قبل موتك،

وصحتك قبل سقمك،

وفراغك قبل شغلك،

وشبابك قبل هرمك،

وغناك قبل فقرك».

إذ الحياة والصحة والفراغ والشباب والغنى كلها أمور لا تكون إلا فى وقت.

وكذلك ما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»،

وكلاهما لا يكون إلا فى وقت.

وفى مجالات العمل من أجل الاسلام:

الدعوة،

والحركة،

والتربية،

والإعداد للتمكين لدين الله فى الأرض.

فى هذه المجالات تبرز أهمية الوقت وأهمية تنظيمه وملئه بالنافع المرضى لله تعالى من الأقوال والأعمال.

وما يؤتى العمل من أجل الإسلام فى مقتل، كمثل ما يؤتى من تضييع الوقت أو سوء تنظيمه.

وكثيرا ما يدور حوار فى نفس بعض العاملين من أجل الإسلام حول الوقت وتنظيمه وحسن توزيعه على الواجبات.

وأغلب الظن أن هذا الحوار يؤدى إلى الوصول لإحدى نتائج ثلاث:

١ ــ أن يضحى بوقته كله من أجل العمل الإسلامى:

وهذا الأخ الكريم الذى أعطى كل وقته للدعوة وواجباتها، ينجز فى هذا المجال ما لا ينجزه سواه، ويحظى بكل تأكيد بتقدير إخوانه، بل إعجابهم به، والدعاء له، وغبطته على ما هو فيه من نعمة هذا العمل الجليل.

- وليس هذا الأخ الكريم- فيما أتصور- بأحسن المنازل ولا بأجود ما ينبغى أن يكون عليه المسلم من التزام بأولويات بعينها فى العمل من أجل الاسلام.

- وأغلب ظنى أن هذا الأخ الكريم إذ أعطى وقته كله للدعوة قد أهمل حق نفسه وحق أهله وذويه، وما لهم من حقوق فى وقته، ومن هنا وقع فى الإخلال بتنظيم الوقت، وهذا الإخلال تقصير قد يصل إلى الإهمال والمعصية، لأن الإسلام دين التوازن والأولويات وإعطاء

كل ذى حق حقه.

ومما يؤكد هذا التوازن ما رواه أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لعثمان بن مظعون: «يا عثمان أرغبت عن سنتى؟ فإنى أنام وأصلى، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، فصم وأفطر وصل ونم».

وكان عثمان بن مظعون رضى الله عنه من المجتهدين فى العبادة الراغبين فى التفرغ لها من كل مشاغل الدنيا، فوجهه النبى ﷺ هذا التوجيه الذى طالبه فيه بأن يوازن بين أصحاب الحقوق فى وقته، ولا يغلب شيئا على شيء، ولو كانت العبادة لله تعالى، وذلك أن من عبادة الله إعطاء كل ذى حق حقه.

والذى أود أن أؤكده هنا أن إعطاء الوقت كله للدعوة على حساب وقت الأهل والأبناء والأرحام والأقارب، وعلى حساب القراءة والاطلاع وتربية الأخ لنفسه تربية ذاتية، كل ذلك ليس من الصواب، ولا من فقه الموازنات بين الواجبات ولا من فقه الأولويات بين هذه الواجبات.

٢ ـ أو أن يضحى بعض الناس بهامش الوقت أو ما يفيض عن حاجته، وهذا الأخ الكريم يفضل أن يعطى أكثر وقته لحاجاته الشخصية وما يفيض عن ذلك يعطيه للدعوة.

– ومن المعروف أن حاجات الإنسان كثيرة، ولو أعطاها الإنسان من وقته ما يكفيها ما بقى له من قته شيء أو بقى له نزر يسير لا يكفى للقيام بواجبات الدعوة إلى الله.

– وهذا الأخ الكريم قد يبرر لنفسه هذا التوزيع السيئ الظالم لوقته بقوله «لا يكلف الله نفسها إلا وسعها» أو بقوله: «إن لبدنك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا».. وهذا سوء فهم جاء عن غفلة وهمزة شيطان، لأن المطلوب هو أن ينسق بين هذه الواجبات ويعطيها ما تستحق من الأوقات.

– وهذا الأخ الكريم بهذا التبرير المغلوط، إنما يتكالب على الدنيا ويرضخ لمطالبها التى لا تنتهى والتى لا يجوز الرضوخ لها إلى حد تضييع وقت الدعوة، أذكر هذا الأخ الكريم وأمثاله بالأحاديث النبوية التالية:

روى ابن ماجة بسنده عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أجملوا فى طلب الدنيا، فإن كلاً ميسر لما كتب له».

وروى الحاكم بسنده ـ فى مستدركه ـ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصا، ولا يزدادون من الله إلا بعداً».

وروى البيهقى بسنده عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما يكفى أحدكم ما كان فى الدنيا، مثل زاد الراكب».

وروى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة. ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له».

٣ ـ أو أن يضحى ببعض وقته للدعوة وبعضه لمطالب العيش ومعنى ذلك أنه يوازن بين مطالب دنياه دون تكالب ومطالب دينه ودعوته دون توغل، فيعطى كلا من الوقت ما يناسبه وما من شأنه أن يصلح العمل إذا أدى بأمانة وإخلاص.

– وهذا الأخ الكريم هو الذى نبحث عنه، وندعو الله له بالتوفيق والقبول، وهذا الأخ الكريم هو الذى ينجح بمثله العمل، وتتحقق الأهداف وتنمو الدعوة إلى الله وتصل إلى من يجب أن تصل إليه.

– وهذا الأخ الكريم– هو بفضل الله بأحسن المنازل عند الله تعالى؛ إذ قام بواجباته دون إخلال وهو عند الناس بأحسن المنازل أيضا، لأنه لم يهمل أصحاب واجب ولا قصر فى حق أحد.

وإنما كان تنظيم الوقت علامة على المنزلة الحسنة عند الله تعالى وعند الناس كذلك؛ لأن تنظيم الوقت مطلب شرعى دعا إليه الدين وحث عليه رسول الله ﷺ.

روى ابن حبان ـ فى صحيحه ـ بسنده عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: مما رواه النبى ﷺ عن صحف إبراهيم: «ينبغى للعاقل– مالم يكن مغلوبا على عقله ـ أن يكون له أربع ساعات:

ساعة يناجى فيها ربه،

وساعة يحاسب فيها نفسه،

وساعة يتفكر فى صنع الله عز وجل،

وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب».

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الدين يسر،

ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة» .

وإن الناظر فى دين الإسلام يجد كل ما فيه من عبادات ومعاملات منظما وموقتا توقيتا دقيقا، فالصلاة والصيام والزكاة والحج عبادات لها نظام إن اختل فسدت أو بطلت، والزواج والطلاق، وسائر العقود لها نظام دقيق إذا اختل فسدت أو بطلت كذلك، وللعبادات توقيت لا تتم إلا فيه، وللمعاملات توقيت كذلك فى كثير من أنواعها.

وبعد:

فتلك هى التضحية بالوقت من أجل الغاية التى جاء بها الإسلام، والتى تحدثنا عنها آنفا تحت عنوان الأغراض التى جاء بها الاسلام.

د ـ والتضحية بالحياة كلها

التضحية بالحياة كلها، وبكل شيء فى سبيل الغاية، وهذا التعبير بالحياة كلها وبكل شيء يعنى أن تكون التضحية فى سبيل الغاية بكل ما يستطيع الإنسان أن يضحى به من ماديات ومعنويات وجهود وإمكانات.

والغاية تستحق كل هذه التضحيات لأن الغاية –كما أوضحنا ـ هى نشر دعوة القرآن، وجمع القلوب على مبادئها، وتنمية الثروة القومية وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتحرير الأوطان الإسلامية من أى عدو أجنبى والعمل على قيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام، ومناصرة التعاون الدولى فى ظل المثل العليا.

وهذه الغاية يجب أن يضحَى فى سبيلها بالحياة وبكل شيء لأن تلك الغاية قد فرض الله تحقيقها على كل مسلم، بما يستطيع من إمكانات سواء أكان هذا الفرض عينيا أو كفائيا، وبغير هذه التضحية لن يصل المسلم إلى إرضاء الله تعالى بالاستجابة لما أمره به.

وإنما كانت هذه الغاية فرضا، لأنها التى تمكن لدين الله فى الأرض وتحكم الناس بمنهج رب الناس سبحانه وتعالى. وذلك واجب كل مسلم قادر على التضحية بأى شيئ.

إن هذه الأغراض التى جاء الإسلام ليحققها، والتى هى الغاية تشمل كل أنواع العمل من أجل الإسلام:

– فالدعوة إلى الله: هى نشر دعوة القرآن، وشرحها شرحا دقيقا يوضحها ويردها إلى فطرتها وشمولها، إذ الإسلام دين الفطرة وهو منهج شامل قادر على حل كل مشكلات الحياة مع عرضها عرضا يلائم روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

وهذه الدعوة تحتاج إلى محاضرة وخطبة ودرس وإذاعة مسموعة ومرئية وصحافة وكتب وأعمال فنية كالقصة والرواية والمسرحية.

وهذه الدعوة تحتاج إلى برنامج متكامل لإعداد الدعاة القادرين على نشر هذه الدعوة فى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

– **والحركة هى**: جمع قلوب الناس ونفوسهم على المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيهم، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة.

وهذه الحركة تتطلب الاختلاط بالناس وحبهم وحب الخير لهم وإرشادهم إلى طريق الاستقامة وشغل أوقات فراغهم بما يفيد وينفع، وقد يكون ذلك بإنشاء المؤسسات الخيرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والأدبية والدينية.

وهذه الحركة فى الناس تتطلب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومقاومة الآفات الاجتماعية، والعادات الضارة والمخدرات والمسكرات والمقامرة والبغاء، وكل انحراف عن الفضائل الإسلامية.

–**والتنظيم**:– وهو أحد مفردات العمل الإسلامى – يدخل فيه العمل على تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها من أى سلطان أجنبى يحتكرها أو يسيطر عليها.

وتنمية الثروة القومية وحمايتها، تحتاج إلى مزيد من العمل والجهد بل إلى تضافر الجهود فى مشروعات ومؤسسات اقتصادية واجتماعية.

وتنمية الثروة القومية وتحريرها يحتاج إلى إنشاء المؤسسات الاقتصادية الوطنية، والعمل على إيجاد أسواق وطنية أو عربية أو إسلامية لما لها من إسهام فى تحرير الثروة القومية من أى سيطرة أجنبية منظورة أو غير منظورة.

– **والتربية هى**: التى تسهم فى تحقيق العدالة الاجتماعية، وهى التى تكافح الجهل والمرض والفقر والرذيلة، كما تشجع على أعمال البر والخدمة الاجتماعية.

وإنما تكون التربية من خلال البيت والمسجد والمدرسة لتكوين الإنسان الصالح لا مجرد المواطن الصالح، ولا يكون ذلك إلا بتكوين الإنسان تكوينا صحيحا روحيا وخلقيا وبدنيا وعقليا واجتماعيا ليشارك فى ترقية المجتمع وتقدمه.

وبالتربية الإسلامية للأفراد يمكن تكوين جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا، ويعتز بانتمائه إليه ويعمل بأحكامه ويوجه النهضة إليه.

وبالتربية يمكن تكوين القوى القادرة على تحرير كل شبر من أرض الوطن العربى والإسلامى من كل أجنبى مسيطر عليه مستغل لخيراته سواء أكانت سيطرته منظورة أو غير منظورة.

وبالتربية يمكن الإعداد لقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا، وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج.

والتمكين لدين الله فى الأرض، إنما هو إعداد الكفاءات والتخصصات القادرة على حمل مسئولية الحكومة المسلمة بإخلاص وتجرد ورغبة صادقة فى أن يسود شرع الله عباد الله.

والتمكين لدين الله فى الأرض يتطلب وضع المناهج الصالحة فى كل شئون المجتمع العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتشريعية والقضائية والأمنية وفق الأحكام والشروط التى جاءت بها شريعة الإسلام فى كل تلك الشئون.

والتمكين يتطلب أعلى درجات اليقظة فى إعداد الكفاءات التى تحمل عبء العمل فى حكومة مسلمة، على أعلى مستويات القدرة على حمل هذه الأعباء.

والتمكين فى كلمات هو أن يتدرب الأفراد ـ الذين أُعدوا لحمل أعباء المسئولية فى الحكومة المسلمة ـ على ممارسة العمل فيما يسمى بحكومة الظل، مخلصين بل متبتلين فى أداء هذا العمل حتى يأذن الله بإيجاد الحكومة المسلمة من خلال القنوات الشرعية للوصول إلى الحكم لخدمة الناس لا للاستعلاء عليهم وقهرهم كما تفعل كثير من الحكومات.

وبعد التمكين يمكن مناصرة التعاون الدولى مناصرة صادقة فى ظل المثل العليا الفاضلة التى تصون الحريات وتحفظ الحقوق، وتشارك فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس صحيح وجديد تتآزر فيه عناصر الإيمان مع الأمور المادية وتتعاون لإيجاد حياة إنسانية كريمة لائقة بتكريم الله تعالى للإنسان.

وكل ذلك كفله النظام الإسلامى للحياة.

وبعد:

فتلك هى الأغراض التى جاء بها الإسلام وأوجب على المسلمين العمل الجاد من أجل تحقيقها، بل أوجب من أجلها التضحية بالحياة كلها، بل بكل شىء فى إمكان الإنسان أن يضحى به. وتلك الأغراض التى جاء من أجلها الاسلام قد نصت عليها المادة الثانية من

قانون النظام الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين، الذى كان يسمى القانون الأساسى للإخوان المسلمين والذى صدر لأول مرة سنة ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣٠م والذى عدِّل بعد ذلك مرات حتى استقر على اسم: «قانون النظام الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين» وصدر آخر تعديل له فى شهر المحرم من عام ١٣٦٧هـ الموافق لشهر أكتوبر سنة ١٩٤٧م، وعرض على الهيئة التأسيسية للجماعة فى جلسة يوم الخميس ٢٧ من جمادى الآخرة عام ١٣٦٧هـ الموافق ليوم ٦ مايو سنة ١٩٤٨م فأقرته بعد التعديل فى جلسة ١٢ من شهر رجب عام ١٣٦٧هـ الموافق ٢١ من مايو ١٩٤٨م.

٤ ـ التضحية فى تاريخ الجماعة كما مارسها أفرادها

إن كلمات الإمام البنا فى التضحية، مع طيب معادن العاملين من أجل الإسلام، وإخلاصهم أقوالهم وأعمالهم لله تعالى، إن هذا كان له أحسن الأثر فى أن ينطبع معنى التضحية فى هذه النفوس الخيرة التى تؤثر ما عند الله على ما عند الناس، فكانت التضحية بالنفس والمال والوقت والحياة وكل شىء هى عملهم من أجل تلك الغاية النبيلة التى جاء بها الإسلام.

ولقد كان فى تضحية أفراد الجماعة رجالا ونساءً وشبابا بالمال والوقت والجهد، وبكثير مما يملكون، بل ضحى بعضهم بكل ما يملك فى سبيل الله، لقد كان فى تلك التضحية أسوة بالمعصوم ﷺ واستجابة لما أمر الله به وما ندب إليه فى التضحية، وتطبيقا عمليا لما شرع الله تعالى.

ولقد كانت هذه التضحيات مجتمعة هى الفقه الصحيح لما نادت به الجماعة من إصلاح وتجديد. فما من مشروع خيرى أو اجتماعى ينفع المسلمين إلا اسهمت فيه الجماعة بما تستطيع، وما من عمل يدفع عن المسلمين شرا أو ضررا إلا أسهمت فيه الجماعة بما استطاعت.

ويوضح الإمام البنا كيف يبذل الإخوان من أموالهم وأوقاتهم وجهودهم، بل كيف يبذلون أرواحهم فى سبيل عقيدتهم ـ وهو يرد على من اتهموا الإخوان بأنهم يأخذون معونات من بعض الحكومات ـ وقد رأى الناس ضخامة ما قام به الإخوان من مشروعات وأعمال تحتاج إلى مال وافر ـ فيقول: «والأمر أهون من كل ما يتصور هؤلاء»[1] فإن الإيمان إذا سكن القلب، وملأ الفؤاد، وانطوت عليه الجوانح دفع صاحبه دفعا إلى أن يبذل كل ماله، وكل دمه، وكل نفسه فى سبيل عقيدته التى آمن بها وعاش من أجلها».

وتاريخ العقائد والرسالات والدعوات حافل بهذه الشواهد التى تعتبر من البديهيات.

والإخوان المسلمون ليسوا إلا أبناء دعوة آمنوا بها وأخلصوا لها وتربوا فى أحضانها، فهان عليهم أن يبذلوا من قوت أولادهم ومن ضروريات حياتهم فى سبيل دعوتهم وميادين جهادهم.

ولقد وضع القائمون بها[2] نصب أعينهم من أول الأمر حقيقتين التزموهما فاستفادوا

(١) يقصد بهم الذين يتهمون الإخوان بأخذ معونات من بعض الحكومات.
(٢) أى بالدعوة.

من تطبيقهما كل الاستفادة:

الأولى:

عدم النظر أو التفكير أو الاعتماد على الإعانات الحكومية.

والثانية:

اليأس التام مما فى أيدى الأغنياء ومحترفى السياسية وتلامذة المستعمرين، وسماسرة الشركات الأجنبية، إذ كان فى حساب الدعوة من أول يوم أن هؤلاء جميعا سيكونون من أول المناوئين لها، إذ هى فى طريق، وهم فى طريق آخر.

ولقد حدث أن احتاجت الدعوة إلى المال فى هذه الأثناء، بعد أن اتسع نشاطها بعض الشىء فى القاهرة سنة ١٣٥٧هـ التى توافق ١٩٣٨م، فتقدم الأستاذ عبد الحكيم عابدين باقتراح فرض سهم الدعوة، وعزز اقتراحه بتقرير مطول يصور- أدق تصوير- واجب الإخوان، ودورهم فى البذل وإدراكهم لمطالب دعوتهم.

وقد أقرت اللجنة العامة هذا الاقتراح، وخلاصته: أن ينزل كل منهم عن خمس إيراده أو عشره على الأقل للدعوة.

وتسابق الإخوان إلى التنفيذ مشكورين، وحفلت قائمة الرعيل الأول بالكثير من أسماء هؤلاء المتسابقين جزاهم الله خيرا ومن الخير أن ينشر هذا التقرير مرة ثانية.

وقد نشر فى «النذير» فى العدد العاشر من السنة الأولى بتاريخ ٥ من جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧هـ [١].

هكذا كان أفراد الجماعة: يضحون بأموالهم وجهودهم وأوقاتهم كما سنوضح بعد قليل.

لقد كان الإمام البنا واضحا فى تفقيه الإخوان بالبذل والتضحية فى سبيل الدعوة منذ السنوات الأولى من تاريخ الجماعة، حيث قال فى جمع من شباب الجامعة:

«أيها الإخوان: قبل أن آخذ معكم فى حديث الدعوة، أحب أن أوجه إليكم هذا السؤال:

هل أنتم على استعداد لتجاهدوا ليستريح الناس؟

هل أنتم على استعداد لأن تزرعوا ليحصد الناس؟

وأخيرا لتموتوا وتحيا أمتكم؟

---

(١) الإمام حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية: ٢٨٢ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٦م، القاهرة.

هل أعددتم أنفسكم بحق لتكونوا القربان الذى يرفع الله به هذه الأمة إلى مكانتها».

هذا هو فقه التضحية والبذل فى فكر الإمام البنا رحمه الله.

ولقد كانت التضحية بالمال والوقت والجهد فى سبيل الله هى التى مكنت الجماعة من إنشاء هذه الشعب الكثيرة فى مختلف بقاع مصر، حتى أصبح فى كل قرية شعبة تقريبا.

– والشعبة تعنى داراً يجتمع فيها الناس ليمارسوا الأنشطة العلمية والثقافية، والرياضية، والكشفية، والتعبدية بإحياء الليل وقيامه فى بعض الأيام.

– وهذه الشُعب أو الدُور لا تقام إلا بأموال وجهود وأوقات تنفق، وكل ذلك مما بذله الإخوان عن رضا وطواعية، ولقد أصبحت فى الشعب مراكز للبرّ والخدمة الاجتماعية تنشر خيرها على الناس عموما، فمن كفالة اليتيم إلى رعاية الأرامل إلى العناية بالعاجزين عن العمل إلى مواساة من أصابتهم مصيبة الموت، كل ذلك يقوم عليه رجال مؤمنون بالله متمسكون بشريعة الإسلام التى تقرر هذه الخدمات الاجتماعية، وتجعلها من باب العدل الاجتماعى الذى ينبغى أن يسود الناس.

– وكثيرا ما كانت بعض الشعب تنشئ مشروعات اقتصادية صغيرة لدعم تنمية الثروة القومية، ونقل كثير من المحتاجين إلى دائرة الاكتفاء الذاتى.

– وما أقيمت هذه الشعب ولا جمعيات البر والخدمة الاجتماعية ولا أنشئت الأندية الرياضية والأنشطة الثقافية وغيرها إلا باموال الإخوان وجهودهم وأوقاتهم، مضحين بكل ذلك ابتغاء مرضات الله تعالى.

– وكان القائمون على العمل فى الشُعب متبرعين بأموالهم وجهودهم وأوقاتهم، ولم يكن أحد منهم يتقاضى أجرا أو راتبا إلا إذا كان من أهل الحاجة والقدرة على العمل.

– ولم تكن الجهود والأوقات المبذولة فى الشعبة هينة أو يسيرة وإنما كانت على قدر الخدمات والوظائف التى تؤديها الشعبة. ولنا أن نتصور كثرة عدد الشعب التى فاقت الألفين بكثير، وأقسام البر والخدمة الاجتماعية بكل شعبة، لندرك كم يحتاج هذا الكم الهائل من الشعب ومن أقسام البر والخدمة الاجتماعية من أموال وأوقات وجهود!!!

– إن كل شعبة كان لها نائب (أو رئيس) ولها وكيل أو وكيلان وأمين للسر وأمين للصندوق ومجلس إدارة تتمثل فيه الأقسام التى تضمها الشعبة بحيث يمثل كل قسم مندوب عنه.

وكانت الأقسام هي:

قسم نشر الدعوة،

وقسم الأسر أو التربية،

وقسم الطلاب،

وقسم العمال،

وقسم الفلاحين،

وقسم المهنيين،

وقسم الصحافة والنشر ـ على مستوى الشعبة ـ كصحف الحائط والنشرات وغيرها،

وقسم التربية البدنية،

وقسم الجوالة،

وقسم الأخوات المسلمات[١].

وكان هناك قسم على مستوى المركز العام للجماعة هو: قسم الاتصال بالعالم الإسلامي.

ومثل لجماعة أو قسم البر والخدمة الاجتماعية.

هذا العدد غير القليل الذي يمثل مجلس الإدارة للشعبة، كم يحتاج من جهد ووقت ومال لكي يؤدي واجباته؟

وكان لكل شعبة جمعية عمومية تتكون من الإخوان العاملين المنضمين إلى الجماعة انضماما عضويا، بعد فترة انتساب تصل إلى سنة أحيانا.

وكانت الجمعية العمومية للشعبة تجتمع بصورة دورية كل ستة أشهر أو عندما تدعو الحاجة إلى عقدها، وهذه الجمعية هي التي تنتخب مجلس إدارة الشعبة، ثم ينتخب المجلس من أعضائه (الخمسة عشر غالبا) نائبا للشعبة ووكيلا وأمينا للسر وأمينا للصندوق[٢].

ولنا أن نتصور قدر الجهد والوقت والمال الذي يبذل في سبيل الله لكي تقوم هذه الشعب بواجباتها.

---

(١) لكل قسم من هذه الأقسام مهامه وأنشطته وأهدافه ووسائله، كما أوضحنا ذلك في كتابنا الموسع «منهج التربية عند الإخوان المسلمين» نشر دار الوفاء بمصر ط ٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) تنظم ذلك اللائحة التنفيذية للجماعة وهي شرح لقانون النظام الأساسي للجماعة وتفسير له.

ولم يكن شيء من تلك الأعمال على مستوى الشعبة وأقسامها يتم عفوا أو عشوائيا وإنما يخضع لمنهج علمي دقيق يقوم عليه أفراد يعرفون كيف تتم الأعمال بأسلوب علمي، ويدركون كم تحتاج هذه الأعمال من إخلاص وتفان في العمل ونكران للذات، وبعد عن الحسد وعن كل ما من شأنه أن يعوق العمل أو يحول بينه وبين الوصول إلى أهدافه.

ومما أذكره أن كثيرا من أقسام البر والخدمة الاجتماعية في الشُعب كان يقوم عليها أخصائي اجتماعي ليمد إخوانه في القسم بالأساليب العلمية في التعرف على الحي الذى تقع فيه الشعبة ويعلمهم كيف يتم إحصاء اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل وكيف تمد يد العون لهم بأسلوب راشد يحفظ لهم كرامتهم الإنسانية ولا يشعرهم بأنه يتصدق عليهم بهذه الخدمات أو تلك المعونات.

وخلاصة ذلك أن الشُعب كوحدات أولية، تليها مراكز الجهاد وهى تضم أكثر من شعبة، ثم تليها المناطق وهى تضم أكثر من مركز جهاد، كل هذه الوحدات، ما كانت لتمارس عملها إلا بجهود كبيرة وأوقات كثيرة وأموال غير قليلة يضحى بها أهل الخير والعطاء الذين يؤثرون ما عند الله، من أفراد الجماعة عن سعادة ورغبة في إرضاء الله تعالى بهذه الأعمال.

تلك نبذة يسيرة من تضحيات الجماعة أفرادا وقيادة بكل ما يملكون من وقت وجهد ومال.

أما التضحية بالنفس فكان للجماعة منها نصيب في معركتين فاصلتين في تاريخ الجماعة، قدمت الجماعة فيهما الشهداء وبذلت من المال في تجهيز المحاربين ما بذلت، هاتان المعركتان هما:

- حرب اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨م.

- وحرب الإنجليز المحتلين للبلاد في قناة السويس عام ١٩٥١م ولكل من هاتين المعركتين قصة تطول أحداثها، ولا تتسع لها صفحات هذا الكتاب[(١)].

- وحَسْب كتائب الإخوان في فلسطين - وهى كتائب فدائية وليست جيشا نظاميا -أنها استطاعت أن تقدم العون للمصريين الذين حوصروا في الفالوجة؛ فقد أمدوا القوات

---

(١) من هذه الكتب التى سجلت حرب الإخوان لليهود عام ١٩٤٨م:
أ ـ كامل الشريف: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين ـ الجبهة المصرية.
ب ـ د. مصطفى السباعي: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين ـ الجبهة السورية. دار النشر والتوزيع. القاهرة في مجلد، ط ١٩٨٦م
جـ ـ ومحمد فهمى الطماوى: المجاهدون طـ القاهرة، ١٩٥٣م.

المحاصرة بأكثر ما تحتاج إليه. وكان من بين المحاصرين فى تلك القوات جمال عبد الناصر الذى أعلنها حربا على الإخوان المسلمين، وأمر بحل الجماعة فى ديسمبر عام ١٩٥٤م.

– وحَسْب الجماعة تضحية بالأرواح أنها قدمت اثنى عشر شهيدا فى معركة واحدة من معاركها مع اليهود فى فلسطين، وكانت تلك هى الدفعة الأولى من الشهداء.

وبعد:

فهذه نبذة من تضحيات الجماعة أفرادا وجماعة وقيادة فى سبيل الله تعالى، تضحيات شملت المال والوقت والجهد، والموت فى سبيل الله، من أجل تحقيق أغراض الإسلام فى الحياة.

– وما ذكرت فى هذا المجال ـ وهو مجال واحد ـ إلا القليل من كثير يحتاج إلى أن يكتب فيه ويسجل بأيدى القادرين على ذلك ممن لا يخافون فى الحق لومة لائم.

– وهناك مجال المحن والابتلاءات التى وقعت للجماعة، من أيام أن أغرى الإنجليز ملك مصر وحكوماتها بضرب حركة الإخوان المسلمين، فضربوها فى قرار حلها فى ديسمبر عام ١٩٤٨م واعتقلت الحكومات المأمورة من المستعمر المجاهدين فى فلسطين بمجرد عودتهم إلى أرض الوطن، بل اعتقلوا بعضهم فى معسكراتهم فى فلسطين نفسها!!

من تلك الأيام والجماعة تمر بمحنة تلو أخرى، وتصبر وتحتسب وتتضحى أنواعا من التضحية تثير الدهشة والإعجاب، وتدل على أن لهذه الدعوة رجالها المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. ولكن الله غالب على أمره، فى حين أن أكثر الناس لا يعلمون.

٥ ـ بين الجهاد والتضحية

واصل الإمام حسن البنا حديثه عن التضحية رابطا بينها وبين الجهاد برباط وثيق حيث يقول «وليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه». ولتحليل هذه الجملة نستعين الله تعالى فنقول سائلين الله التوفيق:

كل جهاد مهما كان نوعه يحتاج إلى تضحية، بل لا يكون هذا الجهاد إلا بالتضحية. تلك قضية عامة تعد من المسلمات: ليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه.

فما هى أنواع الجهاد التى تحتاج جميعها إلى التضحية؟

الجهاد ـ كما أوضحنا فى الحلقة الرابعة من هذه السلسلة[١] ـ مرتبط تماما بالتضحية، إذ كل نوع منه يحتاج إلى هذه التضحية، أنواع الجهاد كما أوضحنا هناك[١] ـ وكلها فى سبيل الله ـ أربعة هى:

- جهاد النفس،
- وجهاد الشيطان،
- وجهاد أهل الظلم والمنكرات،
- وجهاد أعداء الله من الكفره والمنافقين.

وقد فصلنا القول فى هذه الأنواع فى كتابنا المشار إليه آنفا، ولكننا نوجز الحديث عن هذه الأنواع على نحو يذكر بها ويوقظها فى نفوس المؤمنين، والله المستعان.

ـ النوع الأول

جهاد النفس:

وهو يعنى حمل النفس على تعلم الدين، ومعرفة الحق، واستيعاب توحيد الله تعالى، إذ لا فلاح فى الدنيا والآخرة إلا بهذا العلم، قال الله تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** (١٩) ﴾ [**محمد**: ١٩]

ـ قال المفسرون:

---

(١) صدرت هذه الحلقة بعنوان: الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به، نشر دار التوزيع والنشر ـ القاهرة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

إن كل مسلم مطالب بأن يعلم بل يتبين معنى: لا إله إلا الله، أى توحيده سبحانه وتعالى، فإذا عرف ذلك التزم وإذا التزم توحيد الله آمن به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وآمن بالقدر خيره وشره.

– ومن آمن بالله آمن بما جاء به محمد ﷺ من منهج كامل للحياة الدنيا فعمل بهذا المنهج لتصح له الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وآمن بما أنزل الله على رسله من رسالات وكتب إجمالا وبما جاء به خاتم الأنبياء والرسل على وجه التفصيل.

– وهذا العلم – وما يتطلبه من صبر ومعاناة – جهاد للنفس أى جهاد، والعمل بمقتضى هذا العلم جهاد كبير؛ إذ هو التطبيق العملى للإيمان، وهو حرمان النفس من شهواتها إلا فى إطار ما أحل الله.

– وكل هذا جهاد لا يتم إلا بالتضحية بالجهد والوقت والمال إذ ليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه!!!

ومن جهاد النفس: حملها على تعليم الناس شرع الله وحثهم على التمسك به والعمل وفقه، وهذا التعليم لدين الله واجب شرعى على كل مسلم قادر عليه يملك العلم به والقدرة على تعليمه للناس، وإنما وجب التعليم لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** ﴿١٨٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

وهذا التعليم جهد ومشقة ومعاناة، وإلزام النفس به جهاد لها وأى جهاد، لأن النفس مفطورة على حب الراحة والدعة وكل ذلك يحتاج إلى تضحية، إذ ليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه!!!

ومن جهاد النفس: حملها على ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ لأن ذلك واجب كل مسلم ومسلمة مادام قادرا عليه، وإنما وجب ذلك لقول الله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

والأمر بالمعروف جهاد وعناء ودعوة وحركة وتربية، والنهى عن المنكر جهاد وتصد لأهل المنكر، كثيرا ما يؤدى إلى التصادم والصراع، وكل ذلك جهاد يحتاج إلى مزيد من التضحية بالوقت والجهد والمال.

ومن جهاد النفس: حملها على الصبر على مشاق هذا العلم والعمل والتعليم والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واحتمال ما يتعرض له المؤمن فى سبيل الله من متاعب وآلام، وهى سنة الله تعالى فى المؤمنين الذين يعملون الصالحات.

- وكل ذاك جهاد لا يكون بغير تضحية وصبر واحتساب لذلك كله عند الله.

وهكذا يرتبط النوع الأول من الجهاد- جهاد النفس- بالتضحية، إذ ليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه.

- النوع الثانى

جهاد الشيطان:

وهو يعنى رفض ما يلقى الشيطان فى نفس الإنسان من حب للشر وكراهية للخير، وما يزينه فى نفس الغافل من تجميل للباطل والهوى، وما يقوم به من زعزعة الإيمان وعدم الالتزام بالإسلام، وقعود عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتشجيع على المعاصى والآثام.

- وجهاد الشيطان يكون برفض كل ما يوسوس به من معصية وإثم وخروج عما أمر الله به وما شرعه لعباده من نظام وذلك يتطلب صبرا ومعاناه؛ لأن عمل الشر الذى يؤدى إلى النار سهل بسهوة، وعمل الخير الذى يؤدى إلى الجنة صعب بربوة.

وقد روى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، كما حفت النار بالشهوات».

ومن جهاد الشيطان كظم الغيظ، والعفو عن الظالم، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وكل ذلك من الأعمال الصعبة الشاقة على صاحبها لا تكون بغير تضحية كبيرة باللذائذ والشهوات، وتضحية بالصبر على الطاعات، فهى شاقة وإن كانت تورث صاحبها عزا ورضا ومكانة.

والخلاصة أنه لا جهاد للشيطان بغير تضحية، وكيف يكون جهاد لا تضحية معه؟

- النوع الثالث

جهاد أهل الظلم والمنكرات:

وهذا النوع من الجهاد واجب شرعى كثيرا ما يكون فرض كفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط عن سائرهم، وأحيانا يكون فرضا عينيا لابد أن يقوم به كل أحد من المسلمين، وذلك إذا رأى المسلم ظلما أو منكرا لم يعرف به سواه، أو لم يكن يقدر على منعه سواه لسلطانه أو لقوته، أو علم به غيره ولكن أحدا لم يمنعه.

وقد يكون فرض كفاية إذا كان الظلم أو المنكر قد علم به ولكن أحد المسلمين أو بعضهم قد قام بمنعه.

وهذا المنع للظلم والمنكر له وسائله المتنوعة وهى:

المنع باليد أى بالقوة،

أو المنع باللسان أى بالكلمة،

أو المنع بالقلب أى إنكار القلب، وهو أضعف الإيمان.

وكل مرتبة من مراتب الجهاد فى منع الظلم والمنكر لها حكمها الشرعى المعروف الذى يلتمس فى كتب الفقه الإسلامى(1).

وكل هذه المراتب من الجهاد ـ باليد أو باللسان أو بالقلب ـ تحتاج إلى تضحية بالوقت والجهد والمال، وربما احتاجت إلى تضحية بالنفس فى بعض الأحيان.

وذلك مما يؤكد أنه ليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه!!!

– والنوع الرابع من الجهاد

جهاد أعداء الله من الكفار والمنافقين:

وهذا الجهاد لهؤلاء الأعداء إنما يكون على قدر الوسع لأن المبدأ العام فى الإسلام هو: **﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا (٢٨٦) ﴾** [البقرة: ٢٨٦].

وهذا النوع من الجهاد له مراتبه كذلك كجهاد أهل الظلم والمنكر، وتلك المراتب هى:

جهاد هؤلاء الأعداء بالقلب أى إنكار ما هم عليه من باطل إنكارا قلبيا فقط، وذلك عندما يكون المسلمون فى ضعف وعجز عما هو أكبر من ذلك،

وجهاد باللسان، أى بالكلمة– مسموعة أو مقروءة أو مشاهدة – وذلك عند القدرة على ذلك والعجز عما هو أكبر منه.

ويرى العلماء أن هذه المرتبة من الجهاد أليق بالمنافقين وأخص بهم ، إذ الأصل فيهم أنهم يبطنون خلاف ما يظهرون.

وجهاد بالمال، والمال سلاح فى بعض الأحيان يحقق به المسلم انتصارا على عدوه، والمال لا غنى عنه فى أى معركة من المعارك مع أى عدو من أعداء الله تعالى.

– ويرى العلماء أن الجهاد بالمال مطلوب مع كل جهاد، وإن كان أخص وألزم فى

---

(1) أشرنا إلى هذه الأحكام فى كتابنا الموسع: فقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء بمصر، عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ط ثالثة.

مواجهة الكفار والمشركين الذين يتحدون الإسلام والمسلمين.

وجهاد بالنفس أى القتال فى المعارك التى يخوضها المسلمون ضد الكفار والمشركين، ليحصلوا على الشهادة فى سبيل الله، فيغفر لهم، ما تقدم من ذنوبهم، إلا ما شغلت به ذممهم من مال أو حقوق للعباد.

وكل هذه المراتب من جهاد أعداء الله من الكفار والمنافقين تحتاج إلى تضحية كبيرة بالجهد والوقت والمال والنفس؛ إذ ليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه، كما يقول الإمام البنا رحمة الله عليه.

٦ - جزاء من قام بالتضحية

يقول الإمام البنا رحمه الله في جزاء من قام بالتضحية: «ولا تضيع في سبيل فكرتنا تضحية، وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل».

ومن أجل أن التضحية إنما تكون -كما أسلفنا- ببذل الجهد والوقت والمال والنفس أحيانا، كان جزاؤها عند الله كبيرا.

ومن أجل أن التضحية لا تكون فى سبيل غاية أو منافع دنيوية وإنما هى من أجل الدين والعقيدة، كان جزاؤها عند الله عظيما.

والتضحية من أجل الدين أحسن وأغلى ما يقدمه الإنسان إلى الله من عمل صالح، بل هى قمة العمل الصالح الذى يرضى الله تبارك وتعالى، فيجزى عليه أحسن الجزاء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) ﴾ [البينة: ٧، ٨].

وجزاء العمل الصالح -كما يفهم من هاتين الآيتين الكريمتين- هو ما نذكره فيما يلى:

- صاحب العمل الصالح مصنَّف عند الله تعالى من خير البرية أى خير الخلق جميعا،
- ومن جزائه عند الله الإقامة الدائمة فى جنات تجرى من تحتها الأنهار،
- ومن جزائه عند الله، الخلود فى هذه الجنات وذلك النعيم إلى ما لا نهاية له فى الحياة الآخرة،
- ومن جزائه عند الله تعالى، الحصول على درجة الرضا، رضا الله تعالى عنه، ورضاه هو عن ربه،
- ومن جزاء صاحب العمل الصالح أن يصفه الله تعالى بأنه قد خشى ربه، ومن خشى ربه ائتمر بأمره وانتهى عما نهى عنه ففاز بالسعادة فى الدارين.

هذا عن العمل الصالح عموما، فما بالنا إذا كان هذا العمل الصالح تضحية بالجهد والوقت والمال، والنفس فى سبيل الله تعالى؟

فى سبيل الفكرة التى يؤمن بها الإنسان؟

والتضحية فى سبيل الفكرة أنواع كثيرة لا تحصى عددا، وذلك أنها -كما قلنا- تضحية بالوقت والجهد والمال والنفس.

وكل واحدة من هذه التضحيات الأربعة تتنوع إلى عشرات الأنواع بل مئاتها، ولكل منها جزاؤه عند الله تعالى.

وعلى سبيل المثال:

فإن من يضحى بوقته وجهده فى التفكير فى أمور المسلمين اليوم، وفيما يعود عليهم بالنفع، أو يدفع عنهم الضرر، يقوم بعمل جليل وجهد مشكور، لا يضيع أجره عند الله تعالى.

إنه مجرد تفكير ولكن له من الأهمية ما يعود على المسلمين بالفائدة، إذ ليست الأعمال العظيمة إلا أفكارا فى البداية!!!

وبذل المال -أقل مال - فى سبيل الله لدفع حاجة عن فقير أو مسكين أو مدين أو يتيم أو عاجز عن العمل، تضحية مأجورة من أجل إعلاء شأن الإسلام ومنهجه فى دفع الحاجة عن كل محتاج، ونشر لقيم الإسلام وأخلاقه، وسبب من أسباب الوئام والحب بين الناس، والقرآن الكريم يعلن وجوب التعاون على البر والتقوى، ويقوى الصلات بين المسلمين، فيؤكد أن المؤمنين إخوة.

ومناصرة مسلم فى أى مكان للوصول إلى حقه، والوقوف إلى جانبه معنويا وماديا حتى يصل إلى حقه، تضحية بالجهد والوقت والمال فى سبيل الله ومن أجل تطبيق مبادئ الإسلام، وكل ذلك لا يضيع أجره عند الله، وإنما يكون الأجر الجزيل والثواب الجميل.

وبذل الجهد والوقت والمال فى التعاون مع المؤمنين على البر والتقوى فى مختلف مجالات البر مثل:

إنشاء المشروعات الاقتصادية فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والتسويق ونحو ذلك.

ودعم التكافل بين المسلمين بإنشاء صناديق لهم، تؤمن للمسلمين حاضرهم ومستقبلهم.

وإنشاء جمعيات خيرية لرعاية اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل وتوفير الأعمال لهم.

ومعاونة المسلمين فى أى مكان فى حربهم مع أعدائهم، بمدهم بما يحتاجون إليه من

مال ودعم مادى و أدبى.

- والجهر بكلمة الحق والتواصى بها، وبالصبر عليها، تضحية قد تكون لها أبهظ الأثمان فى نظام حكم مستبد ظالم، يخشى كلمة الحق، لأنها ترده عن ظلمه واستبداده.

إن الجهر بكلمة الحق أمام السلطان الجائر من أفضل أنواع الجهاد. روى أحمد بسنده عن أبى أمامة- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر».

ونشر العلم بين الناس، ودعوتهم إلى الله والحرص على تعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وتبصيرهم بما يحيط بهم من شر ليتجنبوه، وما يعرض لهم من خير ليستزيدوا منه، كل ذلك تضحية فى سبيل الله وهى نوع من الجهاد لا يضيع أجره عند الله تعالى.

وبذل الجهد والوقت والمال فى مجال الدعوة الفردية أو فى الحلقات المسجدية أو الندوات العامة أو نحوها تضحية فى سبيل الفكرة والعقيدة الإسلامية، حتى تصل إليهم الفكرة واضحة نقية، مقنعة بالحق، قادرة على رد الناس عن الباطل، كل ذلك جهاد فى سبيل الله يحتاج إلى تضحية: لا يضيع أجرها عند الله تعالى.

والتصدى للرد على أعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين الذين يروجون المفتريات والأباطيل حول الإسلام عقيدة ومنهجا ونظاما، سواء أكان ذلك الرد فى مقالات أو بحوث وكتب، أو ندوات ومحاضرات، كل ذلك تضحية بالجهد والوقت والمال فى سبيل الفكرة الإسلامية لا يضيع أجرها عند الله وإنما يكون عليها الجزاء الجزيل، والثواب الجميل.

وأحسن ما تكون التضحية بالجهد أو الوقت أو المال فى أمور ثلاثة، كما علمنا ذلك القرآن الكريم، وهذه الأمور الثلاثة هى:

الصدقة،

والمعروف،

والإصلاح بين الناس.

فالصدقة:

هى الإعطاء والإحسان إلى الغير، سواء أكانت هذه الصدقة واجبة كالزكاة أو مندوبة يتطوع بها المؤمن مثل سائر الصدقات.

والمعروف:

هو كل خير، يعرف حسنه ونفعه بالشرع أو بالعقل، يقدمه المسلم إلى أخيه المسلم.

والإصلاح بين الناس:

هو إزالة الخلاف بين اثنين أو جماعة، وهو خلق إسلامى دعا إليه الإسلام فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)** ﴾ [**الحجرات**: ١٠] وقال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ [**الأنفال**: ١].

الآية الكريمة علمتنا التضحية أحسن ما تكون، وهى قوله جل شأنه: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)** ﴾ [**النساء**: ١١٤].

- فالآية الكريمة تعنى -كما قال فخر الدين الرازى-: «لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير، ثم إنه تعالى ذكر من أعمال الخير ثلاثة أنواع:

الأمر بالصدقة،

والأمر بالمعروف،

والإصلاح بين الناس.

وإنما ذكر الله تعالى هذه الأقسام الثلاثة، وذلك لأن عمل الخير إما أن يكون من الخيرات الجسمانية وهو إعطاء المال، وإليه الإشارة بقوله: «من أمر بصدقة»، وإما أن يكون من الخيرات الروحانية وهو عبارة عن تكميل القوة النظرية بالعلوم أو تكميل القوة العملية بالأفعال الحسنة، ومجموعهم عبارة عن الأمر بالمعروف، وإليه الإشارة بقوله «أو معروف»، وأما إزالة الضرر فإليها الإشارة بقوله «أو إصلاح بين الناس» فثبت أن مجامع الخيرات مذكورة فى هذه الآية، ومما يدل على صحة ما ذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر لله»، وقيل لسفيان: ما أشد

هذا الحديث: فقال سفيان: ألم تسمع الله يقول: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾؟!

فهذا هو بعينه، أما سمعت الله يقول: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ ﴾ [العصر: ١، ٢] «فهو هذا بعينه»(١).

يقصد سفيان أن الله تعالى استثنى من النجوى الصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، كما استثنى من أن الإنسان فى خسر الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

– وروى البيهقى بسنده عن أبى أيوب رضى الله عن أن النبى ﷺ قال له: يا أبا أيوب: «ألا أدلك على صدقة يرضى الله ورسوله موضعها؟ قال: بلى، قال: تصلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا».

– ومن التضحية بالجهد والوقت والمال والإحساس بالأمن، أن يتصدى المسلم للدعوة إلى الله فى زمن فاسد يغلب فيه الباطل على الحق، وتعلو كلمات الضالين على كلمات الهداة، ويسود فيه النفاق. إن الدعاة حينما يتصدون للدعوة وأعبائها فى مثل هذا الزمن ومثل ذلك المجتمع يضحون بأمنهم واستقرارهم ويعيشون قلقا واضطرابا.

غير أن تلك سنة الله فى الدعاة إلى الحق وفى أنصاره منذ كانت الأمم التى خلت وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين، حيث كانت تبلغ بهم التضحية أن تمسهم البأساء والضراء وأن يزلزلوا حتى يستغيثوا مما يقع عليهم من عذاب، ويستغيث معهم نبيهم عليه الصلاة والسلام، ويكونون بهذا الصبر والاحتمال قد حظوا برضا الله تبارك وتعالى.

والمسلمون فى كل زمان ومكان قد يتعرضون لمثل هذا العذاب فى الدعوة إلى الله، فإن صبروا واحتسبوا نالوا رضا الله عز وجل.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ فى هذه التضحيات مضرب الأمثال، فقد صب عليهم البلاء صبا فى مكة المكرمة قبل الهجرة، واستضعفوا حتى أُجبروا على ترك أوطانهم، فهاجر بعضهم إلى الحبشة، ثم كانت هجرتهم إلى المدينة المنورة، وما ضعفوا ولا استكانوا ولا تراجعوا عن الحق الذى يدعون إليه!

بل تعرض الصحابة لمحن عديدة بعد الهجرة إذ هزمهم أعداؤهم فى أحد، وزلزلوا فى غزوة الأحزاب ولم تغن عنهم كثرتهم فى يوم حنين.

ولقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن سنة الله فى ابتلاء أهل الدعوات، قال الله تعالى:

(١) فخر الدين الرازى: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: ٣٤/١١ مرجع سابق.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾

[البقرة : ٢١٤] .

فهذه الآية الكريمة تقرر حقيقة كبرى هي سنة من سنن الله فى الدعاة، فكأنها تقول للمسلمين فى عهد النبى ﷺ وللمسلمين فى كل زمان ومكان:

قد خلت من قبلكم أمم أوتوا الكتاب كما أوتيتم، ودعوا إلى الله، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وثبتوا وآذاهم الناس فاحتملوا وضحوا واحتملوا المكاره والشدائد.

أفتصبرون مثلهم على الشدائد وأنتم دعاة الحق؟

أم تحسبون أنكم تنالون رضا الله وجنته من غير بذل وتضحية واحتمال؟

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تقرر هذه الحقيقة، نذكر منها ما يلى:

قال الله تعالى:

﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] .

وقال جل شأنه:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾

[آل عمران : ١٤٢] .

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ [التوبة : ١٦] .

فهذه الآيات الكريمة وأمثالها تقرر أن رضا الله تعالى والحصول على جنته لا يكون إلا بالتضحية والاحتمال فى سبيل الله.

وهذه التضحيات كلها فى سبيل الفكرة، أى فى سبيل الله تعالى، لا يمكن أن تضيع سدى، وإنما لها عند الله الأجر الجزيل والثواب الجميل.

وهل هناك أجر أو ثواب أعظم من الجنة؟

إن جزاء التضحية هو الجنة ورضا الله تعالى.

روى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، :«قال الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وروى الطبرانى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد».

ونعود بعد ذلك لنؤكد أنه لا تضيع فى سبيل فكرتنا تضحية وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل، كما قال الإمام البنا رحمه الله رحمة واسعة.

فما جزاء من ترك التضحية على نحو أكثر تفصيلا؟

هذا ما سوف نوضحه فى النقطة التالية من الكتاب، والله المستعان.

٧ - جزاء من ترك التضحية

أوضحنا فيما سبق أن التضحية واجبة على كل مسلم ومسلمة إذا كانت فى سبيل الله تعالى وفى سبيل الحق والدعوة إلى الله وفعل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأوضحنا حكم وجوبها، وبينا أنه لا يعفى منها إلا من عجز عن القيام بها.

وما دامت التضحية مما أوجب الله، فإن تاركها يقع بتركها فى الإثم والمعصية والذنب الذى يوجب العقوبة.

ويقال: فلان آثم أى واقع فى الإثم مستحق للعقوبة، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)** ﴾.

[**الفرقان**: ٦٨ - ٧٠].

ويقول الإمام البنا فى جزاء من ترك التضحية: «ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم».

﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [**التوبة**: ١١١].

﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ .....** ﴾ [**التوبة**: ٢٤].

﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ ....** ﴾ [**التوبة**: ١٢٠].

﴿ **فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا .....** ﴾ [**الفتح**: ١٦].

ولكي نوضح مقولة الإمام البنا فى جزاء مَنْ ترك التضحية، نقول:

من قعد عن التضحية فى سبيل الله بوقته أو جهده أو ماله أو ما يستطيع أن يضحى به من أجل هذا الدين فهو آثم، أى واقع فى الذنب والإثم مستحق للعقوبة على ترك هذا الواجب وهو التضحية، لأن كل من ترك واجبا فقد أثم، لأن هذا الواجب أوجبه الله تعالى وأمر به، فهو معطِّلٌ لما أوجب الله تعالى ومضيع لما أمر به سبحانه وتعالى.

- وقد قال العلماء عن هذا الواجب ما يلى:

الواجب مرادف للفرض عند جمهور العلماء، وهو ما أوجبه الشارع على وجه اللزوم والفرض، بحيث يأثم تاركه.

- وعلماء أصول الفقه يقولون:

إن الواجب هو ما يذم تاركه، كتارك الصلاة أو الزكاة أو غيرهما من الواجبات، فهو بهذا الترك يستوجب ذما من الشارع، ومع الذم يكون العقاب.

فالوجوب الشرعى عبارة عن خطاب الشارع بما يعد تركه سببا للذم شرعا، كما يرى الآمدى فى كتابه: الإحكام فى أصول الأحكام.

والقعود عن التضحية قعود عن واجب وترك له، وهو ما يوقع فى الذنب ويستوجب العقاب.

فكيف يقعد أحد المسلمين عن التضحية؟ كيف يورد نفسه بهذا القعود مورد الإثم والمعصية ليستحق العقاب؟ كيف يفعل ذلك والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢)** ﴾ [**النجم**: ٣٣ - ٤٢].

وقد استشهد الإمام البنا بأربع آيات كريمة على وجوب التضحية وعقاب من قعد عنها.

أما الآية الأولى فهى قوله تعالى:

﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)** ﴾ [**التوبة**: ١١١].

قال القرطبى: «لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة، وهم سبعون نفسا، قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال: أشترط لربى أن تعبدوه لا تشركوا به شيئا، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟

قال: الجنـــة.

قالوا: ربح البيع لا نقيل ولانستقيل، فنزلت هذه الآية.

«اشترى من المؤمنين...».

قال مجاهد ومقاتل: «ثامنهم فأغلى ثمنهم»،

«أنفسهم وأموالهم».

«الأنفس جوهرها جوهر شريف خصه الله تعالى بمزيد الإكرام فى هذا العالم، ولا فساد فى ذاته، وإنما الفساد فى الصفة القائمة به وهى الكفر والجهل، ومتى أمكن إزالة الصفة الفاسدة، مع إبقاء الذات والجوهر كان أولى. ألا ترى أن جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه، لا جرم حث الشرع على إبقائه فقال ﷺ: «هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به»[١].

فالجهاد بالحجة يجرى مجرى الدباغة وهو إبقاء الذات مع إزالة الصفة الفاسدة، والجهاد بالمقاتلة يجرى مجرى إفناء الذات، فكان المقام الأول أولى وأفضل»[٢].

«بأن لهم الجنة...»،

هذا هو الثمن وهو أغلى ثمن، وأكرمه وأدومه.

«يقاتلون فى سبيل الله فيقتُلون ويُقتَلون».

يدخل فى ذلك كل أنواع الجهاد كما يرى ذلك العلماء، ومنه مجاهدة الأعداء بالحجة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكل تلك الأنواع من الجهاد فيها تضحيات.

«والجهاد بالحجة والدعوة إلى دلائل التوحيد أكمل آثارا من القتال، ولذلك قال ﷺ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: «لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس». ولأن الجهاد بالمقاتلة لا يحسن أثره إلا بعد تقديم الجهاد بالحجة، أما الجهاد بالحجة فإنه غنى عن الجهاد بالمقاتلة»[٣].

«وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن».

أى وعد ثابت أثبته الله تعالى فى هذه الكتب السماوية:

التوراة والإنجيل والقرآن: بيّن الله فى التوراة والإنجيل أنه اشترى من أمة محمد ﷺ أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة كما بين فى القرآن.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾،

(١) رواه مسلم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما وتكملته: «إنما حرم أكلها».
(٢) الفخر الرازى: التفسير الكبير: ١٦/ ١٥٩ مرجع سابق.
(٣) السابق: ١٦/ ١٥٩.

أي لا أحد أوفى بعهده من الله.

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ﴾،

وقد تفرع عن كون الوعد حقا على الله، وعلى أن الله أوفى بعهده من كل واحد، أن يستبشر المؤمنون ببيعهم هذا، فالخطاب للمؤمنين من هذه الأمة.

قال فخر الدين الرازى: «إن أبا القاسم البلخي[1] استدل بهذه الآية على أنه لابد من حصول الأعواض، وآلام الأطفال والبهائم، قال: لأن الآية دلت على أنه لا يجوز إيصال ألم القتل وأخذ الأموال إلى البالغين إلا بثمن هو الجنة، فلا جرم قال: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» فوجب أن يكون الحال كذلك فى الأطفال والبهائم، ولو جاز لهم التمنى لتمنوا أن آلامهم تتضاعف حتى تحصل لهم تلك الأعواض الرفيعة الشريفة»[2].

والآية الثانية التى استشهد بها الإمام البنا هى قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال المفسرون:

إن جماعة المؤمنين قالوا: يا رسول الله، كيف يمكن البراءة منهم بالكلية -أى من آبائهم وأبنائهم- وقد كانوا على الكفر- وإن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا، وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا وخراب ديارنا، وإبقاءنا ضائعين؟

فبين الله تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليما، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله ورسوله، ومن المجاهدة فى سبيل الله فتربصوا بما تحبون حتى يأتى الله بأمره، أى بعقوبة عاجلة أو آجلة، والمقصود: الوعيد.

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخي الخراساني أبو القاسم، المتوفى سنة ٣١٩هـ. أحد أئمة المعتزلة، وهو رأس طائفة منهم تسمى الكعبية، له كتب هامة منها:- «التفسير»، و «أدب الجدل» و «تأييد مقالة أبى الهزيل» و «مفاخر خراسان» وغيرها. أثنى عليه أبو حيان التوحيدى، وقال عنه الخطيب: صنف فى «الكلام» كتباً كثيرة، وانتشرت كتبه ببغداد، دوله آراء ومقالات فى «الكلام» اشتهر بها.

(٢) الفخر الرازى: التفسير الكبير: ١٦/ ١٦٠ مرجع سابق.

وهذه الآية الكريمة تدل على أنه إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين وبين جميع مهمات الدنيا، وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا.

وكل هذه تضحيات بأقرب الأقارب الآباء والأبناء والإخوة، والأزواج، فضلا عن سائر القرابات، ووجوب تفضيل مصلحة الدين عليهم جميعا.

وتدل الآية على وجوب التضحية بإمساك الأموال المكتسبة، والتضحية بتحصيل الأموال من التجارة ونحوها، والتضحية بالرغبة في المساكن، وكل ذلك مما تحب النفس، وتحرص عليه، ومع ذلك وجبت التضحية به كله في سبيل الدين، ما دام متعارضا معه.

هذا هو الأصل، ومن لم يضح، أو من ترك التضحية في هذه المجالات بتلك الأمور، فإن عليه أن يتربص بوعيد الله تعالى والاتصاف بالفسق والخروج عما أمر الله تعالى به، والله سبحانه لا يحب الفاسقين.

أما الآية الثالثة التي استشهد بها الإمام البنا فهي قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١) ﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

فهاتان الآيتان الكريمتان:

تنهى أولاهما عن التخلف أو القعود عن رسول الله ﷺ في حربه مع عدوه وتنهى عن أن يطلب المسلمون لأنفسهم السلامة من كل ما قد تأتي به الحرب من جروح أو موت أو قتل، أو أن يختاروا الراحة والدعة في حال يكون الرسول ﷺ فيها في جهد ومشقة بسبب الحرب، بل تنهاهم هذه الآية الكريمة عن أن يكرهوا لأنفسهم ما يرضاه الرسول ﷺ لنفسه. ولما نهى الله تعالى عن التخلف عن رسول الله ﷺ، بين أنه لا يصيب المسلمين في تلك الحرب أو هذا السفر والجهاد، أي نوع من أنواع المشقة: ظمأ أو تعب أو جوع إلا وهو موجب للثواب العظيم عند الله تعالى.

أما ثانية هاتين الآيتين فتوضح أن كل موطئ قدم للمسلم أو لبعيره في تلك الحرب يكون غيظا للكفار، وكل أسير يأخذونه أو قتيل يقتلونه من الكفار، فإن ذلك مكتوب لهم

عملا صالحا عند الله.

قال علماء التفسير:

إن الله تعالى ذكر فى هذه الآية الكريمة أموراً خمسة:

أولها: ذلك بأنهم «لا يصيبهم ظمأ» والظمأ شدة العطش،

وثانيها: «ولا نصب»، وهو التعب والإعياء،

وثالثها: «ولا مخمصة فى سبيل الله» أى مجاعة شديدة يظهر بسببها ضمور البطن،

ورابعها: «ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار» أى ولا يضع أحدهم قدمه ولا يضع بعيره خفه إلا صار ذلك سببا لغيظ الكفار،

وخامسا: «ولا ينالون من عدو نيلا» أى أسرا وقتلا وهزيمة، قليلا كان ذلك أو كثيرا،

«إلا كتب لهم به عمل صالح» أى كان قربة لهم عند الله تعالى.

وتدل هاتان الآيتان الكريمتان على أن من قصد طاعة الله بعمله كان قيامه ومشيه وحركته حسنات مكتوبة له عند الله، وكذا من قصد المعصية كان قيامه ومشيه وحركته سيئات مكتوبة عليه عند الله تعالى.

ومن ذلك ندرك بركة طاعة الله وما تورثه من عز، وشؤم المعصية وما تعقبه من انكسار وذل.

وكل ما تطالب به هاتان الآيتان الكريمتان من عمل إنما هو تضحية بالجهد والوقت والمال والنفس فى سبيل الله، ومن بذل ذلك كان له عند الله أحسن الجزاء وأعظم الأجر، ومن قعد عن ذلك وتركه كان عليه وزر المعصية وعقابها.

أما الآية الرابعة التى استشهد بها الإمام البنا فهى قوله تعالى:

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) ﴾

[**الفتح**: ١٦].

قال القرطبى: قوله تعالى: **﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ ﴾** أى قل لهؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد». قال ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء ابن أبى رباح ومجاهد وابن أبى ليلى وعطاء الخراسانى: هم فارس،

وقال كعب والحسن وعبد الرحمن بن أبى ليلى: هم الروم،

- وعن الحسن أيضا: هم فارس والروم،

- وقال ابن جبير: هم هوازن وثقيف،

- وقال قتادة: هم هوازن وغطفان يوم حنين»[1].

أى: قل للمخلفين عن الخروج من أهل البادية ستدعون إلى قتال قوم ذوى شدة قوية فى الحرب، فإن تستجيبوا لهذه الدعوة يعظم الله الغنيمة فى الدنيا، والثواب فى الآخرة،

وإن تعرضوا كما أعرضتم من قبل -عام الحديبية- يعذبكم عذابا بالغ الألم.

وقال الفخر الرازى: «يعنى إن كان توليكم بناء على الظن الفاسد والاعتقاد الباطل، كما كان حيث قلتم بألسنتكم لا بقلوبكم: «شغلتنا أموالنا» فالله تعالى يعذبكم عذابا أليما»[2].

وبعد:

فهذه التضحيات التى تحدثت عنها هذه الآيات الكريمة -وهى التى استشهد بها الإمام البنا رحمه الله- لا يجوز القعود عنها، بل إن القعود عنها إثم وذنب ومعصية، وذلك يستوجب عقاب الله تبارك وتعالى.

ومن فقهه رحمه الله -لمضمون تلك الآيات الكريمة- كان قوله: «ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم».

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٣٧٢.
(٢) الفخر الرازى: التفسير الكبير: ٢٨/ ٨١، مرجع سابق.

٨ – معنى الهتاف الدائم «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا»

من شعارات الجماعة، وهتافها: كلمة «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» .

والموت حقيقة كبرى، ونهاية محتمة لكل الأحياء فى هذه الأرض، والموت صفة وجودية خلقها الله ضد الحياة، فهو سبحانه الذى يهب الحياة وهو الذى يسلبها، فهو يحيى ويميت، قال تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)** ﴾ [يونس: ٥٥ - ٥٦] .

والله تعالى خلق الموت والحياة لابتلاء الإنسان واختباره ليتميز من خلال هذا الاختبار أىّ الناس أحسن عملا، قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)** ﴾ [الملك: ٢] .

فالموت فى الدنيا يكون بعد نعمة الحياة التى يجب أن تكون ذاخرة بالأعمال الصالحة التى أمر الله بها وأن يكون الإنسان متذكرا للموت خائفا منه مستعدا له، لأنه بالموت ينقطع استدراك ما فات،

والحياة الحقة هى الحياة الآخرة، ولقد سماها الله تعالى بذلك فقال تعالى: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)** ﴾ [العنكبوت: ٦٤]،

أى ليست هذه الحياة الدنيا إلا متاعا محدود الوقت، يلهو به الغافلون كما يلهو الصبيان ويلعبون وقتا ما ثم ينفضون، وإن الدار الآخرة لهى دار الحياة الحقيقية الكاملة الدائمة،

وتلك حقيقة عن الدنيا والآخرة يدركها من الناس من أوتوا القدرة على الإدراك الصحيح والعلم الصحيح.

وكما يكون الابتلاء بالحياة، فكذلك يكون الابتلاء بالموت، فإذا كان الخوف من الموت فى الحياة الدنيا حاصلا بل أكيدا، فإن أشد منه وآكد الخوف من تبعات الحياة الآخرة، حيث يجب أن ينزجر بالموت كل إنسان، فيكف عما يغضب الله؟

– روى النسائى والترمذى وابن ماجة بأسانيدهم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من ذكر هازم اللذات: الموت».

فالموت والحياة كلاهما ابتلاء للإنسان لمعرفة من كان أحسن عملا. والعمل الحسن هو الخالص لله، وما كان خالصا لله لابد أن يكون صوابا أى موافقا لمنهجه وشريعته.

وآيات القرآن الكريم تدعو إلى العمل الصالح، وإلى الاستمرار فى أدائه حتى الموت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أى: خافوا الله بامتثال أمره واجتناب نهيه، وداوموا على الإسلام حتى تلقوا الله تعالى، وما يكون ذلك إلا بالعمل الصالح فى الحياة الدنيا والاستمرار على أدائه حتى الموت.

- والموت كما قلنا نهاية حتمية لكل حى، كما قرر القرآن الكريم ذلك فى كثير من آياته، قال الله تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)** ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والذين يحاولون الهرب من الموت أو تأجيله بتخليهم عن الجهاد فى سبيل الله أو الموت أو القتل فى سبيله واهمون ممعنون فى الخطأ، لأن الموت لا مفر منه بحال، قال الله تعالى: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)** ﴾ [النساء: ٧٨].

إن هؤلاء الذين يحاولون الفرار من الموت احتفاظا بالحياة فى غفلة عن حقيقة الحياة والموت معا.

ومثلهم فى الغفلة والضلالة، بل أشد منهم فى ذلك من يتصورون أن من جاهد فى سبيل الله فقتل أو مات، قد انقضت حياته، إنهم بهذا أبعد مايكونون عن فهم الحياة والموت معا، فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤)** ﴾ [البقرة: ١٥٤].

تلك كانت مقولة المشركين واليهود والمنافقين عندما رأوا المسلمين يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون أحيانا، فنهى الله تبارك وتعالى عن هذا التصور، وعن هذه التسمية، فهم ليسوا موتى وإنما هم شهداء والشهداء ﴿ **أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا**

آتاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

والأصل فى المؤمن أن يكون مستعدا للموت فى سبيل الله، مضحيا بنفسه فما دونها من مال وجهد ووقت من أجل دينه، تلك صفة فى المؤمنين امتدحهم الله بها، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ..... (٢٤) ﴾ [الأحزاب: ٢٢ - ٢٤].

وهذه الآيات الكريمة مليئة بالدلالات فيما نحن بصدده من تقرير أن الجهاد فى سبيل الله وبذل النفس فيه حق يصدق به المؤمنون. ومن هذه الدلالات مايلى:

- أن المؤمن إذا وقع فى شدة من أجل دينه تحملها ولم يجزع واثقا فى نصر الله له أخيرا، ولما رأى المؤمنون الأحزاب- وقد تحالفوا عليهم وهاجموهم فى عقر دارهم- لم يجزعوا أو يفروا وإنما قالوا ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ فقد وعدنا بأن نقابل الشدائد من أجل هذا الدين، وها قد لقيناها فلنصبر.

- وأن المؤمن عند الشدة يواجهها ويزداد بها إيمانا وثباتا، وحسن تسليم بقضاء الله وقدره واقتناعا بصدق الله ورسوله، إنهم يقولون عند الشدائد: «صدق الله ورسوله»، وما تفعل بهم الشدائد وخوض غمارها إلا إيمانا وتسليما، «وما زادهم إلا إيمانا وتسليما».

- هؤلاء المؤمنون هم الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه من أن يكونوا مع النبى ﷺ لايفارقونه إلا بالموت ثابتين على القتال معه وفاء منهم بعهودهم لربهم، فمنهم من قاتل على ذلك حتى قتل فنال شرف الشهادة فى سبيل الله، ومنهم من بقى حيا ينتظر أن ينال هذا الشرف وفاء منه بعهده مع الله، ومابدلوا ولا غيروا شيئا من ذلك العهد.

وقد يخلط بعض الناس بين هوى النفس فى حب الحياة، وبين ما أوجبه الله من التضحية بالحياة فى سبيل الله، فتضطرب لديهم الرؤية فيقاتلون فى غير وقت القتال، ويجفلون ويتولون عندما يفرض عليهم القتال، يحكى القرآن الكريم عنهم ذلك فى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا

﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٧، ٧٨].

والآيتان الكريمتان تنبئان عن طبائع بعض النفوس التى لم يدخل الإيمان إلى قلوبها ليستقر فى أعمالها، ومن تلك الحقائق التى قررتها الآيتان الكريمتان:

– أن هؤلاء الناس من المسلمين، ولكنهم على تلك الحالة المثيرة للعجب؛ إذ قد رغبوا فى القتال قبل أن يؤذن لهم به، فقيل لهم: لم يأت وقت القتال فكفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وهذا حسبكم الآن.

– وأنهم عندما فرض الله عليهم القتال إذا طائفة منهم يخافون الناس كخوف الله أو أشد، ويقولون مستغربين: لم كتبت علينا القتال؟ متوهمين أن فى فريضة القتال تعجيلا لآجالهم، ولذلك قالوا: هلا أخرتنا إلى زمن قريب نستمتع فيه بما فى الدنيا؟ فقيل لهم: تقدموا للقتال، حتى وإن أدى ذلك إلى استشهادكم إذ إن متاع الدنيا مهما عظم قليل إلى جانب متاع الحياة الآخرة، والآخرة خير وأعظم لمن اتقى الله وستجزون على أعمالكم فى الدنيا ولاتنقصون من الجزاء شيئا مهما صغر.

– والمؤكد أن الموت الذى يفر منه بعض الناس هو ملاقيهم أينما يكونون، حتى لو تحصنوا منه فى حصون مشيدة، فلو عقلتم ما فررتم من الموت، ولا توهمتم أن القعود عن الجهاد سوف يحفظ عليكم حياتكم!!

ومن القواعد المقررة فى التضحية بالنفس فى سبيل الله أن العبرة فى هذه التضحية بالنية، فإذا انعقدت النية على الجهاد فى سبيل الله، ثم خاض المضحى معركة أو فارق وطنه على هذه النية لإعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، ثم قتل فى المعركة أو مات فى فراشه، فإن له جزاء عند الله هو أحسن الجزاء، لأن الله تعالى قد وعد بذلك، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩].

وبعد: فهذه آيات القرآن الكريم ناطقة بتلك الحقائق الكبرى مقررة لها، موضحة أبعاد الحياة والموت، مبينة أن الموت حتم وأن العاقل من اختار من هذا الحتم أفضله، وأرضاه لله تعالى.

وإجمال ذلك كله يمكن أن نذكره فيما يلى:

- الموت نهاية كل حى: إنسان أو غيره، بحيث لايفلت منه أحد ،

- والموت قد يكون خيراً للإنسان إن كان فيما يرضى الله تعالى، أو فيما فرض سبحانه أو ندب إليه من جهاد أو نحوه،

- وجزاء التضحية بالنفس- الموت في سبيل الله- هو أحسن الجزاء وأكرمه عند الله تعالى،

- ولأجل تأكيد هذه الحقائق فى الكتاب والسنة جاء فيها نصوص إسلامية كثيرة، ولهذا كان هتاف الإخوان المسلمين: « الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» .

ولا يفوتنى فى سبيل تأكيد اتخاذ الإخوان المسلمين شعار «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» أن أذكر عددا من الأحاديث النبوية الشريفة التى توضح أن الموت فى سبيل الله تعالى له من الأجر الجزيل، والثواب الجميل، مايجعل كل مؤمن - يرجو ما عند الله تعالى يتخذ من عبارة «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» شعارا له يردده ويعمل من أجل تحقيقه:-

١ - روى الترمذى والنسائى وأحمد بأسانيدهم عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بخير الناس منزلة ؟ رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله حتى يموت أو يقتل» .

٢ - وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « انتدب الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا» .

٣ - وروى الحاكم فى مستدركه، والبيهقى فى شعب الإيمان بسنديهما عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتى؟ فقراء المهاجرين، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم؟ قالوا: بأى شىء نحاسب، وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا فى سبيل الله حتى متنا على ذلك؟ فيفتح لهم فيقيلون فيها أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس» .

٤- وروى أبو داود وابن حبان والحاكم فى مستدركه بأسانيدهم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج غازيا فى سبيل الله، فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله» .

٥ - وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ: « كل كلم – أى جرح – يكلمه المسلم فى سبيل الله يكون يوم القيامة كهيئتها إذ طعنت، تفجر دما، واللون لون الدم، والعرف عرف مسك» .

٦ – وروى أحمد والنسائى بسنديهما عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « ما على الأرض من نفس تموت، ولها عند الله خير، تحب أن ترجع إليكم ولها الدنيا، إلا القتيل فى سبيل الله، فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى، لما يرى من ثواب الله له» .

٧ – وروى أبو داود بسنده عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من فصل فى سبيل الله فمات أو قتل أو وقصته فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأى حتف شاء الله، فإنه شهيد وإن له الجنة» .

٨ – وروى الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من سأل الله القتل فى سبيل الله صادقا من قلبه، أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه» .

٩ – وروى مسلم بسنده والترمذى والنسائى بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إن قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا ومقبلا غير مدبر، كفر الله عنك خطاياك إلا الدين، كذلك قال لى جبريل آنفا» .

١٠– وروى الإمام أحمد بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطا فى سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر» .

وعند النظر فى هذه الأحاديث النبوية الشريفة، نستطيع أن نستنبط ما يتمتع به من مات فى سبيل الله تعالى من مكانة عند الله تعالى:

وتتمثل هذه المكانة– كما دلت على ذلك هذه الأحاديث النبوية الشريفة– فى الجزاء الذى ينتظر هؤلاء الشهداء فى الآخرة وفى الدنيا كذلك.

فنقول، والله المستعان :

أولا : فى الجزاء الأخروى

يكرم الله تعالى من ضحى فى سبيله بنفسه، فمات أو قتل بمميزات وكرامات لاينالها سواه، ويحوطه بالحفاوة والتكريم. ونستطيع أن نتبين ذلك فى النقاط التالية:

١ - أن خير منازل المؤمن عند الله وأعلى درجاته، بل أرفع رتبة فى الآخرة- دار الحياة الدائمة، خير تلك المنازل- هى أن يضحى بنفسه فى سبيل الله « ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله حتى يموت أو يقتل»،

٢ - وأن الذين يضحون بأنفسهم فى سبيل الله، يتميزون على الناس جميعا يوم القيامة، فيدخلون الجنة قبل أن يدخلها الناس، وما ذلك إلا تكريما من الله تعالى لهم، وقد تمثل هذا التميز فيما يلى :

(أ) يعفون من الحساب الذى يخضع له جميع الناس، والحساب صعب بل مرهق شديد الإرهاق، بل إن النقاش فيه هلاك، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من نوقش الحساب عذب» .

وروى الطبرانى فى المعجم الكبير بسنده عن عبدالرحمن بن الزبير رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « من نوقش الحساب هلك» .

وروى البخارى ومسلم والترمذى وأحمد بأسانيدهم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « من حوسب يوم القيامة عذب» قالت عائشة: أو ليس يقول الله: «فسوف يحاسب حسابا يسيرا» ؟ قال: ليس ذلك بالحساب، إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك» .

(ب) وأنهم يدخلون الجنة ويستمتعون بها ويقيلون فيها أربعين عاما قبل أن يدخلها الناس.

٣ - وأن المضحين بأنفسهم فى سبيل الله يعلّمون يوم القيامة بعلامات تميزهم عن سواهم، وذلك أن جروحهم التى جرحوا فى الدنيا تكون كهيئتها فى الدنيا، ولكن لها رائحة المسك وإن بقى لونها لون الدم. فالمضحى بنفسه فى سبيل الله يسعى بين أهل الجنة يوم القيامة تفوح منه رائحة المسك!!

٤ - وأن المضحين بأرواحهم فى سبيل الله يلقون من ثواب الله تعالى قدرا لايضاهيه قدر، حتى يتمنى أحدهم- وما يتمنى ذلك سواه- أن يعود إلى الدنيا ليقتل فى سبيل الله، بل أن يعود إلى الدنيا مرتين أو مرات ليقتل كل مرة منها فى سبيل الله، وما ذلك التمنى إلا لعظيم مايلقى من جزاء، وجزيل من عطى من ثواب.

٥ - وأن المضحى فى سبيل الله بروحه، بل الذى خطا فى طريق التضحية بروحه خطوة أو خطوات، ثم حيل بينه وبين إتمام التضحية والجهاد بأى حائل، كأن مات بأن وقصته

دابته التى يركب أو لدغته هامة من هوام الأرض، أو مات على فراشه– ونيته معقودة على أن يكمل الطريق إلى الجهاد والتضحية– فإن له أجر شهيد، وجزاؤه الجنة بفضل من الله تعالى.

٦ – وأن هذا الذى عقد نيته على التضحية بنفسه فى سبيل الله تعالى، إذا سأل الله أن يقتل فى سبيله صادقا مخلصا فى هذا السؤال، فإن الله تعالى يعطيه أجر شهيد، وإن مات على فراشه.

هذا هو الجزاء الأخروى الذى يلقاه الشهداء، وهو نفسه الذى يجعل الهتاف «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» أملا يسعى إليه المؤمنون.

ثانيا : فى الجزاء الدنيوى :

يكرم الله تعالى من ضحى بنفسه فى سبيل الله، فمات أو قتل فى الجهاد، يكرمه بمزايا فى الدنيا، بالإضافة إلى تلك المكانه والتكريم فى الآخرة.

ونستطيع أن نتبين ذلك فيما يلى :

١– أن من خرج فى سبيل الله، لايخرجه إلا الإيمان بالله والتصديق برسله عليهم السلام، فإنه يعود من هذه المعركة– إن لم يستشهد، وإنما انتصر على عدوه– بما نال من أجر أو غنيمة دنيوية.

وهذه الغنيمة تتمثل فى حصوله على سلب[1] من قتل، وفى سهم له فى الغنيمة حسب ماكان يجاهد راجلا أو راكبا.

٢ – وأن هذا المضحى بنفسه فى سبيل الله تعالى يكفر الله عنه سيئاته وخطاياه إلا ما عليه من دين للآخرين، وذلك إذا قتل فى سبيل الله مقبلا غير مدبر، كما أخبر رسول الله ﷺ فى الحديث الذى ذكرناه آنفا والذى جاء فى آخره « كذلك قال لى جبريل آنفا ومن المسلم به فى الشريعة الإسلامية أن كل إنسان يخطئ، وأن جنس بنى آدم جميعا خطاءون، فقد روى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم فى مستدركه بأسانيدهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» .

٣ – وميزة كبرى لمن مات فى سبيل الله أو قتل وهو مرابط فى سبيل الله– أى يحرس ويدافع فى أطراف الدولة المسلمة وعلى حدودها، ويقيم فى هذه الأماكن– يتميز هذا

(١) السلب هو : سلاح القتيل وملابسه وما يحمله من متاع .

المرابط المضحى بنفسه فى هذا الرباط بأن الله ينمى له عمله الصالح إلى يوم القيامة كأنه حي يمارس العمل الصالح، فيزيد عمله ويزيد، ويظل يزيد حتى يأتى يوم القيامة!!

وإنما كانت تلك ميزة ميزه الله بها، لأن الأصل أن الإنسان يختم الله على عمله الذى عمله فى الدنيا بمجرد موته، ولا سبيل إلى أن يزاد له فيه شيء أى شيء، لكن المضحى بنفسه فى سبيل الله تعالى يستثنى من هذه القاعدة، فينمى الله تعالى له عمله إلى يوم القيامة.

وبعد :

فإنه من أجل هذه المكانة للتضحية فى سبيل الله، وتقبل الموت أو القتل فى سبيله، كان شعار جماعة الإخوان المسلمين وهتافها الدائم: «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» :

– لقد هُرع الإخوان إلى حرب اليهود فى فلسطين عام ١٩٤٨م هاتفين: «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا»،

– وأقبل الإخوان على حرب بريطانيا العظمى المحتلة لمصر، أقبلوا على شن حرب فدائية عليهم فى قناة السويس عام ١٩٥١م هاتفين : «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» .

– وكل شهيد قضى نحبه من جماعة الإخوان المسلمين، إنما أقبل على المعركة التى استشهد فيها وشعاره « الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» .

ومن هنا ندرك مضامين كلمة الإمام البنا رحمه الله وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم:

« الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا» .

خاتمة الكتاب

بدأنا هذا العمل بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ .

وها نحن- بتوفيق من الله- نختتم هذا العمل بحمد الله والثناء عليه، لما وفق إليه وأعان عليه من شرح الركن الخامس من أركان البيعة- التي تضمنتها رسالة التعاليم، أجمع ماكتب الإمام الراحل الشهيد حسن البنا رحمه الله- وهو ركن التضحية.

وقد قمت في هذا الكتاب بعملين، جعلت لكل واحد منهما بابا من بابى الكتاب.

أما الأول :

فهو التأصيل الشرعى للتضحية بتوضيح مفهومها فى القرآن الكريم وبيان أنواعها فيه، وتوضيح مفهومها فى السنة النبوية المطهرة، وبيان أهدافها وأبعادها، ومكانها ومكانتها من العمل من أجل الإسلام، وتحديد معناها الوارد فى السنة بلفظها أو بمعناها، مع التأكيد على أن الجهاد تضحية، ومع إشارة إلى التدرج فى تشريع الجهاد.

ثم تحدثت عن التضحية بالمال كما وردت فى السنة النبوية، وفصّلت القول فى التضحية فى حياة النبى ﷺ وسيرته، وأشرت إلى ما تعرض له ﷺ من تضييق وأذى، وكيف صبر وكيف ضحى، فضرب فى ذلك الأمثال فى الاستمساك بالحق والصبر عليه والجهاد فى سبيله .

وعطفت على مواقف النبى ﷺ وتضحياته ما قام به صحابته رضوان الله عليهم، وكيف ضحوا من أجل الدعوة والحق الذى يؤمنون بالمال والجهد والوقت والنفس وكل شيء فى سبيل الله تعالى.

وأشرت إلى تضحياتهم بالجاه والعشيرة والعلاقات الاجتماعية مهما تكن حميمة.

وركزت على أنموذجين :

أحدهما : عن تضحيات العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم وكيف كانت تضحياتهم.

والآخر : عن تضحيات كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وكيف تسابقوا إلى التضحية فى سبيل الله، وقصرت الحديث على اثنى عشر رجلا منهم وإن كانوا جميعا أهل تضحية

وجهاد فى سبيل الله .

ثم أفردت حديثا عن تضحيات الصحابة رضوان الله عليهم فى المعارك الكبرى بين الإيمان والكفر، تلك المعارك الفاصلة فى تاريخ الإسلام وهى :

معركة بدر الكبرى ،

ومعركة أحد ،

ومعركة الأحزاب ،

ومعركة مؤتة ،

ومعركة تبوك ،

وأما العمل الثانى الذى قمت به، والذى تضمنه الباب الثانى من الكتاب فهو :

الشرح والتحليل للنص الوجيز الذى كتبه الإمام حسن البنا رحمه الله فى التضحية، وصاغه فى إجمال لايصل فى عدد سطوره إلى عشرة أسطر، ولكنه مفعم بالمضامين العميقة والعبارات الدالة الموحية.

وقد جاء تحليل هذه السطور القليلة العدد وشرحها فى نصف الكتاب أى مايزيد على مائة صفحة، وما وجدت فى ذلك عناء – بفضل من الله وتوفيق– لأن من عرف الإمام البنا واستمع إليه يسهل عليه إدراك هذه المضامين وتلك الأبعاد التى يحتويها كلامه مسموعا أو مكتوبا، وقد كان ذلك من فضل الله علىّ، وعلى غيرى ممن عايشوه أو أخذوا عنه وتعلموا منه رحمه الله رحمة واسعة ونفع بعلمه وفقهه ومنهجه فى الإصلاح والتجديد كل الراغبين فى العمل من أجل هذا الدين الخاتم العظيم ليمكن له فى الأرض.

ومن نافلة الكلام وتحصيل الحاصل أن أقول :

إن فكر الإمام حسن البنا وفقهه للإصلاح والتجديد ومنهجه فيه، قد أفاد منه المسلمون المشغولون بالدعوة إلى الله فى عديد من أقطار الأرض اليوم، وإنهم يوما لقادرون على التمكين لدين الله فى الأرض، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

ومن أجل هذا الشرح والتحليل لنص التضحية تحدثت فيه تحت عناوين ثمانية بذلت فى كل منها من الجهد ما أسأل الله عليه المثوبة.

وهذه العناوين الثمانية هى :

- مفهوم التضحية فى نص الإمام وكلمته الجامعة فيها،
- والتضحية واجب شرعى مؤيد بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،
- وأنواع التضحية كما حصرها الإمام البنا رحمه الله وهى التضحية بالنفس والتضحية بالمال والتضحية بالوقت والتضحية بالحياة كلها،
- والتضحية في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين، كما مارسها أفرادها، وضربت على ذلك بعض الأمثال، إحقاقا للحق، دون مبالغة فى شىء،
- والمقارنة بين الجهاد والتضحية، وصلة كل منهما بالآخر، وتأكيد أنه ليس فى الدنيا جهاد لاتضحية معه، وذكرت بأنواع الجهاد وحكم كل نوع منها فى اختصار وإيجاز،
- وأوضحت الجزاء والأجر الجزيل والثواب الجميل الذى ينتظر من قام بالتضحية، وأيدت ذلك بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،
- وبينت الجزاء الذى ينتظر من قعد عن التضحية فى سبيل الله، واستشهدت عليه بآيات القرآن الكريم وأحاديث المعصوم ﷺ ،
- وكان ثامن العناوين وآخرها هو :

المعنى المقصود من الهتاف الدائم لأفراد الجماعة «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا».

وقدمت الأدلة والبراهين على أن ذلك لم يكن عند الجماعة مجرد شعار، وإنما كان تطبيقا عمليا فى سلوك الأفراد فى تاريخ الجماعة.

وأحسبنى بذلك قد بلغت ما أردت من شرح هذا النص وتحليله، فإن يكن الأمر كذلك، فذلك من فضل الله علىّ ومن توفيقه وعونه، وإن كانت الأخرى، فلعل العمر يتسع مداه لإعادة النظر وإعادة الكتابة.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب من يقرأه وأن يأخذ ما جاء فيه من التضحية مأخذ الجد والتنفيذ، إنه على مايشاء قدير.

وسبحانك اللهم وبحمدك ، نستغفرك ونتوب إليك.

الفهرس

ثبت موضوعات الكتاب

الباب الثانى :